

١ ـ ١٠

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيا: اسلاميا

بُناة دَولَةِ الإسلام

- ١ -

ابنُ عمّة رسول الله صلّى الله عَليه وسلّم

أبو سَبْرة بن أبي رُهْم

رَضِيَ الله عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كانَ صَحَابَةُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يُرِيدُونَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إلاَّ بِمِقْدَارِ ما يُبَلِّغُهُمُ ٱلآخِرَةَ، لِذا لَمْ يَرْغَبُوا فِيها، فَكُتِبَتْ لَهُمُ ٱلسَّعَادَةُ، وَلَمْ يَتَظَاهَرُوا بِأَعْمَالِهِمْ، فَخَلَّدَهَا لَهُمُ ٱلتَّارِيخُ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ بَقَاءِ ذِكْرِهِمْ، فَحَفِظَهُ لَهُمُ ٱلْخَلَفُ، وَلَئِنْ كَانَ ٱلتَّارِيخُ قَدِ ٱسْتَجَابَ لِطَلَبِ بَعْضِهِمْ فَأَسْكَنَهُمْ فِي زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ ٱلأَنْظَارِ، وَسَلَّطَ ٱلأَضْوَاءَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ، أَوْ أَنَّ بَعْضَ ٱلأَعْمَالِ ٱلْكَبِيرَةِ مِنْ خِلاَفَةٍ وَقِيَادَةٍ عَامَّةٍ قَدْ كَشَفَتِ ٱلنِّقَابَ عَنْ أَصْحَابِهَا، فَظَهَرُوا عَلَىٰ حَقِيقَتِهِمْ قِمَّةً شَامِخَةً، عَاشَ صَحَابَةٌ آخَرُونَ فِي ظِلِّهَا وَإِنْ كَانَ ٱرْتِفَاعُهُمْ لاَ يَقِلُّ عَنْهَا، وَمِنْ هٰؤُلاَءِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

مِنْ عَادَاتِ ٱلْعَرَبِ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ أَنْ يَخْتَارَ ٱلرَّجُلُ لِبَنِيهِ

بَنَاتِ أَفْضَلِ ٱلأُسَرِ وَأَعْرَقِهَا، لَمْ يَكُنْ ذَاكَ فَقَطْ لإِنْجَابِ ٱلْوَلَدِ ٱلَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنَ ٱلسِّيَادَةِ، وَيُؤَهِّلُهُ ذَكَاؤُهُ ٱلْوِرَاثِيُّ لِلْقِيَادَةِ حَيْثُ تَشِيعُ ٱلْحِكْمَةُ «كَادَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَنْ تَلِدَ أَخَاهَا» وَإِنَّمَا كَانَ أَيْضاً لارْتِبَاطِ ٱلأُسَرِ ذَاتِ ٱلْمَكَانَةِ بِنَوْعٍ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ وَإِمْكَانِيَّةِ إِيجَادِ نَوْعٍ مِنَ ٱلْوَشَائِجِ؛ يَجْعَلُهَا تَقِفُ صَفّاً وَاحِداً أَمَامَ أَعْدَائِهَا.

كَانَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ ٱثْنَيْ عَشَرَ بَطْناً، وَإِذَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْقَبِيلَةُ كُلُّهَا يَداً وَاحِدَةً أَمَامَ ٱلْقُرَىٰ ٱلأُخْرَىٰ أَوِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلثَّانِيَةِ ٱلَّتِي تُقِيمُ خَارِجَ حَرَمِهَا إِلاَّ أَنَّ بُطُونَهَا كَثِيراً ما كَانَتْ تَتَنَافَرُ وَتَخْتَلِفُ، وَتَتَبَايَنُ آراؤُهَا وَتَنْقَسِمُ، وَقَدْ يُؤَدِّي هٰذَا إِلَىٰ ٱلْعَدَاوَةِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَتَكُونُ ٱلْغَلَبَةُ بِلاَ شَكٍّ لأَكْثَرِهَا عَدَداً أَوْ أَكْبَرِهَا حِلْفاً[1]، أَوْ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلَّتِي لَهَا بَيْنَ ٱلْبُطُونِ ٱلأُخْرَىٰ قَرَابَاتٌ تَجْعَلُهَا تَقِفُ إِلَىٰ جَانِبِهَا أَوْ تُدَافِعُ عَنْهَا، أَو يُخَذِّلُ بَعْضَ ٱلأَحْلاَفِ عَنْهَا فَيَكُونُ لَهَا ٱلْمَوْقِفُ ٱلَّذِي تُحْسَدُ عَلَيْهِ.

وَنَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ مُنْذُ أَوَّلِ عَهْدِهَا كَيْفَ كَانَ لِدَوْرِ ٱلْقَرَابَةِ أَثَرٌ لاَ يُنْكَرُ، وَلِدَوْرِ ٱلصِّلاَتِ أَهَمِّيَّةٌ لاَ يُمْكِنُ إِغْفَالُهَا، سَوَاءً أَكَانَ فِي ٱلدِّفَاعِ عَنْ هٰذا ٱلدِّينِ

(١) الحِلْفُ: المعاهدة على التعاضد والتساعد.

ٱلْجَدِيدِ أَمْ فِي ٱعْتِنَاقِ وَحِمَايَةِ بَعْضِ أَفْرَادِهِ، وَيَبْدُو هٰذا بِشَكْلٍ وَاضِحٍ جَلِيٍّ فِي إِسْلاَمِ حَمْزَةَ[1] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَحِمَايَةِ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَإِجَارَةِ ٱلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ[2] لَهُ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ ٱلطَّائِفِ، وَأَمْرِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلْمَخْزُومِيِّ[3] فِي نَقْضِ صَحِيفَةِ ٱلْمُقَاطَعَةِ، وَمَدِّ يَدِ ٱلْعَوْنِ

(١) كان أبو جهل قد اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله، فأقبل نحو أبي جهل حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة، وقامت رجال من بني مخزوم قبيلة أبي جهل لينصروا صاحبهم من حمزة وقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبوت؟ قال حمزة ومن يمنعني وقد استبان لي منه ما أشهد أنه رسول الله وان الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين. وكان هذا سبب اسلام حمزة رضي الله عنه.

(٢) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، رئيس بني نوفل في الجاهلية، وقائدهم في حرب الفجار، ولما انصرف رسول الله ﷺ عن أهل الطائف وعاد متجهاً إلى مكة، نزل بقرب ـ حراء ـ فبعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه في دخول مكة فامتنعوا، فبعث إلى المطعم بن عدي بذلك، فتسلح المطعم وأهل بيته وخرج بهم حتى أتوا المسجد، فأرسل من يدعو النبي ﷺ للدخول، فدخل مكة وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله آمناً. وهو الذي أجار سعد بن عبادة، وقد دخل مكة معتمراً، وتعلقت به قريش، فأجاره مطعم، وأطلقه، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وعمي في كبره ومات قبل معركة بدر، وهو على دين آبائه.

(٣) زهير بن أبي أمية المخزومي: ابن عمة رسول الله ﷺ عاتكة، وأخو أم سلمة زوج رسول الله. اشترك مع المطعم ابن عدي وهشام بن عمرو في تمزيق =

إِلَىٰ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَقَدْ قَاطَعَتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ، وَٱبْتَعَدَ عَنْهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَتِهِمْ.

كَانَ مِنْ أَشْهَرِ بُطُونِ قُرَيْشٍ وَفِي مَرْكَزِ ٱلذُّؤَابَةِ فِيهَا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَإِنْ كَانَ قَدِ ٱنْقَسَمَ هٰذَا ٱلْفَرْعُ إِلَىٰ هَاشِمِيِّينَ وَأُمَوِيِّينَ إِلاَّ أَنَّهُ يُعَدُّ فَرْعاً وَاحِداً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِمَّا كَانَ مِنْ تَسَابُقٍ عَلَىٰ ٱلزَّعَامَةِ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْفَخْذَيْنِ.

كَانَ بَنُو هَاشِمٍ فِي مَرْكَزِ ٱلصَّدَارَةِ بَيْنَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ مَرْكَزاً عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، وَقَدْ جَمَعَ عِدَّةَ نِسَاءٍ مِنْ بُطُونِ قُرَيْشٍ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَبِخَاصَّةٍ تِلْكَ ٱلَّتِي لَهَا شُهْرَتُهَا وَلَهَا وَزْنُهَا وَقِيمَتُهَا، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ جَدَّةُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وُلِدَ لَهُ مِنْهَا عَبْدُ مَنَافٍ (أَبُو طَالِبٍ) وَٱلزُّبَيْرُ وَعَبْدُ ٱللهِ وَبَنَاتُهُ كُلُّهُنَّ بِٱسْتِثْنَاءِ صَفِيَّةَ، وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ ثَانِيَةٌ هِيَ هَالَةُ بِنْتُ أُهَيْبِ ٱلزُّهْرِيَّةُ بِنْتُ عَمِّ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ

الصحيفة، اذ خاطب أهل مكة قائلاً: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة وايده زمعة بن الاسود وأبو البختري بن هشام بن عمرو والمطعم بن عدي ثم قام الاخير إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد اكلتها إلا باسمك اللهم.

أُمِّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا حَمْزَةُ وَصَفِيَّةُ... إضَافَةً إِلَىٰ نِسَاءٍ أُخْرَيَاتٍ، كُلُّهُنَّ مِنْ أُسَرٍ مَرْمُوقَةٍ وَفُرُوعٍ مَعْرُوفَةٍ، فَكَانَ عَدَدُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةً، وَلَهُ مِنَ ٱلْبَنَاتِ سِتٌّ، وَكَذا ٱخْتَارَ عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ لأَبْنَائِهِ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ، وَفي ٱلْوَقْتِ ذَاتِهِ فَقَدْ كَانَتْ بَنَاتُهُ تَحْتَ أَبْنَاءِ سَادَةِ قُرَيْشٍ. وَلِهٰذَا كُلِّهِ فَقَدْ زَادَ مَرْكَزُهُ بَيْنَ أَفْرَادِ قُرَيْشٍ عَامَّةً.

كَانَتْ بَنَاتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ نِسَاءً ذَوَاتِ وَلَدٍ وَوُدٍّ، أَنْجَبْنَ ٱلْكَثِيرَ، وَطَمِعَ في زَوَاجِهِنَّ ٱلْكَثِيرُ، تَزَوَّجَتْ إِحْدَاهُنَّ، وَهِيَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَحَدَ ٱلْعَامِرِيِّينَ ٱلْمَشْهُورِينَ سَبْرَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ، وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْجَبَتْ غُلَاماً عُرِفَ بِٱسْمِ رُهْمٍ. تَرَعْرَعَ هٰذَا الغُلَامُ عَلَىٰ ٱلتَّرَفِ وَٱلنَّعِيمِ حَتَّىٰ عُرِفَ أَبُوهُ بِهِ لِشِدَّةِ ٱلْوَلَعِ بِهِ، فَلَمْ يُعْرَفِ ٱلأَبُ إِلاَّ بِٱسْمِ ٱبْنِهِ فَيُقَالُ أَبُو رُهْمٍ، وَكَذَا لَمْ يُعْرَفِ ٱلإِبْنُ إِلاَّ بِكُنْيَتِهِ فَيُقَالُ: أَبو سَبْرَةَ. وَٱلْكُنْيَةُ دَلِيلُ ٱلإِحْتِرَامِ وَٱلْحُبِّ. وَتَكْنِيّ ٱلْعَرَبُ عَادَةً ٱلأَبْنَاءَ بِآبائِهِمْ وَبِخَاصَّةٍ ٱلْوَلَدَ ٱلأَكْبَرَ، وإِذا فُقِدَ ٱلأَبُ، وَٱرْتَحَلَ عَنِ ٱلأُسْرَةِ إِلَىٰ ٱلْحَيَاةِ ٱلآخِرَةِ، بَقِيَ ٱسْمُهُ مَذْكُوراً.

لَمْ تَطُلْ حَيَاةُ بَرَّةَ مَعَ سَبْرَةَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ إِذْ تُوفِّيَ عَنْهَا، إِلاَّ أَنَّ بَنَاتِ ٱلزُّعَمَاءِ قَلَّمَا يَقْعُدْنَ بِلاَ زَوَاجٍ، وَإِنْ تَقَدَّمَتْ

بِهِنَّ ٱلسِّنُّ أَوْ كَثُرَ لَهُنَّ ٱلْوَلَدُ. إِذْ غَالِباً مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِنَّ ٱلأَشْرَافُ، يَطْلُبُونَ ٱلزَّوَاجَ مِنْهُنَّ لِصِلَةِ ٱلنَّسَبِ وَرَبْطِ ٱلأُسَرِ وَإِنْجَابِ ٱلْوَلَدِ وَبِخَاصَّةٍ فِي ٱلْبِيئَةِ ٱلْقَبَلِيَّةِ ٱلَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَىٰ كَثْرَةِ ٱلْوَلَدِ وَقِيَامِ ٱلأَحْلاَفِ وَٱلْخُصُومَاتِ ٱلدَّائِمَةِ.

تَقَدَّمَ إِلَىٰ بَرَّةَ بِنْتِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَحَدُ ٱلْمَخْزُومِيِّينَ ٱلْمَشْهُورِينَ وَهُوَ عَبْدُ ٱلأَسَدِ بْنُ هِلاَلٍ ٱلْمَخْزُومِيُّ، وَوَافَقَ أَبُوهَا عَلَىٰ ٱلزَّوَاجِ، وَٱنْتَقَلَتْ بَرَّةُ مِنْ بَيْتِ عَامِرِيٍّ عُرِفَ بِٱلصَّدَارَةِ إِلَىٰ بَيْتِ مَخْزُومِيٍّ لاَ يَقِلُّ عَنِ ٱلأَوَّلِ وَجَاهَةً، وَلَمْ تَلْبَثْ بَرَّةُ أَنْ أَنْجَبَتْ مِنْ عَبْدِ ٱلأَسَدِ وَلَداً عُرِفَ بِٱسْمِ عَبْدِ ٱللهِ وَهُوَ أَبُو سَلَمَةَ ٱلَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ ـ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ـ فِي بَحْثٍ خَاصٍّ.

عَاشَ أَبُو سَبْرَةَ بَيْنَ ٱلْعَامِرِيِّينَ يَتِيماً وَلٰكِنَّهُ مَوْضِعُ ٱلاِحْتِرَامِ وَٱلتَّقْدِيرِ مِنْ كُلِّ أَفْرَادِ ٱلْقَبِيلَةِ، فَمَا كَادَ يَبْلُغُ سِنَّ ٱلشَّبَابِ حَتَّىٰ ٱخْتِيرَتْ لَهُ إِحْدَىٰ فَتَيَاتِ بَنِي عَامِرٍ لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ وَهِيَ أُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرو، فَقَدْ عُرِفَتْ هِيَ بِجَمَالِهَا وَعُرِفَ أَبُوهَا بِوَجَاهَتِهِ وَتَمَّ ٱلزَّوَاجُ، وَعَاشَ كِلاَ ٱلْعَرُوسَيْنِ حَيَاةً هَنِيئَةً لاَ يُعَكِّرُ صَفْوَهَا مُعَكِّرٌ بَيْنَ أَحْضَانِ بَنِي عَامِرٍ.

لَمْ تَطُلِ ٱلأَيَّامُ بِأَبِي سَبْرَةَ حَتَّىٰ ٱنْطَلَقَتِ ٱلدَّعْوَةُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ

عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ (ٱبْنِ خَالِهِ) وَرَنَّتْ أَصْدَاؤُهَا فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ حَدِيثَ ٱلْقَوْمِ فِي كُلِّ نَادٍ. وَبَدَأَتْ أَشِعَّةُ ٱلنُّورِ تَصِلُ إِلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْعُقُولِ. وَإِذَا كَانَتْ قَدْ أَغْشَتْ بِقُوَّتِهَا أَعْيُنَ بَعْضِ ٱلْكُبَرَاءِ، فَأَعْمَتْهُمْ زَعَامَتُهُمْ عَنْ أَنْ يَرَوُا ٱلنُّورَ، فَبَقُوا عَلَىٰ ٱلشِّرْكِ وَٱلْوَثَنِيَّةِ، إِلاَّ أَنَّ ٱلأَبْنَاءَ قَدْ أَسْرَعُوا فِي تَلْبِيَةِ ٱلدَّعْوَةِ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ وُضُوحُهَا وَرَجَاحَةُ عَقْلِهِم وَعَدَمُ ٱلْغَطْرَسَةِ، إِذْ لَمْ يَعُدْ يَعْنِيهِمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِٱللهِ ذَلِكَ ٱلْمَرْكَزُ ٱلَّذِي خَشِيَ آبَاؤُهُمْ ٱلْجَاهِلِيُّونَ ضَيَاعَهُ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي طَلِيعَةِ هٰؤُلَاءِ ٱلشُّبَّانِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَزَادَتْ رَوَابِطُ ٱلْقَرَابَةِ مَتَانَةً وَأَوَاصِرُ ٱلْمَحَبَّةِ قُوَّةً، بَلْ إِنَّ رَابِطَةَ ٱلْعَقِيدَةِ لاَ تَعْدِلُهَا رَابِطَةٌ، وَلاَ تُسَاوِيهَا صِلَةٌ، وَلاَ يُكَافِئُهَا لِقَاءٌ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَائِدَ أَبِي سَبْرَةَ وَزَعِيمَهُ وَسَيِّدَهُ وَحَبِيبَهُ وَفَوْقَ ذٰلِكَ كُلِّهِ رَسُولَهُ ٱلأَمِينَ مِنَ ٱللهِ تَعَالَىٰ لِهِدَايَةِ ٱلْبَشَرِ أَجْمَعِينَ. وَأَسْلَمَتْ مَعَ أَبِي سَبْرَةَ زَوْجُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرو[1]، وَلَمْ يُخِفْهَا مَا عُرِفَ عَنْ أَبِيهَا مِنْ عِدَاءِ

(١) أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو: وامها فاختة بنت عامر بن نوفل بن عبد مناف وقد ولدت لأبي سبرة محمداً وعبد الله.

لِلإِسْلاَمِ وَوُقُوفِهِ ضِدَّهُ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وَنَادٍ[١]، بَلْ لَمْ تَكُنْ هِيَ ٱلْمُؤْمِنَةَ ٱلْوَحِيدَةَ فِي ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ فَأُخْتُهَا سُهَيْلَةُ[٢] زَوْجُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ[٣] كَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِضَافَةً إِلَىٰ ٱلرِّجَالِ فَأَخُوهَا عَبْدُ ٱللهِ[٤] وَأَعْمَامُهَا حَاطِبٌ[٥] وَسَلِيطٌ[٦]

---

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي، العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر، وافتدى، وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية من جانب المشركين، وأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة فأسلم، وسكنها ثم سكن المدينة، واشترك في الفتوح، وكان من قادة اليرموك، وتوفي بالطاعون في الشام عام ١٨ للهجرة، ويقال انه استشهد يوم اليرموك.

(٢) سهيلة بنت سهيل بن عمرو: وامها فاطمة بنت عبد العزى ابن أبي قيس من رهط زوجها سهيل بن عمرو.

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: صحابي هاجر إلى الحبشة مع زوجته سهيلة ثم إلى المدينة. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، واستشهد يوم اليمامة عام ١٢ هـ وكان اسمه هشيم وقيل هاشم، وقد آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عباد بن بشر وقد قتلا شهيدين يوم اليمامة.

(٤) عبد الله بن سهيل بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وبعد عودته من هجرته عاش مستضعفاً في مكة إذ لم يستطع الهجرة إلى المدينة، فلما كانت بدر خرج مع أهل مكة ثم فر إلى المسلمين فشهدها معهم واستشهد يوم اليمامة ١٢ هـ.

(٥) حاطب بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وشهد بدراً، وقيل أنه آخر من خرج من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب أي لم يشهد بدراً. كما قالوا: أنه هو الذي زوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة.

(٦) سليط بن عمرو: أول من هاجر إلى الحبشة، واستشهد يوم اليمامة.

وَٱلسَّكْرَانُ[1] كُلُّهُمْ كَانُوا قَدْ دَانُوا بِٱلإِسْلاَمِ وَٱعْتَنَقُوهُ.

وَٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلطَّلِيعَةِ ٱلْمُؤْمِنَةِ وَتَحَمَّلَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ما تَحَمَّلَ مِنْ عَذَابٍ مَادِّيٍّ وَحَرْبٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَلَمْ يُرَ إِلاَّ صَابِراً صَامِتاً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا لَقِيَ.

فلمَّا رَأَى رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ ٱلْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنَ ٱللهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، قَالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ ٱللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

فَخَرَجَ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، مَخَافَةً مِنَ ٱلْفِتْنَةِ وَفِرَاراً إِلَىٰ اللهِ بِدِينِهِم، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَتِهِ فِي ٱلإِسْلاَمِ، وَلَعَلَّ هٰذَا إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّ ٱلدُّعَاةَ يَجِبُ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَىٰ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَرَوْنَ فِيهِ ٱلْمُنَاخَ

---

(١) السكران بن عمرو: هاجر إلى الحبشة مع زوجته سودة بنت زمعة ابنة عمه وبعد عودته من هجرته إلى مكة بشهر توفي وذلك قبل هجرة المسلمين إلى المدينة. وقد تزوج رسول الله ﷺ بزوجه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

ٱلْمُلاَئِمَ لِلدَّعْوَةِ مَهْمَا بَعُدَ هٰذَا ٱلْمَكَانُ، أَوِ ٱخْتَلَفَتْ هُوِيَّةُ أَبْنَائِهِ.

كَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَيْنَ هٰؤُلاَءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ مُطِيعاً مُنَفِّذاً إِشَارَةَ نَبِيِّهِ ، وَكَانَتْ مَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ كُلْثُومٍ.

لَمْ يَطُلْ مُكْثُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحَبَشَةِ إِذْ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ مِنْ خُرُوجِهِمْ رَجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ حَيْثُ لَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمُ ٱلإِقَامَةُ هُنَاكَ؛ لأَنَّهُمْ قَلِيلُو ٱلْعَدَدِ - وَفِي ٱلْكَثْرَةِ بَعْضُ ٱلأُنْسِ - وَأَضِفْ إِلَىٰ ذٰلِكَ أَنَّهُمْ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ ، وَمَعَهُمْ نِسَاؤُهُمْ، وَهٰؤُلاءِ لاَ يَطِيبُ لَهُمْ عَيْشٌ فِي دَارِ غُرْبَةٍ بِهٰذِهِ ٱلْحَالَةِ[1].

وَعِنْدَمَا رَجِعُوا إِلَىٰ مَكَّةَ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ أَشَدَّ غُرْبَةً مِمَّا كَانُوا فِي أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، وَرَأَوا ٱلأَذَىٰ يَحِيقُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَقُرَيْشٌ قَدْ قَرَّرَتْ مُقَاطَعَةَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ وَٱلتَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ؛ فَلاَ يَبِيعُونَهُمْ شَيْئاً ، وَلاَ يَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا مُحَمَّداً - ﷺ - لِلْقَتْلِ وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً، وَضَعُوهَا فِي جَوْفِ ٱلْكَعْبَةِ، فَانْحَازَ بِسَبَبِ ذٰلِكَ بَنُو

---

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص ٥٨.

هَاشِمٍ إِلَىٰ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ بَنُو ٱلْمُطَّلِبِ سَوَاءٌ فِي ذٰلِكَ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، مَا عَدَا أَبَا لَهَبٍ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَ قُرَيْشٍ، وَٱنْخَذَلَ عَنْهُمْ بَنُو عَمَّيْهِمِ عَبْدِ شَمْسٍ وَنَوْفَلٍ ٱبْنَيْ عَبْدِ مَنَافٍ، فَجَهَدَ ٱلْقَوْمُ حَتَّىٰ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَرَقَ ٱلشَّجَرِ، وَكَانَ أَعْدَاؤُهُمْ يَمْنَعُونَ ٱلتُّجَّارَ مِنْ مُبَايَعَتِهِمْ، وَفِي مُقَدِّمَةِ ٱلْمَانِعِينَ أَبُو لَهَبٍ.

وَبَعْدَ دُخُولِ ٱلرَّسُولِ وَقَوْمِهِ ٱلشِّعْبَ، أَمَرَ جَمِيعَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ؛ حَتَّىٰ يُسَاعِدَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَىٰ ٱلاغْتِرَابِ، فَهَاجَرَ مُعْظَمُهُمْ، وَكَانُوا نَحْوَ ثَلاثَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلاً وَثَمَانِيَ عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي مُقَدِّمَةِ هٰؤُلاَءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ مَعَ زَوْجِهِ أُمِّ كُلْثُومٍ ،بِنْتِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو. إِلاَّ أَنَّ ٱلْغُرْبَةَ أَثَّرَتْ عَلِيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ أَخَفَّ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلأُولَىٰ لِكَثْرَتِهِمُ ٱلآنَ، وَبَدَأَتْ تَصِلُ إِلَيْهِمُ ٱلأَخْبَارُ بِقُوَّةِ ٱلإِسْلاَمِ ٱلْجَدِيدَةِ بَعْدَ إِسْلاَمِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ وَنَقْضِ ٱلصَّحِيفَةِ وَخُرُوجِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلشِّعْبِ، فَبَدَأُوا يَعُودُونَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلَّذِينَ عَادُوا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ دُخُولَ مَكَّةَ إِلاَّ مُسْتَخْفِياً أَوْ فِي جِوَارِ أَحَدٍ، وَكَانَ عَدَدُ ٱلَّذِينَ عَادُوا مِنَ

ٱلْحَبَشَةِ ثَلاَثَةً وَثَلاَثِينَ رَجُلاً .

مَكَثَ أَبُو سَبْرَةَ فِي مَكَّةَ يَتَحَمَّلُ ٱلضَّنْكَ وَٱلأَذَىٰ، وَكَانَ ٱلإِسْلاَمُ قَدْ ظَهَرَ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ يَنْتَشِرُ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَكَانَتْ بَيْعَةُ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةُ قَدْ تَمَّتْ بَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَبَيْنَ ٱلأَنْصَارِ. فَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَسَارَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُهَاجِراً فِرَاراً بِدِينِهِ، وَقَدِ ٱعْتَادَ ذٰلِكَ، فَقَدْ سَبَقَ لَهُ أَنْ هَاجَرَ هِجْرَتَيْنِ ، وَبِٱلْهِجْرَةِ يَتَمَكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ ٱللهِ ٱلَّذِي ٱمْتَزَجَ حُبُّهُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَقَدْ صَارَ لاَ يَعْبَأُ بِمُفَارَقَةِ ٱلأَهْلِ وَٱلدِّيَارِ، وَلاَ يَهْتَمُّ بِٱلْعَشِيرَةِ وَٱلأَوْطَانِ .

أُذِنَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ، وَٱنْتَقَلَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا وَأَقَامَ؛ بَدَأَ يُؤَاخِي بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ. وَكَانَ أَبو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَسَلَمَةُ بْنُ سَلاَمَةَ ابْنِ وَقَشٍ [1] مِنَ ٱلأَوْسِ أَخَوَيْنِ. وَعَاشَ أَبُو سَبْرَةَ فِي ٱلْمَدِينَةِ صَامِتاً، إِذَا أَمَرَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلاَلْتِحَاقَ بِغَزْوَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ

(١) يقال أن سلمة بن سلامة والزبير بن العوام كانا أخوين. والواقع أن الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود كانا أخوين، ولعل هذا الخلاف لأن الزبير وأبا سبرة كانا ينزلان معاً على منذر بن محمد بن عقبة.

سَارَ طَائِعاً. وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ وَٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ يَنْزِلانِ عَلَىٰ مُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أُحَيْحَةَ.

أُذِنَ لِلْمُسْلِمِينَ بِٱلْقِتَالِ «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا. وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ»(١) وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَعْتَرِضُونَ قَافِلَةَ قُرَيْشٍ إِلاَّ أَنَّ ٱللَّهَ أَرَادَ لَهُمْ ذَاتَ ٱلشَّوْكَةِ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي عِدَادِ جُنْدِ ٱللَّهِ، وَقَدْ أَبْلَىٰ بَلاَءً حَسَناً، كَمَا أَبْلَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَعْرَكَةُ فُرْقَاناً بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ.

وَشَهِدَ أَبُو سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٱلْمَشَاهِدَ جَمِيعَهَا مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، لَمْ يَتَوَانَ فِي غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يُرَىٰ فِي كُلٍّ مِنْهَا هَادِئاً، فَإِذَا جَدَّ ٱلْجِدُّ، وَٱحْتَدَمَ ٱلْقِتَالُ؛ كَانَ أَسَداً هَصُوراً، يَتَقَدَّمُ نَحْوَ ٱلْعَدُوِّ، لاَ يَثْنِيهِ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ يَفُلَّ سَيْفَهُ أَوْ يَفُلَّ خَصْمَهُ، وَإِذَا ٱنْتَهَىٰ ٱلْقِتَالُ عَادَ إِلَيْهِ هُدُوءُهُ.

أَعَدَّ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بَعْثَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَبْلَ مُفَارَقَتِهِ ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ هٰذَا

---

(١) الحج الآية ٤٠.

ٱلْبَعْثِ مَعَ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ ٱلْجَيْشَ قَدْ تَوَقَّفَ بِسَبَبِ وَفَاةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ ٱلْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنْ سَيَّرَ هٰذَا ٱلْجَيْشَ بَعْدَ وَفَاةِ ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ؛ إِذْ لَمْ يَرْضَ أَنْ يَحُلَّ لِوَاءً جَهَّزَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ.

وَٱنْتَقَضَتِ ٱلْجَزِيرَةُ بَعْدَ ٱنْتِقَالِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ حُكْمِ ٱلْمَدِينَةِ، وَجَرَّدَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِقِتَالِ ٱلْمُرْتَدِّينَ، وَلَبَّىٰ أَبُو سَبْرَةَ ٱلدَّعْوَةَ، وَٱشْتَرَكَ فِي هٰذَا ٱلْقِتَالِ حَتَّىٰ دَانَتِ ٱلْجَزِيرَةُ مَرَّةً أُخْرَىٰ لِلْحُكْمِ ٱلْإِسْلَامِي.

تَحَرَّكَ ٱلْجَيْشُ ٱلْإِسْلَامِيُّ نَحْوَ ٱلْعِرَاقِ يَنْشُرُ ٱلدِّينَ، وَيَدُكُّ أَرْكَانَ ٱلظُّلْمِ، وَيُقَاتِلُ ٱلطُّغَاةَ فِي كُلِّ أَرْضٍ، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَةُ مَيْدَانَ جِهَادِ أَبِي سَبْرَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، يُجَاهِدُ جُنْدِيّاً مَجْهُولاً تَحْتَ رَايَةِ كُلِّ قَائِدٍ، لاَ هَمَّ لَهُ سِوَىٰ نَشْرِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلَّذِي قَضَىٰ أَكْثَرَ حَيَاتِهِ فِي ٱلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

ثُمَّ فُتِحَ جَنُوبِيُّ ٱلْعِرَاقِ عَلَىٰ يَدِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ ٱلْأَمْرُ بِٱلِٱنْتِقَالِ إِلَىٰ ٱلشَّامِ بِقِسْمٍ مِنْ جُنْدِهِ لِمُسَاعَدَةِ ٱلْجُيُوشِ فِيهَا. ٱنْتَقَلَ خَالِدٌ إِلَىٰ ٱلشَّامِ وَأَبْقَىٰ قِسْماً مِنْ جُنْدِهِ فِي ٱلْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِمُ ٱلْمُثَنَّىٰ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ مَعَ ٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلَّذِينَ بَقُوا فِي ٱلْعِرَاقِ.

سَافَرَ ٱلْمُثَنَّىٰ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ يَطْلُبُ ٱلْمَدَدَ، وَتُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَقَامَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِٱلأَمْرِ، وَعَمِلَ بِوَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ، فَدَعَا إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ، وَطَلَبَ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ[1] إِعَادَةَ جُنْدِ خَالِدٍ إِلَىٰ ٱلْعِرَاقِ. وَجَعَلَ عُمَرُ أَبَا عُبَيْدٍ[2] عَلَىٰ رَأْسِ ٱلْجَيْشِ ٱلْمُتَّجِهِ نَحْوَ ٱلْعِرَاقِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ ٱلْجِسْرِ ٱلَّتِي ٱسْتَشْهَدَ فِيهَا أَبُو عُبَيْدٍ وَعَدَدٌ مِنْ ٱلْقَادَةِ، وَرَجَعَتِ ٱلإِمْرَةُ إِلَىٰ ٱلْمُثَنَّىٰ[3] وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْبُوَيْبِ[4] ٱلَّتِي ٱنْتَصَرَ فِيهَا ٱلْمُسْلِمُونَ.

---

(١) أصبح أبو عبيدة عامر بن الجراح قائد جند الشام بعد أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة.

(٢) أبو عبيد بن مسعود الثقفي، قائد أول جيش سيّره عمر بن الخطاب، وكان عمر لا يسلم القيادة إلا إلى الصحابة ولم يكن أبو عبيد صحابياً ولكنه أعطاه القيادة بصفته أول من لبى داعي الجهاد، وقد استشهد في معركة الجسر عام ١٣ هـ، وهو والد المختار الثقفي.

(٣) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صحابي، فاتح، أسلم سنة تسع، وقدم على أبي بكر فأمره على قومه وأمده بخالد بن الوليد، وأمده عمر بأبي عبيد وقد جرح في معركة الجسر، ثم عوفي، ثم أمده بسعد بن أبي وقاص، وانتقضت عليه جراحته فمات قبل وصول سعد إليه وذلك عام ١٤ هـ.

(٤) البويب: مكان قرب الكوفة جرت فيه معركة عظيمة، انتصر فيها المسلمون الذين كان يقودهم المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجلي الذي جاء مدداً للمثنى وذلك عام ١٣ هـ.

بَعَثَ ٱلْخَلِيفَةُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَمِيراً عَلَىٰ ٱلْعِرَاقِ وَمَعَهُ سِتَّةُ آلاَفِ رَجُلٍ، وَحَدَثَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْقَادِسِيَّةِ ٱلَّتِي ٱنْتَصَرَ فِيهَا ٱلْمُسْلِمُونَ نَصْراً مُؤَزَّراً، وَعَادَتِ ٱلْعِرَاقُ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ، وَكَانَتْ قَدْ نَقَضَتِ ٱلْعَهْدَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ فِي ٱلْمَرَّةِ ٱلأُولَىٰ.

أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّاب إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَبْعَثَ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ[1] إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْبَصْرَةِ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ آنَذَاكَ بِٱسْمِ أَرْضِ ٱلْهِنْدِ. فَسَارَ عُتْبَةُ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْجِهَاتِ وَفَتَحَ ٱلأُبُلَّةَ[2] وَكَانَ أَبُو سَبْرَةَ فِي عِدَادِ جَيْشِ عُتْبَةَ.

لَقَدْ آنَ لأَبِي سَبْرَةَ أَنْ يُعْرَفَ، وَقَدْ حَاوَلَ أَلاَّ يَظْهَرَ فِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةِ ٱلطَّوِيلَةِ كُلِّهَا وَفِي ٱلْغَزَوَاتِ ٱلَّتِي خَاضَهَا جَمِيعِهَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَجْهُولاً يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ لاَ

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله: باني مدينة البصرة صحابي، من أوائل الذين اسلموا. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم شهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، مات وهو في الطريق إلى المدينة عام ١٧ هـ، ويعد من الرماة المعدودين، وكان طويلاً جميلاً، وقد روى أربعة أحاديث عن النبي ﷺ.

(٢) الابلة: موقع البصرة الحالي، إذ أن البصرة قد اختطها عتبة عام ١٦ هـ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ، وَلاَ أَنْ يُذْكَرَ ٱسْمُهُ إِلاَّ أَنَّ ٱلأَيَّامَ قَدْ كَشَفَتْهُ، وَٱلْمَعَارِكَ ٱلَّتِي جَدَّتْ قَدْ تَطَلَّبَتْ أَنْ يَكُونَ ٱلْقَائِدَ لَهَا، وَٱلْجُنْدَ ٱلَّذِينَ عَرَفُوهُ فِي قِتَالِهِ قَدْ رَغِبُوا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ مُقَدِّمَتِهِمْ، وَٱلأَبْطَالَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَكُوا مَعَهُ فِي ٱلْحُرُوبِ قَدْ قَدَّمُوهُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لِمَا رَأَوْا مِنْهُ.

غَزَا ٱلْعَلاَءُ ٱلْحَضْرَمِيُّ[1] وَالِي ٱلْبَحْرَيْنِ فَارِسَ إِلاَّ أَنَّ جَيْشَهُ قَدْ أَحَاطَ بِهِ ٱلْفُرْسُ وَأَصْبَحَ مُهَدَّداً بِٱلْفَنَاءِ، فَكَتَبَ عُمَرُ ابْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُرْسِلَ جَيْشاً كَثِيفاً إِلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي فَارِسَ قَبْلَ أَنْ يَهْلَكُوا، فَأَرْسَلَ عُتْبَةُ هٰذَا ٱلْجَيْشَ، وَفِيهِ كِبَارُ ٱلْقَادَةِ، وَكَانَ تَعْدَادُهُ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً، وَعَلَيْهِ أَبُو سَبْرَةَ قَائِداً. فَٱسْتَطَاعَ هٰذَا ٱلْقَائِدُ ٱلْجَدِيدُ وَٱلصَّحَابِيُّ ٱلشَّيْخُ أَنْ يُنْقِذَ ٱلْجَيْشَ ٱلإِسْلاَمِيَّ وَأَنْ يَنْتَصِرَ عَلَىٰ ٱلْفُرْسِ، ثُمَّ عَادَ بِجَيْشِهِ إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ وَقَدْ حَقَّقَ ما طُلِبَ مِنْهُ.

ٱسْتَأْذَنَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلْحَجِّ، فَأَذِنَ لَهُ، فَٱسْتَخْلَفَ عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ أَبَا سَبْرَةَ. وَلَكِنَّ عُتْبَةَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ

---

(١) العلاء الحضرمي: صحابي أصله من حضرموت سكن أبوه مكة فولد فيها، ولاه رسول الله البحرين وبقي عليها حتى مات عام ١٢ هـ.

تُوُفِّيَ، فَأَقَرَّ عُمَرُ أَبَا سَبْرَةَ وَالِياً عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ. وَلٰكِنَّ أَبَا سَبْرَةَ كَانَتْ نَفْسُهُ تَحِنُّ إِلَىٰ ٱلْجِهَادِ وَمُصَارَعَةِ ٱلْأَعْدَاءِ، وَتَطْلُبُ ٱلشَّهَادَةَ، وَتَرَىٰ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلْإِدَارِيِّ مَا تَرَاهُ... فَطَلَبَ مِنَ ٱلْخَلِيفَةِ أَنْ يُعْطِيهِ ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِي فِيهِ مَجَالُ عَمَلِهِ؛ أَلا وَهُوَ ٱلْقِتَالُ. وَٱسْتَجَابَ ٱلْخَلِيفَةُ لِطَلَبِهِ، فَٱسْتَعْمَلَ ٱلْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ[1] عَلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ، وَٱلْتَحَقَ أَبُو سَبْرَةَ بِٱلْجَيْشِ، يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ.

وَبَلَغَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ٱتِّفَاقُ أَهْلِ ٱلْأَهْوَازِ[2] وَفَارِسَ[3] بِقِيَادَةِ ٱلْهُرْمُزَانِ[4] عَلَىٰ قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَكَتَبَ إِلَىٰ سَعْدٍ أَمِيرِ ٱلْكُوفَةِ يَأْمُرُهُ بِتَسْيِيرِ جَيْشٍ مِنَ ٱلْكُوفَةِ

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي: ولد في الطائف. اسلم عام ٥ للهجرة شهد بعدها الفتوح وفقد عينه في معركة اليرموك، ولي البصرة والكوفة، ومات وهو على الكوفة لمعاوية ابن أبي سفيان عام ٥٠ هـ.

(٢) الأهواز: المنطقة السهلية التي تقع شرقي نهر دجلة وشط العرب وهي ضمن حدود ايران اليوم وتعرف باسم (عربستان) الآن، على حين يسميها الفرس (خوزستان).

(٣) فارس الجزء الجنوبي من إيران بين الأهواز في الشمال الغربي ومكران في الجنوب الشرقي، ومن مدنها شيراز.

(٤) الهرمزان: من الذين دافعوا عن الدولة الفارسية في الأهواز، ونقض الصلح، مما جعل المسلمين يحملونه أسيراً إلى المدينة، وقد أتهم بالاشتراك في قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي لؤلؤة.

وَٱلْبَصْـرَةِ بِقِيَـادَةِ أَبِـي سَبْـرَةَ. كَمَـا أَمَـدَّهُ بِـأَبِـي مُـوسَـىٰ ٱلأَشْعَرِيِّ[١]، فَٱسْتَطَاعَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي هٰذَا ٱلْجَيْشِ فَتْحَ مَدِينَةِ (تُسْتُرَ)[٢] وَأَسْرَ ٱلْهُرْمُزَانِ، فَأَرْسَلَهُ أَبُو سَبْرَةَ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ مُوثَقاً مَعَ وَفْدٍ فِيهِمُ ٱلأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ[٣] وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ[٤]. ثُمَّ ٱسْتَطَاعَ أَبُو سَبْرَةَ مُلاَحَقَةَ ٱلْفُرْسِ وَفَتْحَ مَدِينَةِ (ٱلسُّوسِ)[٥] وَذٰلِكَ عَامَ ١٧ هـ ثُمَّ قَصَدَ أَبُو سَبْرَةَ مَدِينَةَ (جُنْدَ يْسَابُورَ)[٦] فَفَتَحَتْ لَهُ ٱلْمَدِينَةُ أَبْـوَابَهَـا وَقَـدْ قَبِلَـتِ ٱلْجِزْيَةَ... وَفِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ ٱلنُّعْمَانِ

---

(١) أبو موسى الأشعري: ولد في زبيد باليمن، وقدم مكة عند ظهور الاسلام فأسلم، وهاجر إلى الحبشة ولاه الرسول على زبيد وعدن، وتولى أمر البصرة أيام عمر ثم تولى أمر الكوفة، وبقي فيها حتى توفي عام ٤٤ هـ.

(٢) تستر: مدينة في شمال الأهواز، تقع على بعد ٩٥ كم من مدينة (الأهواز) وتعرف اليوم باسم (ششتر).

(٣) الأحنف بن قيس: سيد تميم أدرك النبي ﷺ ولم يره، أحد الشجعان الفاتحين، توفي في الكوفة عند مصعب ابن الزبير عام ٧٢ هـ.

(٤) أنس بن مالك: صاحب الرسول وخادمه، أسلم صغيراً، توفي بالبصرة عام ٩٣ هـ وهو آخر من مات من الصحابة فيها.

(٥) السوس مدينة في الأهواز غربي (تستر) إلى الشمال قليلاً تعرف اليوم باسم (شوش).

(٦) جند يسابور: مدينة قديمة تقع بين مدينتي (الأهواز) و (تستر) في منتصف الطريق بينهما، وهي غير معروفة الآن.

ابْنِ ٱلْمُقَرِّنِ ٱلْمُزَنِيِّ[1] يَدْخُلُونَ (نَهَاوَنْدَ).

شَعَرَ أَبُو سَبْرَةَ بِٱلتَّعَبِ بَعْدَ فَتْحِ جُنْدَ يْسَابُورَ، وَرَأَىٰ أَنَّ جِسْمَهُ لَمْ يَعُدْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ ٱلْقِتَالِ فَعَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ - بِإِذْنِ ٱلْخَلِيفَةِ - يُقِيمُ فِيهَا، وَكَانَ قَدْ غَادَرَهَا مُنْذُ عَهْدٍ طَوِيلٍ يَزِيدُ عَلَىٰ عِشْرِينَ سَنَةً قَضَاهَا مُجَاهِداً فِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَعَاشَ بَعْدَهَا ما يَقْرُبُ مِنْ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً تُوُفِّيَ بَعْدَهَا عَامَ ٣٥ هـ. فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

ٱنْتَقَلَ إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّهِ قَرِيرَ ٱلْعَيْنِ، وَكَمْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَلْقَىٰ ٱلشَّهَادَةَ فَقَدْ طَلَبَهَا فِي ٱلْمَعَارِكِ ٱلَّتِي خَاضَهَا كُلَّهَا وَمَا أَكْثَرَهَا وَلَٰكِنَّ ٱللهَ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ.. وَهَٰكَذَا ٱنْتَهَتْ حَيَاةُ ٱبْنِ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ وَٱلْمُجَاهِدِ ٱلْبَطَلِ وَٱلْقَائِدِ ٱلْفَذِّ وَٱلْفَاتِحِ ٱلْكَبِيرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

---

(١) النعمان بن المقرن: أسلم في السنة الخامسة، له عشر أخوة لهم كلهم شرف الصحبة والجهاد والفتح، استشهد في نهاوند عام ٢١ هـ.

-٢-

ابنُ عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي

رضيَ الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو المَخْزُومِيَّةُ زَوْجَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ ٱللَّوَاتِي تَزَوَّجَهُنَّ، فَوَلَدَتْ مِنْهُ ثَلاَثَةَ ذُكُورٍ، وَهُمْ: عَبْدُ مَنَافٍ[1] وَٱلزُّبَيْرُ[2] وَعَبْدُ ٱللهِ[3] كَمَا أَنْجَبَتْ لَهُ خَمْسَ بَنَاتٍ هُنَّ: أُمَيْمَةُ[4] وَأَرْوَى[5] وَبَرَّةُ[6] وَعَاتِكَةُ[7] وَأُمُّ

(١) عبد مناف: ويكنى بأبي طالب، وقد غلبت كنيته على اسمه.

(٢) الزبير: عم رسول الله وشقيق أبيه، تزوج عاتكة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، وكان له منها عبد الله الذي أسلم وثبت مع رسول الله يوم حنين واستشهد في أجنادين.

(٣) عبد الله والد رسول الله ﷺ.

(٤) أميمة: كانت زَوْجَةَ جحش بن رئاب وقد أسلم أولادها جميعاً عبد الله وعبيد الله وعبد (أبو أحمد) وزينب وحمنة وأم حبيبة ثم أرتد عبيد الله في الحبشة.

(٥) أروى: كانت زَوْجَةَ عمير بن وهب بن عبد قصي فولدت له طليباً، ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي.

(٦) برة: وكانت عند أبي رهم بن عبد العزى إلغامري، ثم خلفه عليها بعده عبد الاسد بن هلال المخزومي.

(٧) عاتكة: وكانت زوجة أبي أمية بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيراً.

حَكِيمٍ ٱلْبَيْضَاءُ[1] وَهُنَّ سَائِرُ بَنَاتِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ بِٱسْتِثْنَاءِ صَفِيَّةَ[2].

وَجَرَتْ عَادَةُ ٱلنِّسَاءِ أَنْ يَرْغَبْنَ فِي زَوَاجِ بَنَاتِهِنَّ مِنْ أَبْنَاءِ خُؤُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ خَالاَتِهِنَّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ فَمِنْ أَبْنَاءِ عَشِيرَتِهِنَّ، وَنَرَىٰ هٰذَا بِوُضُوحٍ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْقَبَلِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ قَبِيلَةُ ٱلزَّوْجَةِ ذَاتَ مَكَانَةٍ؛ وَذٰلِكَ لِتَجْعَلَ لِٱبْنَتِهَا مَرْكَزاً، أَوْ لِتَزِيدَ فِي قُوَّةِ عَشِيرَتِهَا إِذَا كَانَ أَصْلُ ٱبْنَتِهَا فِي مَرْكَزِ ٱلسِّيَادَةِ. عَلَىٰ حِينَ أَنَّ ٱلرِّجَالَ يَرْغَبُونَ فِي زَوَاجِ بَنَاتِهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِنَّ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ ٱلأَحْيَانِ - وَفِي ٱلْحَيَاةِ ٱلْقَبَلِيَّةِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ - مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْعَشِيرَةِ ذَاتِ ٱلْقُوَّةِ وَٱلنُّفُوذِ لِيَتَّخِذَ ٱلرَّجُلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّوَاجِ رِبَاطاً بَيْنَ ٱلأُسَرِ يَكُونُ لَهُ فِيهِ مَرْكَزُ ٱلزَّعَامَةِ وَٱلسَّيْطَرَةِ، وَإِذَا كَانَتْ شَخْصِيَّةُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ تَحُولُ دُونَ سَيْطَرَةِ ٱلزَّوْجَةِ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ ٱلْحَيَاةَ ٱلْقَبَلِيَّةَ تَقْضِي

---

(١) أم حكيم البيضاء: وكانت عند كريز بن ربيعة فولدت له (أروى) أم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) صفية: أمها هالة بنت أهيب من بني زهرة، وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم رسول الله، كما أنها انجبت حمزة بن عبد المطلب فصفية وحمزة من أم واحدة هي هالة.

أَنْ يَكُونَ مَرْكَزُ ٱلرَّجُلِ هُوَ ٱلْقَوِيَّ، وَيَضْعُفُ بِقُوَّتِهِ مَرْكَزُ ٱلْمَرْأَةِ مَهْمَا كَانَتْ ذَاتَ شَخْصِيَّةٍ وَجَمَالٍ ، إِلاَّ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَمْرٍو ٱسْتَطَاعَتْ أَنْ يَكُونَ لِأُسْرَتِهَا بَنِي مَخْزُومٍ ٱبْنَتَانِ مِنْ بَنَاتِهَا وَهُمَا : بَرَّةُ وَعَاتِكَةُ ٱبْنَتَا عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، أَوْ أَنَّ عَبْدَ ٱلْمُطَّلِبِ نَفْسَهُ قَدْ رَغِبَ فِي هٰذَا ٱلزَّوَاجِ لِمَكَانَةِ بَنِي مَخْزُومٍ فِي بُطُونِ قُرَيْشٍ .

تَزَوَّجَ عَبْدُ ٱلأَسَدِ بْنُ هِلاَلٍ ٱلْمَخْزُومِيُّ (بَرَّةَ) بِنْتَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَلَىٰ حِينَ كَانَتْ عَاتِكَةُ زَوْجَةَ ٱبْنِ عَمِّهِ أَبِي أُمَيَّةَ[1] ٱبْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَمَضَتِ ٱلأَيَّامُ سِرَاعاً، وَأَنْجَبَتِ ٱلأُخْتَانِ ، فَكَانَ مِنْ أَوْلاَدِ بَرَّةَ عَبْدُ ٱللهِ، وَكَانَ مِنْ أَوْلاَدِ عَاتِكَةَ عَبْدُ ٱللهِ وَزُهَيْرٌ. وَكَانَ عِنْدَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ زَوْجَةٌ ثَانِيَةٌ تُسَمَّىٰ (عَاتِكَةَ) أَيْضاً، وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَ مِنْ بَنَاتِ عَاتِكَةَ بِنْتِ عَامِرٍ (هِنْدُ) وَكَانَ الزَّوَاجُ بَيْنَ عَبْدِ ٱللهِ ابْنِ عَبْدِ ٱلأَسَدِ وَهِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ زَوَاجاً مُبَارَكاً مَبْنِيّاً عَلَىٰ ٱلتَّفَاهُمِ ، وَرَزَقَهُمَا ٱللهُ غُلاَماً عُرِفَ بِٱسْمِ (سَلَمَةَ)، فَكَانَ مَوْضِعَ حُبِّهِمَا، وَكُنِّيَا بِهِ حَتَّىٰ نَسِيَ ٱلتَّارِيخُ ٱسْمَهُمَا ، فَلَمْ

---

(١) أبو أمية: أحد أجواد العرب، وقد سمي « زاد الركب » لأنه كان إذا سافر لا يترك رفاقه في السفر يحملون زاداً معهم، بل يكفيهم من زاده الموفور.

يَذْكُرُهُمَا إِلاَّ بِكُنْيَتِهِمَا.

وَبُعِثَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ﷺ، وَأَسَرَّ دَعْوَتَهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ فَآمَنَ بِهِ مَنْ آمَنَ، وَكَانَ ٱبْنُ عَمَّتِهِ (أَبُو سَلَمَةَ) عَاشِرَ رَجُلٍ دَانَ بِدِينِ ٱلْحَقِّ[1]، فَكَانَ إِذَنْ مِنَ ٱلسَّابِقِينَ ٱلْأَوَّلِينَ إِلَىٰ ٱلْإِسْلاَمِ، وَتَبِعَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ ٱلْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي ٱلْأَرْقَمِ[2].

وَعِنْدَمَا صَدَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلدَّعْوَةِ، وَجَهَرَ بِهَا، وَقَفَتْ عَشِيرَةُ بَنِي مَخْزُومٍ بِرُؤَسَائِهَا ضِدَّ هٰذِهِ ٱلدَّعْوَةِ، حَيْثُ خَافُوا عَلَىٰ مَصَالِحِهِمْ، وَرَأَوْا فِيهَا خَطَراً عَلَىٰ نُفُوذِهِمْ وَسَيْطَرَتِهِمْ،فَبَذَلُوا كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْذُلُوهُ فِي سَبِيلِ إِبْعَادِ ٱلنَّاسِ عَنِ ٱلْإِسْلاَمِ، وَوَأْدِ ٱلدَّعْوَةِ فِي مَهْدِهَا. وَبِسَبَبِ هٰذَا ٱلْعِنَادِ كَانَتِ ٱلْآيَاتُ ٱلَّتِي تَنَزَّلَتْ بِحَقِّ زُعَمَاءِ هٰذِهِ ٱلْقَبِيلَةِ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْآيَاتِ ٱلْأُخْرَىٰ ٱلَّتِي تَنَزَّلَتْ بِحَقِّ زُعَمَاءِ بَقِيَّةِ

---

(١) أسلم قبل أبي سلمة: علي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف.

(٢) الأرقم بن أبي الأرقم: الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، كانت داره مقر الدعوة للاسلام، شهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولم يهاجر إلى الحبشة، توفي عام ٥٥ هـ في المدينة.

ٱلْبُطُون ٱلْقُرَشِيَّةِ ٱلَّذِينَ عَادُوا ٱلدَّعْوَةَ، وَوَهَبُوا وَقْتَهُمْ وَإِمْكَانَاتِهِمْ كَافَّةً بَلْ وَحَيَاتَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱلْوُقُوفِ أَمَامَ ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ فِي ٱلنَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ، فَضْلاً عَمَّا لَحِقَ بِهِمْ مِنْ خِزْيٍ وَعَارٍ وَقَتْلٍ بِأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا [1].

لٰكِنَّ هٰذَا ٱلْعَنَتَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْعَشِيرَةِ، وَذٰلِكَ ٱلاَضْطِهَادَ ٱللَّذَيْنِ أَصَابَا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ وَٱلْمَوَالِيَ فِيهَا عَلَىٰ أَيْدِي كُبَرَائِهَا،

---

(١) من زعماء بني مخزوم: الوليد بن المغيرة، أبو خالد بن الوليد، وقد وقف في وجه الدعوة موقفاً عنيداً وقد نزل في حقه «ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً، ومهدت له تمهيداً، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا، إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر؟ ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر،سأصليه سقر، وما أدراك ما سقر؟، لا تبقي ولا تذر، لواحة للبشر،عليها تسعة عشر» (المدثر). كما أن بعض الروايات تذكر أن الوليد هذا هو الذي نزلت في حقه «ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين، سنسمه على الخرطوم» (القلم).

ومن زعمائهم عمرو بن هشام (أبو جهل) وقد نزل في حقه« كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية، كلا لا تطعه واسجد واقترب» (العلق). وهذه الآيات كلها من أوائل التنزيل ومن أكثر ما فيه من أنواع التهديد والوعيد.

لَمْ يَمْنَعَا نَفَراً غَيْرَ قَلِيلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا مِنْ ٱعْتِنَاقِ ٱلإِسْلاَمِ، وَفِيهِمُ ٱلْمُقَرَّبُونَ إِلَىٰ أُولٰئِكَ ٱلزُّعَمَاءِ ٱلْمُتَغَطْرِسِينَ وَٱلْقَادَةِ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ٱلْمُتَعَنِّتِينَ.

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ ٱللَّيَالِي دَخَلَ أَبُو جَهْلٍ حَيَّ عَشِيرَتِهِ بَنِي مَخْزُومٍ، فَإِذَا بِهِ صَامِتٌ عَلَىٰ غَيْرِ عَادَةٍ، هَادِئٌ عَلَىٰ غَيْرِ ٱلْمَأْلُوفِ، وَإِذَا بِهٰذَا ٱلصَّمْتِ يُخْفِي تَحْتَهُ جَوَانِبَ ٱلْعَارِ، عَلَىٰ حَدِّ زَعْمِ ٱلْجَاهِلِيِّينَ، ٱلْعَارِ ٱلْذِّي لَحِقَ بِٱلْعَشِيرَةِ مِنْ جَرَّاءِ إِيمَانِ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ هٰذَا قَدْ أَصَابَ ٱلْعَشِيرَةَ فِي ٱلصَّمِيمِ، فَأَوْهَنَ جَانِباً كَبِيراً مِنْ عُنْفُوَانِهَا وَكِبْرِيَائِهَا وَعَنَتِهَا، وَرَأَىٰ كُبَرَاؤُهَا وَسَادَاتُهَا أَقْرَبَ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِمْ رَحِماً يَعْتَنِقُونَ ٱلإِسْلاَمَ. وَلَيْسَ ٱعْتِنَاقُ ٱلإِسْلاَمِ - وَحْدَهُ - هُوَ ٱلْمُهِمَّ وَإِنَّمَا مُغَادَرَةُ هٰؤُلاَءِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبِلاَدَ مُتَّجِهِينَ نَحْوَ ٱلْحَبَشَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ خَوْفاً مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ قَوْمُهُمْ. فَرُّوا لاَ يَهْتَمُّونَ بِٱلْعَشِيرَةِ وَلاَ بِأَهْلِهِمْ، فَلَيْسَ لِهٰذَا قِيمَةٌ أَمَامَ ٱلْعَقِيدَةِ. فَقَدْ أَصْبَحَ لَهُمْ أَهْلٌ غَيْرُ أَهْلِيهِمْ وَعَشِيرَةٌ غَيْرُ عَشِيرَتِهِمْ. لَقَدْ أَصْبَحَ ٱلْمُسْلِمُونَ لَهُمْ أَهْلاً مِنْ أَيَّةِ عَشِيرَةٍ وَمِنْ أَيَّةِ طَبَقَةٍ هُمْ. وَأَصْبَحَ ٱلإِسْلاَمُ هُوَ ٱلرَّابِطَةَ ٱلَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ، وَقَدْ كَانَ أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ وَشَائِجِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَرَوَابِطِ ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي كَانَتْ مَعْرُوفَةً آنَذَاكَ،

وَٱلَّتِي لاَ تَزَالُ مَعْرُوفَةً، وَسَتَبْقَىٰ كَذٰلِكَ.

لَقَدْ هَاجَرَ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَبُو سَلَمَةَ وَمَعَهُ زَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَةَ، وَشَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ ٱلشَّرِيدِ[1]، وَهَبَّارُ[2] بْنُ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ ٱلأَسَدِ، وَأَخُوهُ عَبْدُ ٱللهِ[3] بْنُ سُفْيَانَ، وَهِشَامُ[4] ابْنُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَسَلَمَةُ[5] بْنُ هِشَامٍ، وَعَيَّاشُ[6] ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ.

لَقَدْ كَانَتِ ٱلْهِجْرَةُ صَفْعَةً لِوَجْهِ كُلِّ جَاهِلِيٍّ، وَهِزَّةً قَوِيَّةً لِفِكْرِ كُلِّ مُتَعَنِّتٍ، إِنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، أَوْ أَلْقَىٰ ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، وَإِذَا بِهِمْ يُدْرِكُونَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلدَّعْوَةَ غَيْرُ مَا كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ.

---

(١) شماس: واسمه عثمان بن عثمان، وهو إضافة إلى كونه من بني مخزوم هو ابن أخت عتبة بن ربيعة أحد رؤوس الشرك.

(٢) هبَّار: هو ابن أخي أبي سلمة.

(٣) عبد الله: هو أخو هبَّار وابن أخي أبي سلمة أيضاً.

(٤) هشام بن أبي حذيفة: هو ابن أخي الوليد بن المغيرة أحد رؤوس الكفر، وأكبر زعيم في بني مخزوم.

(٥) سلمة: هو أخو أبي جهل أحد زعماء بني مخزوم، وواحد من الذين آذوا رسول الله ﷺ من قبل.

(٦) عياش: ابن أخي الوليد بن المغيرة، وأخو أبي جهل لأمه.

هَاجَرَ هٰؤُلَاءِ جَمِيعاً لاَ يَلْوُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلاَ يُفَكِّرُونَ إِلاَّ فِي ٱلَّذِي هَاجَرُوا مِنْ أَجْلِهِ. لَقَدْ هَاجَرُوا فِي أَرْضٍ مُوحِشَةٍ، فَكَانَتْ أَمَامَهُمْ ذَلُولاً، وَكَانَتْ مُقْفِرَةً، وَلٰكِنَّ نُفُوسَهُمْ أَيْنَعَتْ فِيهَا، لَقَدْ شَعَرُوا بِأَنَّ رِعَايَةَ ٱللهِ كَانَتْ تَكْلَؤُهُمْ، فَقَدْ كَانُوا يُحِسُّونَ بِأَنَّ ٱلْعِنَايَةَ ٱلإِلٰهِيَّةَ تُحِيطُ بِهِمْ حَيْثُ ٱتَّجَهُوا، وَكَأَنَّهَا ظُلَّةٌ فَوْقَهُم.

وَصَلَ هٰؤُلَاءِ ٱلْمُهَاجِرُونَ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ، وَقَضَوْا فِيهَا ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ، لَمْ تَطِبْ لَهُمُ ٱلْحَيَاةُ فِيهَا، فَعَادُوا، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ رَجَعُوا بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عِنْدَمَا أَجْبَرَت قُرَيْشٌ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي ٱلْمُطَّلِبِ عَلَىٰ ٱلْحَيَاةِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا مُحَمَّداً ﷺ، عَادُوا وَقَدِ ٱسْتَسْهَلُوا ٱلطَّرِيقَ، وَٱسْتَعْذَبُوا ٱلْمُرَّ فِي سَبِيلِ ٱللهِ. وَكَانَ ٱلسَّيْرُ فِي ٱلطَّرِيقِ يَحْلُو لَهُمْ حَيْثُ يَرَوْنَ رِعَايَةَ ٱللهِ وَعِنَايَتَهُ تُرَفْرِفَانِ فَوْقَهُم، وَكَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِأَعْيُنِهِم، وَيَلْمَسُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَبَقِيَتْ هٰذِهِ ٱلذِّكْرَىٰ مَاثِلَةً أَمَامَهُمْ طَوَالَ حَيَاتِهِمْ، وَتَحْمِلُ أَجْمَلَ ٱلْمَعَانِي.

وَبَعْدَ حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ قَضَوْهَا فِي ٱلْحَبَشَةِ، وَصَلَتْهُمْ أَخْبَارٌ طَيِّبَةٌ عَنِ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، فَعَادَ مِنْهُم مَنْ عَادَ، وَبَقِيَ عَدَدٌ آخَرُ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ. وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ

مِنَ ٱلَّذِينَ عَادُوا إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلٰكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مُهَاجِرٌ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلاَّ مُسْتَخْفِياً أَوْ فِي جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَقَدْ دَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقٍ: أَمَّا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ ٱلأَسَدِ، فَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ لَمَّا ٱسْتَجَارَ بِأَبِي طَالِبٍ، مَشَىٰ إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ مِنَّا ٱبْنَ أَخِيكَ مُحَمَّداً، فَمَالَكَ وَلِصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟ قَالَ: إِنَّهُ ٱسْتَجَارَ بِي، وَهُوَ ٱبْنُ أُخْتِي، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعِ ٱبْنَ أُخْتِي لَمْ أَمْنَعِ ٱبْنَ أَخِي، فَقَامَ أَبُو لَهَبٍ فَقَالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَٱللهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَىٰ هٰذَا ٱلشَّيْخِ، ما تَزَالُونَ تُوثِبُونَ عَلَيْهِ فِي جِوارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، وَٱللهِ لَتَنْتَهُنَّ عَنْهُ أَوْ لَنَقُومَنَّ مَعَهُ فِي كُلِّ ما قامَ فِيهِ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ ما أَرادَ. قالَ: قالُوا: بَلْ نَنْصَرِفُ عَمَّا تَكْرَهُ يا أَبا عُتْبَةَ [1]، وَكَانَ لَهُمْ وَلِيّاً وَناصِراً عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَأَبْقَوْا عَلَىٰ ذٰلِكَ، فَطَمِعَ فيهِ أَبُو طالِبٍ حِينَ سَمِعَهُ يَقُولُ ما يَقُولُ، وَرَجَا أَنْ يَقُومَ مَعَهُ في شَأْنِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ [2] وَلٰكِنْ «مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ

(١) أبو عتبة كنية أبي لهب، وقد سمي أبو لهب لاشراقة في وجهه، وهو أخو أبي طالب لأبيه.

(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٠ - ١١.

تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً »(١) .

بَدأَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱلْقَبائِلِ في كُلِّ مَوْسِمٍ ، فَٱلْتَقَىٰ بِبَعْضِ أَهْلِ يَثْرِبَ في أَحَدِ ٱلْمَوَاسِمِ فَأَسْلَمُوا. وَلَمَّا ٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ عَلَىٰ أَبي سَلَمَةَ، وَبَلَغَهُ إِسْلامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ ٱلأَنْصارِ، خَرَجَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ مُهاجِراً، وَكَانَ ذٰلِكَ قَبْلَ بَيْعَةِ ٱلْعَقَبَةِ بِعامٍ ، وَبِهٰذا يَكُونُ أَبُو سَلَمَةَ أَوَّلَ مَنْ هاجَرَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ. وَقَدْ رَوَىٰ ٱبْنُ إِسْحاقَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْها أَنَّها قالَتْ: « لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ عَلَىٰ ٱلْخُرُوجِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، رَحَّلَ لِي بَعِيرَهُ، ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مَعِي ٱبْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ في حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجالُ بَنِي ٱلْمُغِيرَةِ، قامُوا إِلَيْهِ، فَقالُوا: هٰذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنا عَلَيْها، أَرَأَيْتَ صاحِبَتَنا هٰذِهِ عَلامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِها في ٱلْبِلادِ؟ قالَتْ: فَنَزَعُوا خِطامَ ٱلْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ وأَخَذُونِي مِنْهُ، قالتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذٰلِكَ بَنُو عَبْدِ ٱلأَسَدِ رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، وَقالُوا: وَٱللهِ لا نَتْرُكُ ٱبْنَنا عِنْدَها إِذْ نَزَعْتُمُوها مِنْ صاحِبِنا، قالَتْ: فَتَجاذَبُوا ٱبْنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ، حَتَّىٰ خَلَعُوا يَدَهُ، وَٱنْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ

(١) سورة الكهف ١٧ .

ٱلأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو ٱلْمُغِيرَةِ عِنْدَهُم، وَٱنْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، قالَتْ: فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱبْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي. قالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَداةٍ، فَأَجْلِسُ فِي ٱلأَبْطَحِ فَما أَزالُ أَبْكِي حَتَّىٰ أُمْسِي - سَنَةً أَوْ قَرِيباً مِنْها - حَتَّىٰ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي أَحَدُ بَنِي ٱلْمُغِيرَةِ، فَرَأَىٰ ما بِي، فَرَحِمَنِي، فَقالَ لِبَنِي ٱلْمُغِيرَةِ: لِمَ لا تُخْرِجُونَ هٰذِهِ ٱلمِسْكِينَةَ؟ فَرَّقْتُمْ بَيْنَها وَبَيْنَ زَوْجِها وَبَيْنَ وَلَدِها؟ قالَتْ: فَقالُوا لِي: ٱلْحَقِي بِزَوْجِكِ إِنْ شِئْتِ. قالَتْ: فَرَدَّ بَنُو ٱلأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱبْنِي، قالَتْ: فَٱرْتَحَلْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ أَخَذْتُ ٱبْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِٱلْمَدِينَةِ، قالَتْ وَما مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ ٱللهِ. حَتَّىٰ إِذا كُنْتُ بِٱلتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمانَ[1] بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَخا بَنِي عَبْدِ ٱلدَّارِ فَقالَ: إِلَىٰ أَيْنَ يا ٱبْنَةَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِٱلْمَدِينَةِ، قالَ: أَوَ ما مَعَكِ أَحَدٌ؟ قُلْتُ: ما مَعِي أَحَدٌ إِلاَّ ٱللهُ وَبُنَيَّ هٰذا، فَقالَ: وَٱللهِ مالَكِ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطامِ ٱلْبَعِيرِ، فَٱنْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَٱللهِ ما

---

(١) اسلم عثمان بن طلحة بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد ابن الوليد معاً، وقتل يوم أحد أبوه وإخوته، ودفع إليه رسول الله ﷺ يوم الفتح وإلى ابن عمه شيبة والدبني شيبة مفاتيح الكعبة، أقرها عليهم في الاسلام ولا تزال بأيديهم.

صَحِبْتُ رَجُلاً مِنَ ٱلْعَرَبِ قَطُّ أَرَىٰ أَنَّهُ كانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كانَ إذا بَلَغَ ٱلْمَنْزِلَ أَناخَ بِي، ثُمَّ ٱسْتَأْخَرَ عَنِّي، حَتَّىٰ إِذَا نَزَلْتُ ٱسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ في ٱلشَّجَرِ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ إِلَىٰ شَجَرَةٍ، فَٱضْطَجَعَ تَحْتَها، فَإِذا دَنا ٱلرَّواحُ، قامَ إِلَىٰ بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ، فَرَحَّلَهُ، ثُمَّ ٱسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقالَ: ٱرْكَبِي، فَإِذا رَكِبْتُ، فَٱسْتَوَيْتُ عَلَىٰ بَعِيرِي، أَتَىٰ فَأَخَذَ بِخِطامِهِ فَقادَنِي حَتَّىٰ يَنْزِلَ بِي، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذٰلِكَ بِي، حَتَّىٰ أَقْدَمَنِي ٱلْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نظَرَ إِلَىٰ قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُباءَ قالَ: زَوْجُكِ في هٰذهِ ٱلْقَرْيَةِ ـ وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ نازِلاً بها ـ فَٱدْخُلِيها عَلَىٰ بَرَكَةِ ٱللهِ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ راجِعاً إِلَىٰ مَكَّةَ، فَكانَتْ تَقُولُ: ما أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ في ٱلإِسْلامِ، أَصابَهُمْ ما أَصابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَما رَأَيْتُ صاحِباً قَطُّ كانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمانَ بْنِ طَلْحَةَ.

ثُمَّ كانَتْ بَيْعَةُ ٱلْعَقَبَةِ بَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَٱلأَنْصارِ، وَفِيها تَعَهَّدَ ٱلأَنْصارُ أَنْ يَمْنَعُوا رَسُولَ ٱللهِ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَهْلِيهِمْ. إِذْ قالَ رَسُولُ ٱللهِ: أُبايِعُكُمْ عَلَىٰ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِساءَكُمْ، فَأَخَذَ ٱلْبَراءُ ٱبْنُ مَعْرُورٍ[1] بِيَدِهِ ثُمَّ قالَ:

---

(١) البراء بن معرور بن صخر الانصاري الخزرجي: صحابي من العقلاء المقدمين. شهد العقبة وكان أحد النقباء الاثني عشر من الانصار وهو أول من تكلم =

نَعَمْ، وَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ نَبِيّاً، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ أُزُرَنا[1]، فَبايِعْنا يا رَسُولَ ٱللهِ، فَنَحْنُ وَٱللهِ أَبْناءُ ٱلْحُرُوبِ، وَأَهْلُ ٱلْحَلْقَةِ[2]، وَرِثْناها كابِراً عَنْ كابِرٍ[3].

وَبَعْدَ بَيْعَةِ ٱلْعَقَبَةِ، أَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَصْحابَهُ مِنَ ٱلْمُهاجِرِينَ ٱلَّذِينَ عادُوا مِنَ ٱلْحَبَشَةِ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، بِٱلْخُرُوجِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْهِجْرَةِ إِلَيْها، وَٱللَّحاقِ بِإِخْوانِهِمْ مِنَ ٱلأَنْصارِ، وَقالَ: إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْواناً وَداراً تَأْمَنُونَ بِها، فَخَرَجُوا أَرْسالاً. ثُمَّ أُذِنَ لِرَسُولِ ٱللهِ بِٱلْخُرُوجِ وَٱلْهِجْرَةِ، وَلَمْ يَبْقَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ مَفْتُونٌ أَوْ مَحْبُوسٌ.

وَلَقَدْ وَقَفَتْ بَنُو مَخْزُومٍ مَوْقِفاً عَنِيداً مِنْ أَبْنائِها ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا، فَمَنَعَتْ مَنِ ٱسْتَطاعَتْ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، فَقَدْ حُبِسَ سَلَمَةَ بْنُ هِشامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ، وَبَقِيَ فِي مَكَّةَ حَتَّىٰ بَعْدَ غَزْوَةِ ٱلْخَنْدَقِ، وَكَذا عَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكانَ بَعْضُ

= منهم، وأول من مات منهم. توفي قبل الهجرة بشهر واحد.

(١) أزرنا: أي نساءنا. فقد يكنى عن المرأة بالإزار.

(٢) الحلقة: أي السلاح.

(٣) سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥.

أَفْرادِهِمْ قَدْ بَقُوا في ٱلْحَبَشَةِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طالِبٍ حَتَّىٰ بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ.

وَكانَ قَدْ أُذِنَ بِٱلْقِتالِ، فَبَثَّ ٱلْمُسْلِمُونَ سَرَاياهُمْ في كُلِّ مَكانٍ، وَٱنْطَلَقَتِ ٱلْغَزَواتُ في أَنْحاءِ ٱلأَرْضِ، تُبْدِي ٱلْقُوَّةَ، وَتُعْلِنُ ٱلاِعْتِزازَ بِٱللهِ... وَلَقَدْ وَجَدَ ٱلْمُسْلِمُونَ قَوافِلَ أَعْدائِهِمْ غادِيَةً وَرَائِحَةً إِلَىٰ ٱلشَّامِ بِٱلْقُرْبِ مِنْ مَدِيْنَتِهِم، وَفيها أَمْوالُ زُعَماءِ قُرَيْشٍ وَكُبَرائِها ٱلَّذِينَ أَجْبَرُوا ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ ٱلْخُرُوجِ مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ، تارِكِينَ بُيُوتَهُمْ وَأَهْلَهُمْ لَهُمْ، فَأَرادُوا ٱعْتِرَاضَ سَبِيلِها، وَقَطْعَ ٱلطَّرِيقِ عَلَيْها، وَأَخْذِها غَنِيمَةً. وَكانَتْ غَزَواتٌ وَسَرَايا، وَمِنْها غَزْوَةُ ٱلْعَشِيرَةِ ٱلَّتِي ٱسْتَعْمَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فيها أَبا سَلَمَةَ عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ.

وَخَطَّطَ ٱلْمُسْلِمُونَ لأَخْذِ بَعْضِ هٰذِهِ ٱلْقَوافِلِ ٱلَّتِي هِيَ بِإِمْرَةِ أَبِي سُفْيانَ، وَٱنْطَلَقُوا في سَبِيلِ ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ أَرادَ غَيْرَ ذٰلِكَ، إِذْ أَرادَ لَهُمُ ٱلنَّصْرَ عَلَىٰ ٱلأَعْداءِ، «كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ. يُجادِلُونَكَ في ٱلْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَىٰ ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللهُ إِحْدَىٰ ٱلطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ، وَيُرِيدُ ٱللهُ أَنْ يُحِقَّ

ٱلْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ ٱلْكافِرِينَ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُون»[1] وَكانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ ٱلْكُبْرَىٰ، مَعْرَكَةُ ٱلْفَرْقانِ، وَفيها نَصرَ ٱللهُ جُنْدَهُ، وَأَيَّدَ عِبادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَهَزَمَ أَعْداءَهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ ٱللهِ... وَكانَ لأَهْلِ بَدْرٍ مَنْزِلَةٌ خاصَّةٌ. وَأَعْطِياتٌ خاصَّةٌ «لَعَلَّ ٱللهَ ٱطَّلَعَ إِلَىٰ أَصْحابِ بَدْرٍ، فَقالَ: ٱعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2]

وَكانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنْ أَصْحابِ بَدْرٍ. كَما حَضَرَها مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ ٱلأَرْقَمُ بْنُ أَبِي ٱلأَرْقَمِ وَشَمَّاسُ بْنُ عُثْمانَ، وَمِنْ حُلَفائِهِمْ عَمَّارُ بْنُ ياسِرٍ[3] وَمُعَتِّبُ بْنُ عَوْفٍ[4].

---

(١) سورة الانفال.

(٢) قول رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استأذن في قتل حاطب بن أبي بلتعة الذي أخطأ وبعث بكتاب إلى قريش يخبرهم بسير رسول الله اليهم لفتح مكة.

(٣) عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي ولد قبل رسول الله ﷺ بأربعة أعوام، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأُحداً والخندق ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الكوفة ثم عزله عنها. وشهد الجمل وصفين مع علي، وقتل في صفين وعمره ثلاث وتسعون سنة عام ٣٧ هـ.

(٤) معتب بن عوف بن عامر الخزاعي السلولي كان حليف بني مخزوم، صحابي، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكان عمره أثناء هجرته إلى المدينة ٢١ عاماً، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي عام ٥٧ هـ في خلافة معاوية ابن أبي سفيان.

وكانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ قَدْ جَمَعَتْ حَشْدَها، وَأَرْسَلَتْ فِلْذاتِ أَكْبادِها، لِتَقْضِيَ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ بِزَعْمِها، وَلٰكِنَّ ٱللهَ قَدْ رَدَّ كَيْدَها، فَتَرَكَتْ في ساحَةِ ٱلْمَعْرَكَةِ عَشَرَةً مِنْ أَعَزِّ أَبْنائِها وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ عَدُوُّ ٱللهِ، وَأَخُوهُ ٱلْعاصُ ابْنُ هِشامٍ، كَما أُسِرَ أَخُوهُ ٱلثَّانِي أَيْضاً خالِدُ بْنُ هِشامٍ. وَقُتِلَ قَيْسُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ أَخُو خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ وَٱبْنُ عَمِّهِ أَبُو قَيْسٍ بْنُ ٱلْفاكِهِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وٱبْنُ عَمِّهِ ٱلْآخَرُ مَسْعُودُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَخُو أُمِّ سَلَمَةَ. إِضافَةً إِلَىٰ عَدَدٍ آخَرَ... كانَ لَهُمْ كُلِّهِمْ دَوْرٌ في إِيذاءِ ٱلرَّسُولِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ مِنْ أَقْرِبائِهِمْ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ ٱلَّذِينَ كانُوا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ.

وَٱسْتَدارَ ٱلْعامُ عَلَىٰ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يَمْضِ أَكْثَرُ مِنْ شَهْرٍ عَلَىٰ ذٰلِكَ حَتَّىٰ كانَتْ مَعْرَكَةُ أُحُدٍ [١]، وَفيها أُصِيبَ ٱلْمُسْلِمُونَ، وَلُقِّنُوا دَرْساً وَٱمْتَحَنَهُمُ ٱللهُ، وَٱخْتارَ مِنْهُمْ شُهَداءَ، وَفَوقَ كُلِّ هٰذا فَقَدْ جُرِحَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ. وَفي بَدْءِ ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ بَلَغَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنَّ طُلَيْحَةَ وَسَلَمَةَ ٱبْنَيْ خُوَيْلِدٍ ٱلْأَسَدِيَّيْنِ يَدْعُوانِ قَوْمَهُما بَنِي أَسَدٍ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ

(١) كانت غزوة بدر في ١٧ رمضان السنة الثانية للهجرة، وكانت أحد في شوال السنة الثالثة من هجرة رسول الله ﷺ في أول نهار الحادي عشر منه.

وَالسَّلامُ، فَدَعا أَبا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلأَسَدِ ٱلْمَخْزُومِيَّ، وَعَقَدَ لَهُ لِواءً وَقالَ لَهُ: سِرْ حَتَّىٰ تَنْزِلَ أَرْضَ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، فَأَغِرْ عَلَيْهِمْ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رِجالاً، فَسارَ في هِلالِ ٱلْمُحَرَّمِ، حَتَّىٰ بَلَغَ قَطَناً[1]، فَأَغارَ عَلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا مِنْ مَنازِلِهِمْ، وَوَجَدَ أَبُو سَلَمَةَ إِبْلاً وَشاءً فَأَخَذَها، وَلَمْ يَلْقَ حَرْباً، وَرَجَعَ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ مِنْ خُرُوجِهِ[2].

وَكانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِمَّنْ جُرِحَ في أُحُدٍ، إِلاَّ أَنَّ جُرْحَهُ قَدِ ٱنْدَمَلَ، وَعُوفِيَ، ثُمَّ ٱنْتَقَضَ عَلَيْهِ، فَماتَ مِنْهُ في بِدايَةِ ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّها قالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، وَقالَ: إِنَّ ٱلرُّوحَ إِذا قُبِضَ تَبِعَهُ ٱلْبَصَرُ، فَصاحَ ناسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقالَ: لا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ فَإِنَّ ٱلْمَلائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَىٰ ما تَقُولونَ ثُمَّ قالَ: ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في ٱلْمَهْدِيِّينَ، وَٱخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في ٱلْغابِرِينَ وَٱغْفِرْ لَنا وَلَهُ يا رَبَّ ٱلْعالَمِينَ. ٱللَّهُمَّ ٱفْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ قَبْرَهُ[3].

---

(١) قطن: جبل لبني أسد بناحية (فيد) شرق المدينة ويشرف على (عقلة الصقور) من الشمال.

(٢) نور اليقين للشيخ محمد الخضري ص ١٤٥.

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى تأليف محب الدين أحمد بن عبد =

نَظَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ هٰذِهِ ٱلأُسْرَةِ ٱلَّتِي خَلَّفَها صاحِبُهُ وَٱبْنُ عَمَّتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَها مِنْ مُعِيلٍ غَيْرُ ٱللهِ، وَهِيَ زَوْجَةٌ لَمْ تَتَجاوَزِ ٱلثَّامِنَةَ وَٱلْعِشْرِينَ عاماً وَغُلامانِ هُما سَلَمَةُ[1] وَعُمَرُ[2] وَٱبْنَةٌ واحِدَةٌ هِيَ زَيْنَبُ[3]، وفي رِوايَةٍ أَنَّ لَها أَيْضاً رُقَيَّةُ. وَرَأَىٰ أَنْ يَتَعَهَّدَها مِنْ بَعْدِهِ، وَيَرْعاها بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَيْسَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَضُمَّها إِلَىٰ أُسْرَتِهِ، فَلَيْسَ أَكْرَمَ مِنَ ٱلأُسْرَةِ وَلا أَكْثَرَ ٱحْتِراماً مِنْ مُساواتِها بِمَنْ يُعِيلُ وَيُكْرِمُ، وَكانَ زَواجُ رَسُولِ ٱللهِ بِأُمِّ سَلَمَةَ وَرَفْعُها إِلَى مَنْزِلَةِ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْها قالَتْ: لَمَّا ٱنْقَضَتْ عِدَّتِي، ٱسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَأَنا أَدْبَغُ إِهاباً فَسَلَلْتُ يَدَيَّ مِنْهُ وَأَذِنْتُ لِرَسُولِ ٱللهِ وَوَضَعْتُ لَهُ وِسادَةً مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُها لِيفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْها، فَخَطَبَنِي إِلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قُلْتُ: يا

= الله الطبري المتوفى ٦٩٤ هـ.

(١) سلمة بن أبي سلمة: أكبر إخوته، ربي في حجر رسول الله، وزوّجه أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب، وتوفي في خلافة عبد الملك بن مروان.

(٢) عمر بن أبي سلمة: ولد في الحبشة وتوفي في المدينة عام ٨٣ هـ.

(٣) زينب بنت أبي سلمة: ولدت في الحبشة، وكان اسمها برة وسماها الرسول ﷺ زينب، وكانت أفقه نساء عصرها وتزوجها عبد الله بن زمعة بن الاسود.

رَسُولَ ٱللهِ إِنِّي ٱمْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَأَخافُ أَنْ تَرىٰ مِنِّي شَيْئاً تَكْرَهُهُ يُعَذِّبُنِي ٱللهُ بِهِ، وَأَنا ٱمْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي ٱلسِّنِّ ذاتُ عِيالٍ، قالَ: أَمَّا ما ذَكَرْتِ مِنَ ٱلْغَيْرَةِ، فَسَوْفَ يُذْهِبُها ٱللهُ عَنْكِ، وَأَمَّا ما ذَكَرْتِ مِنَ ٱلسِّنِّ فَقَدْ أَصابَنِي مِثْلُ ما أَصابَكِ، وأَمَّا عِيالُكِ فَإِنَّهُمْ عِيالِي. قالت: فَقُلْتُ: قَدْ سَلَّمْتُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَتَزَوَّجَنِي [1].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْها قالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ ما أَمَرَهُ ٱللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ٱللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وَٱخْلُفْ لِي خَيْراً مِنْها» قالَتْ: فَلَمَّا ماتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ ٱلْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هاجَرَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُها، فَأَخْلَفَ ٱللهُ لِي رَسُولَ ٱللهِ. قالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ حاطِبَ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ [2].

وَتُوُفِّيَتْ أُمُّ سَلَمَةَ في أَوَّلِ خِلافَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ سَنَةَ سِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ.

---

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين تأليف محبة الدين أحمد بن عبد الله الطبري ص ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٢.

وَإِذا كانَ أَبُو سَلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، قَدْ عُرِفَ وَشُهِرَ بِسَبَبِ زَوْجِهِ أُمِّ سَلَمَةَ ٱلَّتِي أَصْبَحَتْ أُمَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَطَغَتْ هٰذِهِ ٱلْحادِثَةُ عَلَىٰ غَيْرِها، إِلاَّ أَنَّ لَهُ مِنَ ٱلإِيمانِ ٱلْقَوِيِّ ما تَشْهَدُ عَلَيْهِ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ تارِكاً وَرَاءَهُ كُلَّ ما يَشُدُّهُ إِلَىٰ ٱلدُّنْيا مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ وَبَنِينَ وَبَلَدٍ وَعَشِيرَةٍ وَأَقْرَبِينَ، وَلَهُ مِنَ ٱلبُطُولَةِ ما تَعْرِفُهُ لَهُ ٱلْحُرُوبُ ٱلَّتِي خاضَها وَٱلْمَعارِكُ ٱلَّتِي أَبْلَىٰ فِيها، وَلَهُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ما تَعْتَرِفُ بِهِ قِيادَتُهُ لِصَحابَةِ رَسُولِ ٱللهِ فِي سَرِيَّتِهِ، وَلَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ ما يُفْصِحُ عَنْ تَوْلِيَةِ رَسُولِ ٱللهِ لَهُ لِلْمَدِينَةِ، وَلَهُ مِنْ حُبِّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ما يُنْبِيهِ دُعاؤُهُ لَهُ، وَتَعَهُّدُهُ أَهْلَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَوْلِيَتُهُ لَهُ. وَأَخِيراً يَكْفِيهِ أَنَّهُ ٱلْمُهاجِرُ ٱلأَوَّلُ وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَمَوْتُهُ وَرَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَنْهُ راضٍ. رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضاهُ.

ابنُ عمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

عبدالله بن جحش

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سارَ عَلَىٰ دَرْبِهِ وَبَعْدُ: فَقَدْ عاشَ ٱلْعَرَبُ في جَزِيرَتِهِمْ ٱلَّتِي قَلَّ فِيها ٱلْخَيْرُ، وَكَثُرَ ٱلْجَدْبُ، عاشُوا قَبائِلَ مُتَنَقِّلَةً، تَرْتادُ مَواطِنَ ٱلْكَلإِ، وَتَسْعَىٰ وَراءَ مَواضِعِ ٱلْمَاءِ، لِكُلِّ قَبِيلَةٍ حِمَىً مَعْرُوفَةٌ وَمَنازِلُ لا تَتَعَدَّاها، إذا أَتَتْ سَنَواتٌ عِجافٌ عَلَىٰ أماكِنِ قَبِيلَةٍ، تَجاوَزَتْ حُدُودَها، وَدَخَلَتْ في حِمَىٰ غَيْرِها، وَكَثِيراً ما حَدَثَتِ ٱلْحُرُوبُ بَيْنَ ٱلْقَبائِلِ نَتِيجَةَ هٰذِهِ ٱلتَّعَدِّياتِ، وَقامَتِ ٱلْخِلافاتُ بِسَبَبِ هٰذِهِ ٱلتَّجاوُزاتِ، فَكانَتِ ٱلْقُوَّةُ أَمَلاً، وَالصَّبْرُ في سَاحَاتِ ٱلْقِتالِ بُغْيَةً، وَٱلثَّباتُ في مَواقِفِ ٱلشَّدائِدِ غَايَةً، وَكُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَىٰ ٱلْقُوَّةِ أَوِ ٱلصَّبْرِ يَسْعَىٰ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ، وَلَوْ كانَ مُجَرَّدَ أَسْماءَ يَتَغَنَّوْنَ بِها، أَوْ يَتَفاءَلُونَ بِها، وَمِنْ هُنا

أُطْلِقَتْ عَلَىٰ أَشْخاصٍ أَسْماءُ حَيَوَاناتٍ عُرِفَتْ بِالْقُوَّةِ أَوِ الصَّبْرِ، فَكانَتِ التَّسْمِيَةُ أَسَداً وَجَحْشاً، وَكانَتْ تَسْمِيَةُ الصَّحابِيِّ الْجَليلِ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَوْ كانَ اسْمَ وَالِدِهِ (بُرَّةَ) أَوْ لَقَبَهُ الَّذي عُرِفَ بِهِ لِقُوَّتِهِ وَجَلادَتِهِ.

وَكَذامَنْ كَانَ يُبْدِي بَيْنَ أَفْرادِ قَبيلَتِهِ شَجَاعَةً في حُرُوبِها وَقُوَّةً عَلَىٰ خُصُومِها، يَعُدُّونَهُ قَذىً في أَعْيُنِ الأَعْداءِ وَشَجىً في حُلُوقِهِمْ، عَضْباً عَلَيْهِمْ وَقاسِياً في مُلاَقَاتِهِمْ، يُذِيقُهُمُ الْمُرَّ، وَيَسْقِيهِمْ كَأْسَ الرَّدَىٰ، لِهٰذا أَطْلَقُوا اسْمَ الأَشْياءِ الْمُرَّةِ أَوِ الْقاسِيَةِ عَلَىٰ أَبْنائِهِمْ أَمَلاً في أَنْ يَكُونُوا كَذٰلِكَ عَلَىٰ خُصُومِهِمْ وَرَجاءَ أَنْ يَنْشَؤُوا أَصْحابَ قُوَّةٍ وَشَجاعَةٍ وَنَخْوَةٍ وَشَهامَةٍ، فَكانَتْ عِنْدَهُمْ أَسْماءُ «شَوْكَةَ» وَ«طَلْحَةَ» وَ«قَتادَةَ» وَ«عَرْفَجَةَ»[1] وَ«عَوْسَجٍ»[2].

وَتَتَقاتَلُ الْقَبائِلُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَيَنْضَمُّ قِسْمٌ مِنْها إِلَىٰ جَانِبِ آخَرَ، فَكانَتِ الأَحْلافُ، وَكانَ الْوَلاءُ، وَكانَتِ الْمَوَاثِيقُ الَّتي لا تُنْقَضُ، لِذَا كانَ الْوَفَاءُ مِنْ أَجْمَلِ الصِّفاتِ الَّتي امْتازَ بِها الْفَتَىٰ الْعَرَبِيُّ. وَلَمَّا عُرِفَ الْكَلْبُ بِوَفائِهِ

---

(١) العَرْفَجَة: واحِدة العرفج وهو شجر

(٢) العَوْسَج: معدن للفضة ـ شوك، والمقصود به هنا النبات الشوكي.

لِصَاحِبِهِ شاعَتْ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ أَسْماءُ تَحْمِلُ هٰذا ٱلاِسْمَ، أَوْ تُرَادِفُهُ، وَمِنْها «كُلَيْبُ بْنُ وَائِلٍ» سَيِّدُ تَغْلِبٍ، وَكانَ «قُصَيُّ ابْنُ كِلابٍ» جَدَّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلأَعْلَىٰ وَسَيِّدَ قُرَيْشٍ، وَكانَتْ قَبِيلَةُ «كَلْبٍ» ٱلَّتِي ٱنْتَشَرَتْ عِنْدَ ظُهُورِ ٱلإِسْلامِ في شِمَالِ جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ.

وَهٰذا ٱلأَمْرُ مَعْرُوفٌ في كَثِيرٍ مِنَ ٱلْمَنَاطِقِ حَيْثُ تُؤْخَذُ ٱلأَسْمَاءُ مِنَ ٱلْبِيئَاتِ ٱلَّتِي تَحْيا فِيها ٱلْجَمَاعَاتُ. فَٱلْبِلادُ ٱلَّتِي عُرِفَتْ بِوَرْدِها ٱلْمُتَنَوِّعِ وَأَزْهارِها ٱلْفَوَّاحَةِ أَعْطَتْ بَناتِهَا أَسْمَاءَ تِلْكَ الوُرُودِ فَكانَتْ عِنْدَهُمْ «عَطِرَةُ» وَ«رَيْحَانَةُ» وَ«فُلَّةُ» وَ«زَهْرَةُ» وَ«وَرْدَةُ»، وَكانَتْ فِي فَيافِيهَا أَسْمَاءُ «ظَبْيَةٍ» وَ«مَهَا» وَ«لِينَةَ»، وَفي بِلادِ ٱلسَّوَاحِلِ «مَرْجَانَةُ»، وَقَدْ تَكُونُ ٱلأَسْمَاءُ مِنْ بَابِ ٱلأَضْدَادِ أَوِ ٱلتَّفَاؤُلِ، فَتَكُونُ أَسْمَاءُ ٱلْوَرْدِ في ٱلصَّحَارَىٰ، وَأَسْمَاءُ ٱلْبَيَاضِ في ٱلْمَنَاطِقِ ٱلْحَارَّةِ ذاتِ ٱلسُّكَّانِ أَصْحَابِ ٱلْبَشَرَةِ ٱلسَّوْدَاءِ.

لَمْ يَكُنْ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ مِنْ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ وَبُطُونِهَا ٱلاِثْنَي عَشَرَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَجْتَمِعُ مَعَ هٰذِهِ ٱلْبُطُونِ في ٱلْجَدِّ ٱلْعَاشِرِ وَهُوَ «خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةَ»، وَلَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلْقَرَابَةُ لِتَجْعَلَهُ في مَنْزِلَةِ قُرَيْشٍ ٱلَّتِي لَهَا مَرْكَزُ ٱلصَّدَارَةِ

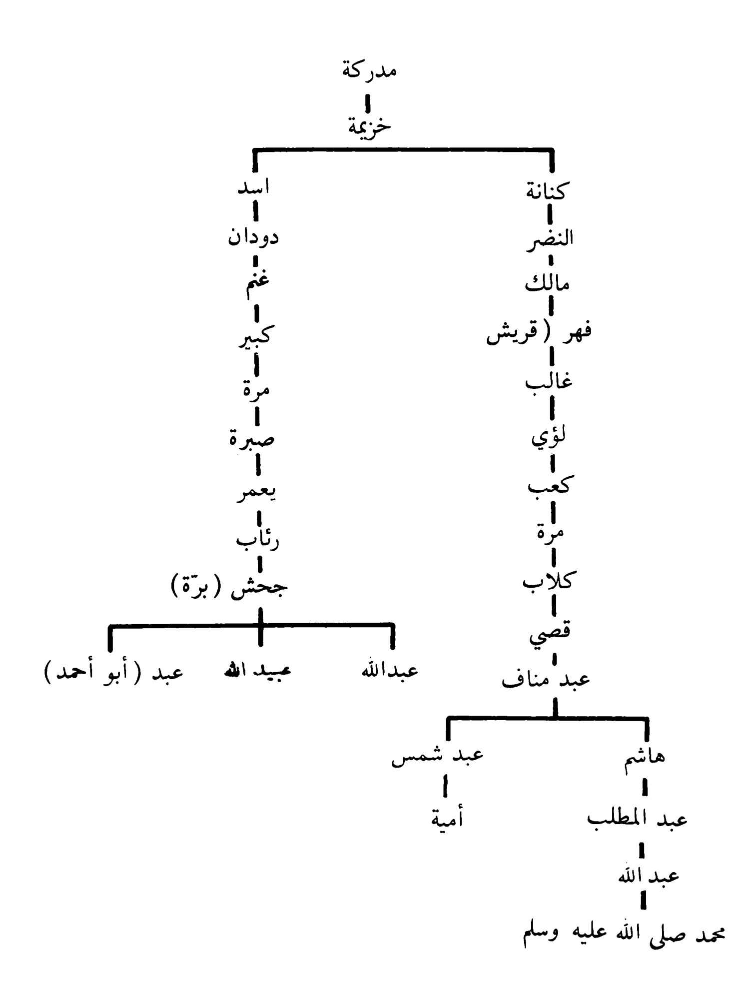
بَيْنَ ٱلْعَرَبِ جَمِيعِهِمْ لِمَكَانِهَا مِنَ ٱلْبَيْتِ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيفاً لِبَعْضِ ٱلْبُطُونِ أَوِ ٱلأَفْخَاذِ، وَقَدْ كَانَ حَلِيفَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَطْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ٱلثَّانِي.

كَانَ «بُـرَّةُ» وَالِدُ «عَبْـدِ ٱللهِ» عَلَـىٰ دَرَجَـةٍ مِـنَ ٱلْقُـوَّةِ وَٱلشَّجَاعَةِ، جَعَلَتْهُ يُلَقَّبُ بِجَحْشٍ، حَتَّىٰ غَلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ عَلَىٰ مَكَانَةٍ مِنَ ٱلصَّدَارَةِ، جَعَلَتْهُ أَهْلاً لأَنْ يَتَزَوَّجَ «أُمَيْمَةَ بِنْتَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ»، وَقَدْ كَانَ وَالِدُهَا «عَبْدُ ٱلْمُطَّلِبِ» آنَذاكَ سَيِّدَ مَكَّةَ وَزَعِيمَ قُرَيْشٍ كُلِّهَا. وَقَدْ أَوْلَدهَا «عَبْدَ ٱللهِ» وَ«عُبَيْدَ ٱللهِ» وَ«عَبْدَ» مِنَ ٱلذُّكُورِ وَ«زَيْنَبَ» وَ«حَمْنَةَ» وَ«أُمَّ حَبِيبٍ» مِنَ ٱلإِنَاثِ، وَوَرِثَ هٰؤُلاءِ ٱلأَوْلاَدُ مِنْ أَبِيهِمْ «جَحْشٍ» ٱلْقُوَّةَ وَٱلشَّجَاعَةَ، وَمِنْ أُمِّهِمْ «أُمَيْمَةَ» ٱلْمَجْدَ وَالْوَجَاهَةَ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْقُوَّةِ وَٱلشَّهَامَةِ.

كَانَتْ «أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ» شَقِيقَةَ «عَبْدِ ٱللهِ» وَالِدِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، إِذْ كَانَتْ أُمُّهَا «فاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عائِذٍ ٱلْمَخْزُومِيِّ» لِذَا كَانَتِ ٱلصِّلَةُ قَوِيَّةً بَيْنَ ٱلْبَيْتَيْنِ وَٱلْعِلاقَةُ قائِمَةً.

بُعِثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَٱنْطَلَقَتِ ٱلدَّعْوَةُ، وَوَصَلَتْ إِلَىٰ

بَيْتِ «أُمَيْمَةَ بِنْتِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ» فَآمَنَ أَفْرَادُهُ كُلُّهُمْ، وَإِنْ كَانَ يُشَكُّ فِي إِسْلامِ ٱلأُمِّ، حَيْثُ تَخْتَلِفُ ٱلرِّوَايَاتُ، إِلاَّ أَنَّ ٱلأَبْنَاءَ جَمِيعاً قَدِ ٱعْتَنَقُوا ٱلدِّينَ ٱلْجَدِيدَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ ٱلْمَرْءِ أَقْرَبُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْتِصَاقاً بِهِ وَٱتِّصَالاً مَعَهُ، وَقَدْ عَرَفَتْ هٰذِهِ ٱلأُسْرَةُ صِدْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ صِلَةٍ، وَعَلِمُوا مِنِ ٱحْتِكَاكِهِمْ بِهِ، أَنَّهُ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ صِفَتُهُ لا يُمْكِنُهُ أَبداً أَنْ يَكْذِبَ عَلَىٰ ٱللهِ كَمَا كانُوا يَعْلَمُونَ هُمْ وَأَهْلُ مَكَّةَ جَمِيعاً، أَنَّ صِفاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ، تُؤَهِّلُهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً، وَإِذا كَانَتِ ٱلزَّعَامَةُ قَدْ أَعْمَتْ أَصْحَابَهَا، فَوَقَفُوا فِي وَجْهِ ٱلدَّعْوةِ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْعُقُولَ ٱلسَّلِيمَةَ قَدِ ٱسْتَجَابَتْ لَهَا، وَٱنْخَرَطَتْ فِي صُفُوفِ حَمَلَتِها. كَمَا أَنَّ «عُبَيْدَ ٱللهِ بْنَ جَحْشٍ» أَحَدَ أَفْرَادِ هٰذِهِ ٱلأُسْرَةِ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ يَنْتَقِدُونَ دِينَ قَوْمِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلشِّرْكِ وَعِبادَةِ ٱلأَوْثَانِ، وَقَدِ ٱلْتَقَىٰ هٰؤُلاَءِ ٱلنَّاقِدُونَ وَهُمْ: «وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ» وَ«عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» وَ«عُثْمَانُ بْنُ ٱلْحُوَيْرِثِ» وَ«زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْلَمُوا وَٱللهِ مَا قَوْمُكُمْ عَلَىٰ شَيءٍ! لَقَدْ أَخْطَأُوا دِينَ أَبِيهِمْ إِبْراهِيمَ! ما حَجَرٌ نُطِيفُ بِهِ، لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ، وَلا



مدركة
خزيمة
كنانة
اسد
النضر
دودان
مالك
غنم
فهر (قريش)
كبير
غالب
مرة
لؤي
صبرة
كعب
يعمر
مرة
رئاب
كلاب
جحش (برّة)
قصي
عبدالله
عبيد الله
عبد (أبو أحمد)
عبد مناف
هاشم
عبد شمس
عبد المطلب
أمية
عبد الله
محمد صلى الله عليه وسلم

يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ؟! يا قَوْمُ ٱلْتَمِسُوا لأَنْفُسِكُمْ دِيناً، فَإِنَّكُمْ وَٱللهِ ما أَنْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ. فَتَفَرَّقُوا في ٱلْبُلْدَانِ يَلْتَمِسُونَ ٱلْحَنِيفِيَّةَ، دِينَ إِبْراهِيمَ. وَأَقامَ «عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» عَلَىٰ ما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلاَلْتِباسِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ ٱمْرَأَتُهُ «أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ» مُسْلِمَةً، فَلَمَّا قَدِمَهَا تَنَصَّرَ، وَفارَقَ ٱلإِسْلامَ، وَٱنْقَطَعَ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ صِلاَتٍ، ثُمَّ هَلَكَ هُنالِكَ نَصْرانِيّاً، وَأَمَّا ٱمْرَأَتُهُ فَقَدْ فارَقَتْهُ بَعْدَ أَنِ ٱرْتَدَّ، وَخَطَبَها ٱلنَّجاشِيُّ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَتَزَوَّجَهَا، وَكانَتْ في عِدَادِ أُمَّهاتِ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْها.

كَانَ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» مِنْ أَوَائِلِ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا، إِذِ ٱعْتَنَقَ ٱلإِسْلامَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ دَارَ «ٱلأَرْقَمِ ابْنِ أَبِي ٱلأَرْقَمِ»، وَلَمْ يَزِدْ عَدَدُ ٱلْمُسْلِمِينَ آنَذاكَ عَلَى ٱلأَرْبَعِينَ مُسْلِماً.

ٱشْتَدَّتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ رِجَالِهَا وَمَوَالِيهَا. وَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ما يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ ٱلْعافِيَةِ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱللهِ وَمِنْ عَمِّهِ «أَبِي طالِبٍ»، وَأَنَّهُ لا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ ٱلْبَلاَءِ، قالَ لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكاً لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ،

وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ ٱللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَرَجَ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ ٱلْفِتْنَةِ، وَفِراراً إِلَىٰ ٱللهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي ٱلإِسْلامِ . وَهٰكَذا فَإِنَّ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا إِلَىٰ أَيَّةِ بُقْعَةٍ تَتَوَفَّرُ لَهُمْ فِيهَا سُبُلُ ٱلدَّعْوَةِ وَٱلْعَمَلِ بِشَرِيعَةِ ٱللهِ بِغَضِّ ٱلنَّظَرِ عَنْ مَوْقِعِهَا مِنَ ٱلأَرْضِ وَجِنْسِيَّةِ أَبْنَائِهَا، وَلاَ تَكُونُ ٱلْهِجْرَةُ إِلاَّ إِذا صَعُبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْحَيَاةُ فِي ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ، وَٱمْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ إِمْكانِيَّةُ مُمَارَسَةِ شَعَائِرِهِمْ وَٱلْقِيَامِ بِٱلْدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِهِمْ. وَبَلَغَ عَدَدُ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَىٰ هُنَاكَ ثَلاثَةً وَثَمَانِينَ مُسْلِماً سِوَى أَبْنَائِهِمُ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا بِهِمْ مَعَهُمْ صِغَاراً.

كَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ - مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَىٰ أَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، وَمَعَهُ أَخُوهُ آنَذَاكَ «عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ»، وَبَعْدَ حَيَاتِهِمْ هُنَاكَ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَنِ ، تَنَصَّرَ «عُبَيْدُ ٱللهِ»، وَٱنْتَهَتِ ٱلأُخُوَّةُ بَيْنَ ٱلشَّقِيقَيْنِ ، وَوَصَلَ خَبَرٌ إِلَىٰ ٱلْمُهَاجِرِينَ، مَفَادُهُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا، وَأَنَّ بَلَدَهُمُ ٱلَّتِي أَخْرَجَتْهُمْ قَدْ غَدَتْ دَارَ أَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ لإِخْوَانِهِمْ، وَأَنَّ ٱلْعَوْدَةَ قَدْ أَصْبَحَتْ وَاجِبَةً عَلَيْهِمْ، لِيَنْهَلُوا مِنْ

رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وكَانُوا قَدْ عَانُوا مِنْ هِجْرَتِهِمْ ما عَانَوْا لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَمَا إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرُ إِسْلامِ أَهْلِ مَكَّةَ حَتَّىٰ رَجَعَ بَعْضُهُمْ، وَلا يَزِيدُ عَدَدُ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ رَجَعُوا عَلَىٰ ٱلثَّلاثَةِ وَٱلثَّلاثِينَ مُسْلِماً، كَانَ بَيْنَهُمْ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وبَقِيَ بِأَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ خَمْسُونَ مُسْلِماً.

وَصَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْعَائِدُونَ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَوَجَدُوا أَنَّ ٱلْخَبَرَ ٱلَّذِي بَلَغَهُمْ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بَعْضُهُمْ دُخُولَ بَلَدِهِ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ في جِوَارِ بَعْضِ ٱلزُّعَمَاءِ وَٱلْمُتَنَفِّذِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

عَاشَ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» في مَكَّةَ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ، مُؤمِناً بِمَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُصَدِّقاً رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بِكُلِّ مَا يَقُولُ، وَلَمْ يَكُنْ يُرِيدُ عَرَضاً مِنْ أَعْراضِ ٱلدُّنْيا، بَلْ كَانَ زَاهِداً بِكُلِّ ما فِيهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعِيشَ في زاوِيةٍ مِنْها، يَطْلُبُ ٱلآخِرَةَ ويَعْمَلُ لَها.

كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، يَطْلُبُ نُصْرَةَ «ثَقيفٍ» في ٱلطَّائِفِ، وَيعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱلْقَبائِلِ، وَيَجِدُ ٱلرَّدَّ وَٱلتَّهَكُّمَ وَٱلصَّدَّ وَٱلسُّخْرِيَةَ، وَكَانَ ٱلصَّحَابَةُ ـ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ بَيْنِهِمْ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» ـ لا يَثْنِيهِمْ صَدُّ ٱلْعَرَبِ وَقِلَّةُ ٱلْعَدَدِ

وَضَعْفُ ٱلإِمْكَانَاتِ وَثِقَلُ ٱلْحَيَاةِ، وَإِنَّمَا يَقْوَىٰ إِيمَانُهُمْ، كُلَّمَا وَجَدُوا ٱلصُّعُوباتِ تَعْتَرِضُ سَبِيلَهُمْ، فَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ نَبِيِّهِمْ ﷺ: «حُفَّتِ ٱلْجَنَّةُ بِٱلْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ ٱلنَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، فَٱلْمُسْلِمُ يَصْبِرُ فِي ٱلشِّدَّةِ، وَتَقْوَىٰ عَزِيمَتُهُ فِي ٱلْمِحَنِ. وَأَخِيراً عَرَضَ ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ نَفْسَهُ فِي أَحَدِ ٱلْمَوَاسِمِ عَلَىٰ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَوَجَدَ آذَاناً صَاغِيَةً وَقُلُوباً مُفَتَّحَةً لِلإِيمَانِ، وَآمَنَ ٱلنَّفَرُ ٱلَّذِينَ ٱلْتَقَىٰ بِهِمْ رَسُولُ ٱللهِ، وَبَدَأَ ٱلإِسْلامُ يَنْتَشِرُ فِي يَثْرِبَ، وَٱتَّجَهَتْ أَنْظَارُ ٱلْمُسْلِمِينَ نَحْوَ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ، فَهَاجَرَ أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْها «أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبْدِ ٱلأَسَدِ ٱلْمَخْزُومِيُّ» ٱبْنُ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَٱبْنُ خَالَتِهِ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ»، إِذْ ٱشْتَدَّتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ، وَبَلَغَهُ إِسْلامُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ ٱلأَنْصَارِ، فَخَرَجَ مُهَاجِراً، وَذٰلِكَ قَبْلَ بَيْعَةِ ٱلْعَقَبَةِ بِحَوَالَيِ ٱلْعَامِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بَعْدَهُ مُهَاجِراً «عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ» ثُمَّ «عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ» وَمَعَهُ أَخُوهُ «أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ»، وَكَانَ ضَرِيراً وَشَاعِراً، وَأَخَوَاتُهُ «زَيْنَبُ» وَ«حَمْنَةُ» وَ«أُمُّ حَبِيبٍ» وَمَعَهُمْ «فَارِعَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ» وَكَانَتْ زَوْجَ «عَبْدِ بْنِ جَحْشٍ»، وَغُلِّقَتْ دَارُ بَنِي جَحْشٍ، فَمَرَّ بِهَا «عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ» وَ«ٱلْعَبَّاسُ بْنُ

عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ » وَ« أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ » فَنَظَرَ « عُتْبَةُ »
إِلَىٰ ٱلدَّارِ تَخْفُقُ أَبْوابُها يَبَاباً ، لَيْسَ فِيها سَاكِنٌ ، فَلَمَّا رَآهَا
كَذٰلِكَ ، تَنَفَّسَ ٱلصُّعَدَاءَ ثُمَّ قالَ :

وَكُلُّ دَارٍ ـ وَإِنْ طَالَتْ سَلاَمَتُهَا ـ
يَوْماً سَتُدْرِكُهَا ٱلنَّكْبَاءُ وَٱلْحَوْبُ[1]

أَصْبَحَتْ دَارُ بَنِي جَحْشٍ خلاءً مِنْ أَهْلِهـا ، فَقَالَ أَبُو
جَهْلٍ : وَمَا تَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ قُلٍّ[2] بْنِ قُلٍّ ، قالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ :

كُلُّ بَنِي حُرَّةٍ مَصِيرُهُمْ
قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ ٱلْعَدَدِ

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : هٰذا عَمَلُ ٱبْنِ أَخِي هٰذا ، فَرَّقَ
جَمَاعَتَنا ، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا ، وَقَطَعَ بَيْنَنَا ، وَكَانَ مَنْزِلَ هٰؤُلاءِ
ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلأَوائِلِ قُبَاءُ .

وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَامُ ، وَأَتَىٰ ٱلْمَوْسِمَ مِنَ ٱلأَنْصَارِ ٱثْنَا عَشَرَ
رَجُلاً ، فَٱلْتَقَوْا بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ في ٱلْعَقَبَةِ ، فَبَايَعُوا رَسُولَ ٱللهِ

---

(١) الحَوْبُ: بفتح الحاء وضمها : الوجع ـ الوحشة ـ الحزن .
(٢) القُلُّ : القليل . وهو قُلُّ بنُ قُلٍّ : لا يُعْرَفُ هو ولا أبوه ـ رجل قُلٌّ فَرْدٌ لا أحد له .

ﷺ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلأُولىٰ عَلَىٰ بَيْعَةِ ٱلنِّسَاءِ[1]، وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْهِمُ ٱلْحَرْبُ، وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ ٱلْقَوْمُ أَرْسَلَ مَعَهُمْ «مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ ٱلْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ ٱلإِسْلاَمَ، وَيُفَقِّهَهُمْ في ٱلدِّينِ.

وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَامُ ٱلثَّانِي وَأَتَىٰ ٱلْمَوْسِمَ ٱلأَنْصَارُ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ ٱلشِّرْكِ حَتَّىٰ إِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ، وَاعَدُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ٱلْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ ٱلتَّشْرِيقِ حِينَ أَرَادَ ٱللهُ بِهِمْ ما أَرادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَٱلنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ، وَإِعْزَازِ ٱلإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ وَإِذْلاَلِ ٱلشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

لَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ قَبْلَ بَيْعَةِ ٱلْعَقَبَةِ في ٱلْحَرْبِ، وَلَمْ تُحَلَّ لَهُ ٱلدِّمَاءُ، إِنَّما يُؤْمَرُ بِٱلدُّعَاءِ إِلَىٰ ٱللهِ وَٱلصَّبْرِ عَلَىٰ ٱلأَذَىٰ، وَٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْجَاهِلِ. وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدِ ٱضْطَهَدَتْ

---

(١) بيعة النساء: يقصد بها بيعة لا قتال فيها، إذ كانت مبايعة الرسول ﷺ للنساء ان يأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقررن بألسنتهن قال: قد بايعتكن، وقد وردت بيعة النساء في القرآن الكريم «يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم».

مَن ٱتَّبَعَهُ حَتَّىٰ فَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَنَفَوْهُمْ مِنْ بِلاَدِهِمْ، فَهُمْ بَيْنَ مَفْتُونٍ في دِينِهِ، وَمُعَذَّبٍ في أَيْدِيهِمْ، وَبَيْنَ هَارِبٍ في ٱلْبِلاَدِ فِرَاراً مِنْهُمْ: فَبَعْضُهُمْ بِأَرْضِ ٱلْحَبَشَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِٱلْمَدِينَةِ، وَفي كُلِّ وَجْهٍ، فَلَمَّا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ هٰذَا ٱلْفِعْلَ، وَعَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا أَذِنَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ في ٱلْقِتَالِ ، وَٱلاَنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرُ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللهُ وَلَوْلا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ ٱللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ في ٱلأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ»[1].

وَكَانَتْ بَيْعَةُ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةُ بَيْعَةَ ٱلْحَرْبِ، فَقَدْ قَالَ عُبَادَةُ ابْنُ ٱلصَّامِتِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ أَحَدَ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلأُولَىٰ ـ بَيْعَةَ ٱلنِّسَاءِ ـ وَبَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةَ ـ بَيْعَةَ

---

(٣) الحج: ٣٩: ٤٠.

ٱلْحَرْبِ ـ «بَايَعْنَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَيْعَةَ ٱلْحَرْبِ عَلَىٰ ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَمَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلاَّ نُنَازِعَ ٱلأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ ٱلْحَقَّ أَيْنَمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي ٱللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ».

وَأُذِنَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ يَثْرِبَ ٱلَّتِي عُرِفَتْ فِيمَا بَعْدُ بِٱسْمِ «ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ».

عَبْدُ ٱللهِ يَطْلُبُ الْجَنَّة

لَمَّا خَرَجَ بَنُو جَحْشِ بْنِ رِئَابٍ مِنْ دَارِهِمْ فِي مَكَّةَ مُهَاجِرِينَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، عَدَا عَلَيْهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حَيْثُ كَانَتِ ٱبْنَتُهُ فَارِعَةُ عِنْدَ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ بْنِ جَحْشٍ، كَمَا كَانَتِ ٱبْنَتُهُ ٱلثَّانِيَةُ (أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ) عِنْدَ (عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ) وَهُوَ فِي بِلَادِ ٱلْحَبَشَةِ مُتَنَصِّرٌ، وَبَاعَ أَبُو سُفْيَانَ ٱلدَّارَ لِعَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، فَلَمَّا وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ بَنِي جَحْشٍ فِي ٱلْمَدِينَةِ بِمَا صَنَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِدَارِهِمْ، ذَكَرَ ذٰلِكَ (عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: أَلَا تَرْضَىٰ يَا عَبْدَ ٱللهِ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ بِهَا دَاراً خَيْراً مِنْهَا فِي ٱلْجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ فَذٰلِكَ لَكَ.

وَٱسْتَشْهَدَ عَبْدُ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ طَالِباً ٱلْجَنَّةَ رَاغِباً بِدَارٍ فِيهَا بَدَلٍ مِنْ دَارِهِ فِي مَكَّةَ وَٱلَّتِي بَاعَهَا أَبُو سُفْيَانَ.

وَعِنْدَمَا فَتَحَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَكَّةَ، كَلَّمَهُ أَبُو أَحْمَدَ فِي دَارِهِمْ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ لِأَبِي أَحْمَدَ:

يَا أَبَا أَحْمَدَ ، إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَكْرَهُ أَنْ تَرْجِعُوا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أُصِيبَ مِنْكُمْ فِي ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمْسَكَ عَنْ كَلاَمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، فكفّ، وَقَالَ لأَبِي سُفْيَانَ:

أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهْ
دَارُ ٱبْنِ عَمِّكَ بِعْتَهَا تَقْضِي بِهَا عَنْكَ ٱلْغَرَامَهْ
وَحَلِيفُكُمْ بِٱللهِ رَبِّ ٱلنَّاسِ مُجْتَهِدُ ٱلْقَسَامَهْ[1]
إِذْهَبْ بِهَا إِذْهَبْ بِهَا طُوِّقْتَهَا طَوْقَ ٱلْحَمَامَه

وَهٰكَذَا فَإِنَّ ٱلإِنْسَانَ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْجَنَّةَ لَنْ يَبْحَثَ فِي مَتَاعِ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةِ، وَلَوْ أَنَّهُ مَلَكَ ٱلأَرْضَ كُلَّهَا، وَأُسْمِعَ مُقَابِلَهَا بِٱلْجَنَّةِ، لَتَنَازَلَ عَنْ كُلِّ ما يَمْلِكُ دُونَ تَرَدُّدٍ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ عَلَىٰ أَنْ يَنَالَ شَيْئاً فِي ٱلْجَنَّةِ، أَوْ يَحْصُلَ عَلَىٰ أَجْرٍ، أَوْ تُمْحَىٰ عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَيُوضَعَ عَنْهُ وِزْرٌ، وَلِهٰذَا عِنْدَمَا كَلَّمَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ عَبْدُ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي شَأْنِ ٱلدَّارِ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ جَوَابٌ سِوَىٰ بَلَىٰ دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

---

(١) القَسَامَةُ: الهدنة بين العدوّ والمسلمين.

العَقِيدَةُ رِبَاطُ الحَيَاةِ

لَمَّا ٱرْتَدَّ (عُبَيْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) في ٱلْحَبَشَةِ، وَتَنَصَّرَ، وَعَادَ شَقِيقُهُ (عَبْدُ ٱللهِ) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَثَبَتَ عَلَىٰ ٱلإِيْمَانِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، ٱنْقَطَعَ ما كَانَ بَيْنَ ٱلشَّقِيقَيْنِ مِنْ صِلَةٍ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ أُخُوَّةٍ، وَغَدَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَسِيرُ في طَرِيقِهِ ٱلَّذِي تَقْتَضِيهِ عَقِيدَتُهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أَيَّةُ رَابِطَةٍ، فَعَبْدُ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَدْ نَسِيَ (عُبَيْدَ ٱللهِ) تَمَاماً، وَلَمْ يَعُدْ يَذْكُرُهُ أَبَداً، وَأَصْبَحَ إِخْوَتُهُ هُمُ ٱلَّذِينَ يَعِيشُ مَعَهُمْ في ٱلْمَدِينَةِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ صِلَةُ نَسَبٍ أَوْ قَرَابَةُ رَحِمٍ أَوْ رَابِطَةُ جِنْسٍ؛ فَٱلْعَقِيدَةُ هِيَ رِبَاطُ ٱلْحَيَاةِ وَٱلصِّلَةُ بَيْنَ ٱلأَفْرَادِ «لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولٰئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ ٱلإِيْمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، أُولٰئِكَ حِزْبُ ٱللهِ أَلاَ إِنَّ

حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ »[1] .

---

(١) المجادلة: آية: ٢٢.

عَبْدُ ٱللهِ يَطْلُبُ الشَّهَادَةَ

كَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مُدَّةَ إِسْلاَمِهِ كُلَّهَا هَادِئاً لاَ يُظْهِرُ شَجَاعَةً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ أُعْطِيهَا، وَلَمْ يُبْدِ قُوَّةً مَعَ ٱمْتِلاَكِهِ لَهَا، وَلاَ يُرِيدُ زَعَامَةً عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ مُؤَهِّلاَتِهِ، وَلاَ يَبْغِي قِيَادَةً مَعَ إِمْكَانَاتِهِ ٱلْفَذَّةِ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَىٰ ٱلأَجْرِ، وَيَتَقَرَّبَ إِلَىٰ ٱللهِ بِٱلْعِبَادَةِ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ. فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ ٱلْمُسْلِمُونَ بِٱلْمَدِينَةِ؛ بَدَأَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يُرْسِلُ ٱلسَّرَايَا، وَيُجَهِّزُ ٱلْغَزَوَاتِ، وَيَخْتَارُ لَهَا ٱلأَبْطَالَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ؛ لِيُثَبِّتَ مَرْكَزَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَيَسْتَعِيضَ بَعْضَ مَا تَرَكَهُ ٱلْمُهَاجِرُونَ مِنْ مَكَّةَ، وَلِيُجْبِرَ قُرَيْشَ عَلَىٰ ٱلْمُهَادَنَةِ وَٱلاَعْتِرَافِ بِٱلإِسْلاَمِ، وَهِيَ فِي حَالَةِ حَرْبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْمَدِينَةِ.

وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ ٱلأَنْصَارِ أَحَدٌ،

وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَمَانِيَةً وَهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ، سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءَ، خَالِدُ بْنُ ٱلْبُكَيْرِ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ جَحْشٍ وَكَتَبَ لَهُ كِتَاباً، وَأَمَرَهُ أَلاَّ يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّىٰ يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِيَ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَلاَ يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَداً. فَلَمَّا سَارَ ٱلْقَائِدُ يَوْمَيْنِ فَتَحَ ٱلْكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هٰذَا فَٱمْضِ حَتَّىٰ تَنْزِلَ (نَخْلَةَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلطَّائِفِ، فَتَرَصَّدْ بِهَا قُرَيْشاً وَتَعَلَّمْ لَنَا مِنْ أَخْبَارِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ فِي ٱلْكِتَابِ قَالَ: سَمْعاً وَطَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنْ أَمْضِيَ إِلَىٰ (نَخْلَةَ)، أَرْصُدُ بِهَا قُرَيْشاً، حَتَّىٰ آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَداً مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ ٱلشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذٰلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمَّا أَنَا فَمَاضٍ لِأَمْرِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَمَضَىٰ وَمَضَىٰ مَعَهُ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَفِي ٱلطَّرِيقِ أَضَلَّ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) وَ(عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ) بَعِيراً لَهُمَا، كَانَا يَتَعَاقَبَانِهِ، فَتَخَلَّفَا عَنْهُ فِي طَلَبِهِ، وَمَضَىٰ (عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) وَبَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ حَتَّىٰ نَزَلَ

(نَخْلَةَ)، فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيباً وَأُدُماً [1]، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ ٱلْحَضْرَمِيِّ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ، فَلَمَّا رَآهُمُ ٱلْقَوْمُ هابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيباً مِنْهُمْ، وَتَشَاوَرَ ٱلصَّحَابَةُ فِي ٱلْعِيرِ، وَكَانَ آخِرَ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَقَالُوا: وَٱللهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ ٱلْقَوْمَ هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ لَيَدْخُلُنَّ ٱلْحَرَمَ، فَلَيَمْتَنِعُنَّ مِنْكُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ، فَتَرَدَّدُوا، وَهَابُوا ٱلإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ وَأَخْذِ ما مَعَهُمْ. فَشَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَقَدِ ٱسْتَطَاعُوا قَتْلَ (عَمْرِو بْنِ ٱلْحَضْرَمِيِّ)، وَأَسْرِ (ٱلْحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ) وَ(عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ) وَأَخْذِ ٱلعِيرِ، وَأَقْبَلُوا بِمَا حَصَلُوا عَلَيْهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ. وَكَانَ ٱبْنُ ٱلْحَضْرَمِيِّ أَوَّلَ قَتِيلٍ قَتَلَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ، وَٱلأَسِيرَانِ أَوَّلَ ٱلَّذِينَ (أَسَرُوا).

---

(١) الأُدُمُ: مفردها ٱلإِدامُ: ما يُسْتَمْرَأُ به ٱلْخُبْزُ.

القَائِدُ الخَائِفُ

وصَلَ ٱلْقَوْمُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَقَدَّمُوا مَا حَصَلُوا عَلَيْهِ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُمْ: ما أَمَرْتُكُمْ بِقِتالٍ فِي ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ. فَوَقَّفَ ٱلْعِيرَ وَٱلأَسِيرَيْنِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً، فَلَمَّا قَالَ ذٰلِكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ؛ سُقِطَ فِي أَيْدِي ٱلْقَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَنَّفَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقالَتْ قُرَيْشٌ: قَدِ ٱسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيهِ ٱلدَّمَ، وَأَخَذُوا فِيهِ ٱلأَمْوَالَ، وَأَسَرُوا فِيهِ ٱلرِّجَالَ، فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِم مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ. وَخَافَ (عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا مِنَ ٱلْحَدِيثِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضُوعِ حَتَّىٰ أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ ٱللهِ، وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ، وَلَا يَزَالُونَ

يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا»[1]. فَلَمَّا نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ بِهٰذَا ٱلأَمْرِ وَفَرَّجَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلْخَوْفِ قَبَضَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْعِيرَ وَٱلأَسِيرَيْنِ.

أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ تَطْلُبُ فِدَاءَ أَسِيرَيْهَا، فَرَفَضَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَقَالَ: لاَ نَفْدِيكُمُوهُمَا حَتَّىٰ يَقْدُمَ صَاحِبَانَا سَعْدٌ وَعُتْبَةُ، فَلَمَّا قَدِمَا فَدَاهُمَا. فَأَمَّا (ٱلْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ) أَحَدُ ٱلأَسِيرَيْنِ فَقَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَقُتِلَ شَهِيداً فِي غَزْوَةِ بِئْرِ مَعُونَةَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَأَمَّا (عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ) فَقَدْ لَحِقَ بِمَكَّةَ وَمَاتَ كَافِراً.

---

(١) البقرة: ٢١٦.

القَائِدُ ٱلْمُلْهَمُ

وَفي أَثْنَاءِ ٱلطَّرِيقِ ـ طَرِيقِ ٱلْعَوْدَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ـ قَالَ (عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ مِمَّا غَنِمْنَا ٱلْخُمُسَ. وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ ٱللهُ تَعَالَىٰ ٱلْخُمُسَ مِنَ ٱلْمَغَانِمِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَقَبَضَ ذٰلِكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ـ بَعْدَ ٱنْفِرَاجِ ٱلْغُمَّةِ ـ عَزَلَ خُمُسَ ٱلْعِيرِ، وَقَسَمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِ (عَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ) رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ بِهٰذَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ ٱلْكُبْرَىٰ بَعْدَ ٱلتَّسَاؤُلِ عَنِ ٱلْغَنَائِمِ (ٱلأَنْفَال) «وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِٱللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ، وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

---

(١) الأَنْفَال: ٤٠.

عَبدُ ٱللهِ يَطلُبُ ٱلأَجرَ

لَمَّا أُنْزِلَ مِنَ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ بِهٰذِهِ ٱلْحَادِثَةِ مَا أُنْزِلَ، وَتَجَلَّىٰ عَنْ (عَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ) وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ، طَمِعُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَجْرُ ٱلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُمْ أَعْمَالَ ٱلْغَزْوِ وَٱلْجِهَادِ، فَقَالُوا لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ: أَنَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةٌ نُعْطَىٰ فِيهَا أَجْرَ ٱلْمُجَاهِدِينَ؟ فَأَنْزَلَ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُولٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ ٱللهِ، وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»[1].
فَأَعْطَاهُمُ ٱللهُ بِذٰلِكَ ٱلأَجْرَ، وَوَضَعَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ ٱلرَّجَاءِ.

وَكَانَتْ غَنِيمَتُهُمْ هٰذِهِ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ.

وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ بِذٰلِكَ:

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي ٱلْحَرَامِ عَظِيمَةً
وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَىٰ ٱلرُّشْدَ رَاشِدُ

(١) البقرة: ٢١٨.

صُــدُودُكُــمُ عَمَّــا يَقُــولُ مُحَمَّــدٌ
وَكُفْــرٌ بِــهِ وَٱللَّهُ رَاءٍ وَشَــاهِــدُ
وَإِخْــرَاجُكُــمْ مِــنْ مَسْجِــدِ ٱللهِ أَهْلَــهُ
لِئَلاَّ يُــرَىٰ لِلَّــهِ فِي ٱلْبَيْــتِ سَــاجِــدُ
فَــإِنَّــا وَإِنْ عَيَّــرْتُمُــونَــا بِقَتْلِــهِ
وَأَرْجَــفَ بِــٱلإِسْلاَمِ بَــاغٍ وَحَــاسِــدُ
سَقَيْنَــا مِــنِ ٱبْــنِ ٱلْحَضْــرَمِــيِّ رِمَــاحَنَــا
بِنَخْلَــةَ لَمَّــا أَوْقَــدَ ٱلْحَــرْبَ وَاقِــدُ[1]
دَمــاً، وَٱبْــنُ عَبْــدِ ٱللهِ عُثْمَــانُ[2] بَيْنَنَــا
يُنَــازِعُــهُ غُــلٌّ مِــنَ القِــدِّ عَــانِــدُ

(١) واقد بن عبد الله هو الذي أوقد الحرب وقتل ابن الحضرمي بسهم.

(٢) عثمان بن عبد الله الذي أخذ أسيراً، ويبدو أن الشاعر لم يذكر (الحكم بن كيسان) حيث دخل في الاسلام وحسن إسلامه.

عَبْدُ ٱللهِ فِي بَدْرٍ

وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَعْدَهَا يَعْتَرِضُونَ عِيراً لِقُرَيْشٍ فِي طَرِيقِهَا إِلَىٰ ٱلشَّامِ ، وَلٰكِنَّهَا أَفْلَتَتْ مِنْهُمْ، فَعَادُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ يَنْتَظِرُونَ رُجُوعَهَا، وَمَا إِنْ بَلَغَهُمْ خَبَرُهَا حَتَّىٰ خَرَجُوا يُرِيدُونَهَا؛ إِلاَّ أَنَّ خَبَرَ خُرُوجِهِمْ قَدْ وَصَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَخَرَجَ ٱلْمُشْرِكُونَ، وَٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ أَحَدُهُمَا يُرِيدُ ٱلْقِتَالَ وَمُتَأَهِّبٌ لَهُ، وَالآخَرُ يُرِيدُ ٱلْعِيرَ وَغَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لِلْحَرْبِ، وَيُرِيدُ ٱللهُ أَنْ يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَاطِلَ، وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ. وَكَانَ أَمْرُ ٱللهِ مَفْعُولاً، وَٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ ، فَنَصَرَ ٱللهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَأَذَلَّ أَعْدَاءَهُ ٱلْمُشْرِكِينَ

وَكَانَ (عَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي جُمْلَةِ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا ، وَأَبْلَىٰ بَلاَءً حَسَناً ، وَخَاضَ ٱلْقِتَالَ بِكُلِّ بَسَالَةٍ ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي جَعَلَ قُرَيْشاً تَحْقِدُ عَلَيْهِ حِقْداً عَظِيماً ، وَتُرِيدُ

ٱلاِنْتِقَامَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي قِتَالِهِ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَرْتَفِعَ ٱسْمُهُ، وَلاَ يَعْلُوَ شَأْنُهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يُقَاتِلُ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا، وَيَرْجُو لَوْ يَظْفَرُ بِٱلشَّهَادَةِ، وَلٰكِنَّ إِرَادَةَ ٱللهِ فَوْقَ كُلِّ إِرَادَةٍ.

شهـيدُ أُحُـدٍ

وَٱنْتَصرَ ٱلْمُسْلِمُونَ في بَدْرٍ، وَعَـادُوا إلَـىٰ مَـدِينَتِهِـمْ مَـعَ رَسُولِهِمُ ٱلْكَرِيمِ ، وَقَدِ ٱرْتَفَعَتْ رَايَةُ ٱلإِسْلاَمِ وَعَلَتْ مَكَانَتُهُ وَٱنْحَطَّتْ كَلِمَةُ قُرَيْشٍ وَقَلَّ شَأْنُهَا... وَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ ٱلثَّأْرَ وَإِعَادَةَ مَكَانَتِهَا إِلَيْهَا، فَخَرَجَتْ بِقُوَّتِهَا وَجَبَرُوتِهَا، وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ لِمُلاَقَاتِهَا ظَاهِرَ ٱلْمَـدِينَـةِ، وَٱلْتَقَـىٰ ٱلْجَمْعَـانِ في سُفُوحِ جَبَلِ أُحُدٍ ٱلْجَنُوبِيَّةِ... وَأَرَادَ ٱللهُ ٱبْتِلاَءَ ٱلْمُسْلِمِينَ... وَكَانَتْ إِرَادَةُ ٱللهِ.

كَانَ (عَبدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ في طَلِيعَةِ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ ٱللهُ بِٱلإِسْلاَمِ ، وَمَا كَانَ لِيُفَضِّلَ نَفْسَهُ عَلَىٰ نَفْسِ رَسُولِهِ ٱلْكَرِيمِ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا».

وَٱنْطَلَقَ عَبْدُ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يُقَاتِلُ في كُلِّ مَيْدَانٍ ،

وَيَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ آخَرَ حَتَّىٰ مَلأَ قُلُوبَ أَعْدَاءِ ٱللهِ حِقْداً عَلَيْهِ، وَأَخِيراً ٱسْتَشْهَدَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَوَقَعَتْ جُثَّتُهُ بِأَيْدِي قُرَيْشٍ فَمَثَّلَتْ بِهَا، وَلَمْ تُمَثِّلْ إِلاَّ بِهَا وَبِجُثَّةِ ٱلْحَمْزَةِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَلٰكِنْ لَمْ يُبْقَرْ كَبِدُهُ.

وَارَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ شُهَدَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَدَفَنَ عَمَّهُ ٱلْحَمْزَةَ وَٱبْنَ أُخْتِهِ عَبْدَ ٱللهِ بْنِ جَحْشٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ...

وَهٰكَذَا ٱنْتَهَتْ حَيَاةُ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ شَهِيداً فِي سَبِيلِ ٱللهِ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤ -

ابنُ عمّة رسول الله صلّى الله عَليه وسلّم

الزُّبَيْرُ بنُ العَوَام

رَضِيَ الله عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعالَمِينَ، وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ عَلَىٰ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ: فَإِنَّهُ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَحَدُ ٱلْعَشَرَةِ ٱلْمُبَشَّرِينَ بِٱلْجَنَّةِ، وَٱبْنُ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَأَحَدُ رِجَالاَتِ قُرَيْشٍ ٱلْمَعْرُوفِينَ وَفُرْسَانِهَا ٱلْمَعْدُودِينَ؛ فَإِنَّ حَيَاتَهُ غَيْرُ مَعْرُوفَةٍ تَمَاماً؛ حَيْثُ كَانَ يَعِيشُ فِي ظِلِّ ٱلصَّحَابَةِ ٱلآخَرِينَ. يُعْرَفُ ٱسْمُ ٱلْقَائِدِ فِي ٱلْمَعَارِكِ، وَيُغْفَلُ ٱسْمُ ٱلْجُنُودِ ٱلأَبْطَالِ مَهْمَا كَانَتْ شَجَاعَتُهُمْ، وَمَهْمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ بُطُولاتُهُمْ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلزُّبَيْرُ يَرْغَبُ فِي ٱلْقِيَادَةِ؛ لِيَبْقَىٰ فِي عِدَادِ ٱلْمَغْمُورِينَ، يَطْلُبُ ٱلأَجْرَ مِنَ ٱللهِ، لا يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ ثَمَنَ أَعْمَالِهِ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةِ شُهْرَةً أَوْ جَاهاً أَوْ مَالاً أَوْ مَنْصِباً، بَلْ يَرْجُو كَمَا يَرْجُو بَقِيَّةُ ٱلصَّحَابَةِ أَنْ تَبْقَىٰ حَيَاتُهُ هٰكَذَا يُجَاهِدُ وَيَطْلُبُ ٱلشَّهَادَةَ لِيَظْفَرَ بِٱلآخِرَةِ، وَيَغْزُو وَيَرْغَبُ فِي ٱلْجَنَّةِ جَزَاءَ عَمَلِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْمَعَ ذِكْرُهُ أَوْ يُعْرَفَ وَضْعُهُ.

وَمِنَ ٱلْمُؤْسِفِ أَنْ يَكُونَ ٱلْجُزْءُ ٱلْمَعْرُوفُ مِنْ حَيَاةِ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ وَقْتُ ٱلْفِتْنَةِ، وَفِي أَواخِرِ حَيَاتِهِ، وَكَأَنَّمَا نُسِيَتْ حَيَاتُهُ ٱلأُولَىٰ وَأَعْمَالُهُ ٱلْعَظِيمَةُ، حَيْثُ سُلِّطَتِ ٱلأَضْوَاءُ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلْمَرْحَلَةِ مِنْ تَارِيخِ ٱلإِسْلاَمِ، وَكَثُرَ فِيهَا ٱلْحَدِيثُ، وَتَشَعَّبَتِ ٱلأَهْوَاءُ، وَزَادَ أَعْدَاءُ ٱلإِسْلاَمِ فِي ٱلطَّعْنِ بِٱفْتِرَاءَاتِهِمْ بِذِكْرِ مَوَاقِفَ لِلصَّحَابَةِ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلنَّظَرِ أَوْ يَبْدُو فِيهَا ٱلتَّرَدُّدُ أَوِ ٱلتَّنَاقُضُ وَ - حَسْبَ زَعْمِهِمْ - يَظُنُّونَ أَنَّ قِيمَةَ ٱلإِسْلاَمِ تَخِفُّ مِنَ ٱلنُّفُوسِ بِوَصْفِ رِجَالاَتِهِ ٱلْبَارِزِينَ وَصْفاً فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ ٱلتَّجَنِّي، وَيَجْهَلُونَ أَنَّ تَقْوِيمَ ٱلْمَرْءِ عِنْدَنَا لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِمِقْدَارِ تَمَسُّكِهِ بِٱلإِسْلاَمِ وَتَطْبِيقِهِ لَهُ. وَرُبَّمَا كَانَ مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلَّذِينَ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ هٰذَا ٱلْوَصْفُ هُوَ سَيِّدُنَا ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

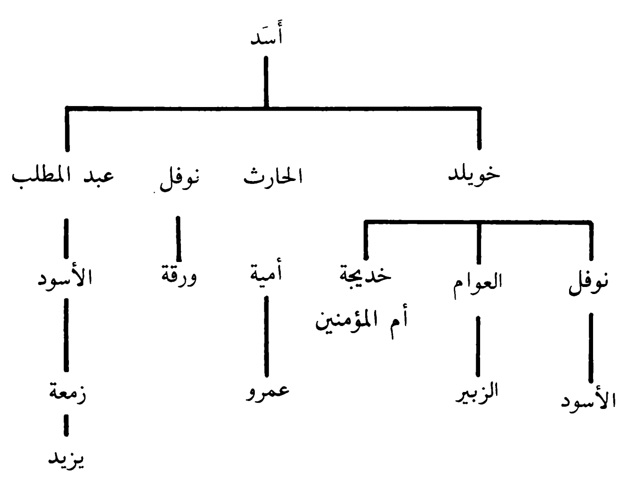
وَإِذَا كَانَ ٱلإِنْسَانُ يَعْجَزُ عَنْ أَنْ يُعْطِيَ صُورَةً صَادِقَةً لأَحَدِ ٱلصَّحَابَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ أَيَّامٍ نَاصِعَةٍ وَأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ وَمَوَاقِفَ بُطُولِيَّةٍ رَائِعَةٍ وَٱرْتِفَاعٍ بِٱلإِنْسَانِ وَسُمُوٍّ يَصِلُ فِيهِ إِلَىٰ فَوْقَ مُسْتَوَىٰ ٱلرِّجَالِ فَإِنَّهُ مِنَ ٱلصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ أَنْ يُقَدِّمَ تَعْرِيفاً لِصَحَابِيٍّ كَبِيرٍ فِي كُتَيِّبٍ صَغِيرٍ، إِلاَّ أَنَّ ٱلضَّرُورَةَ تَقْضِي أَنْ يَكُونَ ٱلتَّعْرِيفُ مُوجَزاً فَٱلْوَقْتُ ٱلضَّيِّقُ، وَحِرْصُ مُجْتَمَعَاتِ ٱلْيَوْمِ عَلَىٰ طَلَبِ ٱلإِخْتِصَارِ، وَأَخْذِ ٱلْمَعْلُومَاتِ عَنْ طَرِيقِ

جُرُعَاتٍ صَغِيرَةٍ فِي أَوْقَاتٍ قَلِيلَةٍ وَهٰذَا عُذْرِي فِي ٱلإِخْتِصَارِ وَتَكْثِيفِ ٱلْمَعْلُومَاتِ وَعَـدَمِ إِلْقَـاءِ ٱلأَضْـوَاءِ عَلَـىٰ بَعْـضِ ٱلْمَوَاقِفِ ٱلْمَجِيدَةِ بِصُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ .

فَأَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنِي ٱللهُ إِلَىٰ إِعْطَاءِ صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ عَنْ هٰذَا ٱلْعَلَمِ وَٱلْقِمَّةِ ٱلشَّامِخَةِ وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ ٱلْقَصْدِ .

أُسْرَةُ الزُّبَيْر

يَنْتَمِي ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ بَنِي أَسَدٍ أَحَدِ بُطُونِ قُرَيْشٍ ، وَإِذَا كَانَ بَنُو أَسَدٍ قَلِيلِي ٱلْعَدَدِ فِي ٱلْأَفْرَادِ إِلَّا أَنَّهُمُ ٱمْتَازُوا بِٱلْفُرُوسِيَّةِ وَٱلشَّجَاعَةِ .



لَقَدْ كَانَتْ بُطُونُ قُرَيْشٍ تَتَزَاوَجُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَيَحْرِصُ ٱلْآبَاءُ أَنْ يُزَوِّجُوا أَبْنَاءَهُمْ مِنْ بَنَاتِ ٱلْأُسَرِ ٱلْمَعْرُوفَةِ، وَيَخْتَارُوا لِبَنَاتِهِمْ مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلْمَشْهُورِينَ بِٱلْقُوَّةِ حَتَّىٰ يَجِدُوا لَهُمُ ٱلسَّنَدَ فِي ٱلشَّدَائِدِ .

ٱخْتَارَ خُوَيْلِدُ بْنُ أَسَدٍ لِوَلَدِهِ ٱلْعَوَّامِ ٱبْنَةَ سَيِّدِ قُرَيْشٍ آنَذَاكَ وَهِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ شَقِيقَةُ ٱلْحَمْزَةِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَأُمُّهُمَا هَالَةُ بِنْتُ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ٱلزُّهْرِيَّةُ، وَكَانَ ٱلْعَوَّامُ أَهْلاً لِهٰذَا ٱلزَّوَاجِ وَكُفْئاً لَهُ. وَبِهٰذَا ٱجْتَمَعَ لِوَلَدِ ٱلْعَوَّامِ شَرَفُ ٱلأُرُومَةِ وَطِيبُ ٱلْمَنْبَتِ. فَأَخَذَ ٱلزُّبَيْرُ مِنْ أُسْرَتِهِ (بَنِي أَسَدٍ) ٱلْفُرُوسِيَّةَ، وَمِنْ أُسْرَةِ أُمِّهِ (بَنِي هَاشِمٍ) ٱلْقُوَّةَ وَٱلسِّيَادَةَ، كَمَا ٱكْتَسَبَ مِنْ بَنِي زُهْرَةَ صَفَاءَ ٱلْفِكْرِ وَسَعَةَ ٱلأُفُقِ.

قُتِلَ ٱلْعَوَّامُ فِي حَرْبِ ٱلْفِجَارِ، وَكَانَتْ زَوْجُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ حَامِلاً بِوَلَدِهِ ٱلزُّبَيْرِ ٱلَّذِي وُلِدَ وَلَمْ يَعْرِفْ أَبَاهُ، فَنَشَأَ يَتِيماً فَقِيراً.

وَكَانَتْ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ عِنْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَفِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ فَهُوَ ٱبْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ.

صِفَاتُ الزُّبَيْر

كَانَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ طَوِيلاً إِذَا رَكِبَ تَخُطُّ رِجْلاَهُ ٱلأَرْضَ، وَكَانَ قَوِيّاً، تَرَبَّىٰ مُنْذُ طُفُولَتِهِ تَرْبِيَةً قَاسِيَةً، وَحَرَصَتْ أُمُّهُ صَفِيَّةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْها عَلَىٰ ذَلِكَ؛ إِذْ عُرِفَتْ هِيَ بِقُوَّتِهَا كَمَا عُرِفَ إِخْوَتُهَا وَبِخَاصَّةٍ ٱلْحَمْزَةَ سَيِّدَ ٱلشُّهَدَاءِ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ ٱلَّذِي ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ عَمْرَو بْنَ هِشَامٍ ضَرْبَةً شَجَّهُ بِهَا شَجَّةً مُنْكَرَةً عِنْدَمَا بَلَغَهُ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَدْ شَتَمَ ٱبْنَ أَخِيهِ مُحَمَّداً ﷺ، وَأَبُو جَهْلٍ مِنْ أَشِدَّاءِ قُرَيْشٍ ٱلْمَعْرُوفِينَ. أَمَّا صَفِيَّةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فَقَدْ نَزَلَتْ مِنْ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ـ فَارِعٍ ـ أَثْنَاءَ غَزْوَةِ ٱلْخَنْدَقِ، وَقَتَلَتْ يَهُودِيّاً بِعَمُودٍ، وَكَانَ هَذَا ٱلْيَهُودِيُّ يَطُوفُ بِٱلْحِصْنِ. وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَلَيْسَ بَيْنَ نِسَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضِدَّ يَهُود، وَرَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِنْ أَتَىٰ أَحَدٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ.

رَبَّتْ صَفِيَّةُ ٱبْنَهَا تَرْبِيَةً خَشِنَةً، فَكَانَتْ تَضْرِبُهُ ضَرْباً شَدِيداً؛ لِيَتَعَوَّدَ ٱلْحَيَاةَ ٱلْقَاسِيَةَ، فَيُلَبِّيَ دَاعِيَ ٱلْحَرْبِ، وَلاَ يَقْبَعَ فِي بَيْتِهِ كَٱلنِّسَاءِ. وَقَدْ عُرِفَ مِنَ ٱلصِّغَرِ بِقُوَّتِهِ، فَكَسَرَ يَدَ غُلاَمٍ، وَقَاتَلَ وَهُوَ غُلاَمٌ رَجُلاً، فَكَسَرَ يَدَهُ، وَضَرَبَهُ ضَرْباً شَدِيداً، وَكَانَ ذَلِكَ مَدْعاةً لِفَخْرِ أُمِّهِ بِوَلَدِها وَشَجَاعَتِهِ. وَجَاءَ رَجُلٌ مَرَّةً إِلَىٰ صَفِيَّةَ فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ ٱلزُّبَيْرُ؟ قَالَتْ: وَمَا تُرِيدُ إِلَيْهِ، قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُبَاطِشَهُ، فَقَالَتْ هَا هُوَ ذاكَ، فَصَارَ إِلَىٰ ٱلزُّبَيْرِ، فَبَاطَشَهُ، فَغَلَبَهُ ٱلزُّبَيْرُ، فَمَرَّ ٱلرَّجُلُ بِصَفِيَّةَ مَغْلُولاً، فَقَالَتْ صَفِيَّةُ: كَيْفَ رَأَيْتَ زَبْراً أَأَقِطاً وَتَمْراً أَمْ قُرَشِيّاً صَقْراً. وَعِنْدَما شَبَّ أَصْبَحَ مِنْ رِجالِ ٱلإِسْلامِ ٱلْمَعْدُودِين، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِذَلِكَ ٱلأَيَّامُ وَٱلْمَعَارِكُ ٱلَّتِي خَاضَها فِي سَبِيلِ ٱللهِ.

وَأَنْجَبَ أَوْلاَداً ٱشْتَهَرُوا بِقُوَّتِهِمْ وَشَجَاعَتِهِمْ، مِنْهُمْ عَبْدُ ٱللهِ وَلَدُهُ ٱلأَكْبَرُ ٱلَّذِي كُنِيَ بِهِ، وَمُصْعَبٌ وَعُرْوَةُ وَمُنْذِرٌ وَعَمْرٌو وَعُبَيْدَةُ وَجَعْفَرٌ وَعَامِرٌ وَعُمَيْرٌ وَحَمْزَةُ.

إسْـلامُ الزُّبَـيْر

كَانَ ٱلـزُّبَيْـرُ رَضِـيَ ٱللهُ عَنْـهُ يَتَـرَدَّدُ إِلَـىٰ دَارِ عَمَّتِـهِ أُمِّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، كَما كَانَ يَغْشَىٰ مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِيقِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَفِي كُلٍّ مِنْهَا قَدِ ٱنْتَشَرَ ٱلإِسْلاَمُ، إِضَافَةً إِلَىٰ أَنَّ أُمَّهُ في بَيْتِهِ كَانَتْ تُحِبُّ ٱبْنَ أَخِيهَا مُحَمَّداً ﷺ حُبّاً عَظِيماً وَتَتَحَدَّثُ دَائِماً عَمَّا ٱمْتَازَ بِهِ مِنْ صِفَاتٍ، وَلَمْ تَكُنْ قَدِ ٱعْتَنَقَتِ ٱلإِسْلاَمَ بَعْدُ، وَهٰذَا ما جَعَلَ مُحَمَّداً يَكْبُرُ في عَيْنِ وَلَدِهَا ٱلزُّبَيْرِ، وَيَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيباً مِنْهُ، يَكْتَسِبُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَتَعَلَّمُ مِنْ أَخْلاَقِهِ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ رَجُلاً يَأْلَفُهُ قَوْمُهُ مُحَبَّباً سَهْلاً، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِما كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلاً تاجِراً، ذا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رِجالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيأْلَفُونَهُ لأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، لِعِلْمِهِ، وَتِجَارَتِهِ، وَحُسْنِ مُجالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَىٰ ٱللهِ وَإِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ مِمَّنْ يَغْشَاهُ، وَيَجْلِسُ

إِلَيْهِ. وكَانَ مِمَّنْ دَعَاهُمُ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَٱسْتَجَابَ، وَأَسْلَمَ، وَلَمْ يَتَجَاوَزِ ٱلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ. وَعَلَىٰ هٰذَا يَكُونُ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنْ أَوائِلَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا، بَلْ يُعَدُّ خَامِسَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلأَحْرارِ. وَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَاماً.

عَدَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ رِجَالِهَا وَمَوالِيهَا، وَأَذَاقَتْهُمْ مُرَّ ٱلْعَذَابِ، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أَصَابَهُمُ ٱلأَذَىٰ إذ حَاوَلَ أَحَدُ عُمُومَتِهِ أَنْ يَثْنِيهِ عَنِ ٱلإِيمَانِ فَعَجِزَ، عِنْدَئِذٍ قَيَّدَهُ بِٱلْحِبالِ وَلَفَّهُ فِي حَصِيرٍ، وَعَلَّقَهُ عَلَىٰ حَائِطٍ، وَأَوْقَدَ تَحْتَهُ نَاراً، وَٱنْدَلَعَتْ أَلْسِنَةُ ٱلدُّخَانِ إِلَىٰ ٱلْحَصِيرِ، وَوَصَلَتْ إِلَىٰ ٱلزُّبَيْرِ، فَٱحْتَرَقَتْ أَنْفُهُ، وَسَالَتِ ٱلدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ ٱلدُّخَانِ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ هَالِكٌ لاَ مَحَالَةَ إِلاَّ أَنَّهُ صَبَرَ وَتَجَلَّدَ فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ. وَٱنْتَهَىٰ وَقُودُ ٱلنَّارِ فَٱنْطَفَأَتْ، وَبَقِيَ ٱلزُّبَيْرُ مُعَلَّقاً عَلَىٰ ٱلْحَائِطِ حَتَّىٰ ٱنْتَهَىٰ ٱلنَّهَارُ، فَجَاءَ عَمُّهُ، فَأَنْزَلَهُ، فَوَجَدَهُ قَدِ ٱسْوَدَّ لَوْنُهُ، وَٱحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ عَمُّهُ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، وَظَنَّ أَنَّ ٱلأَمْرَ قَدِ ٱنْتَهَىٰ، إِلاَّ أَنَّ ٱلزُّبَيْرَ قَدْ رَدَّهُ رَدّاً جَمِيلاً، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ ٱلْكُفْرِ أَبَداً بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنْهُ،

وَهَلْ يُحِبُّ أَحَدٌ أَنْ يُلْقَىٰ في ٱلنَّارِ.. وَلَكِنَّ ٱلْعَمَّ ٱلْكَافِرَ كَانَ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ، فَلَمْ يَلِنْ، وَإِنَّما عَادَ إِلَىٰ تَعْذِيبِهِ ثَانِيَةً وَثَالِثةً، وَلَكِنَّ ٱلزُّبَيْرَ بَقِيَ رَاسِخَ ٱلإِيمانِ ثَابِتاً عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ. وَعِنْدَها أَيْقَنَ ٱلْعَمُّ أَنَّ ٱلْعَذَابَ وَسِيلَةٌ غَيْرُ مُفِيدَةٍ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَىٰ غَايَتِهِ بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ لِذَا تَرَكَهُ وَشَأْنَهُ. فَٱلإِيمَانُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُبْعِدَهُ ٱلْعَذَابُ، مَهْمَا عَظُمَ، عَنِ ٱلنُّفُوسِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلَّتِي تَسْتَصْغِرُ ٱلدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةَ وَتَسْتَعْذِبُ ٱلْمَصَائِبَ في سَبِيلِ عَقِيدَتِهَا.

الهِجْـرَةُ إلىٰ الحبَشَـةِ

ٱشْتَدَّتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَرَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ ٱلأَذَىٰ، وَهُوَ في مَأْمَنٍ مِنْهُ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُمْ شَيْئاً، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ حَتَّىٰ يَجْعَلَ ٱللهُ لَهُمْ فَرَجاً، فَإِنَّ فِيهَا مَلِكاً لاَ يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يَعِيشُوا هُناكَ بِأَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، فَرَحَلَ بَعْضُ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا، وَمِنْهُمُ ٱلزُّبَيْـرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ. وَمَا ٱسْتَقَرَّتِ ٱلْحَيَاةُ بِهِمْ مُدَّةً حَتَّىٰ خَرَجَ بَعْضُ ٱلأَحْباشِ يُنَازِعُونَ ٱلنَّجَاشِيَّ عَلَىٰ ٱلْحُكْمِ، فَحَزِنَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَـىٰ ذَلِـكَ أَشَـدَّ ٱلْحُـزْنِ، وَخَافُوا أَنْ يَظْهَرَ ٱلْخَارِجُونَ عَلَىٰ ٱلنَّجَاشِيِّ فَلاَ يَعْرِفُونَ لِلْمُسْلِمِينَ حَقّاً كَانَ يَعْرِفُهُ لَهُمُ ٱلنَّجَاشِيُّ. وَسَارَ ٱلنَّجَاشِيُّ إِلَىٰ ٱلْخَارِجِينَ وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَرْضُ ٱلنِّيلِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّىٰ يَحْضُرَ وَقِيْعَةَ ٱلْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينا بِٱلْخَبَرِ؟ قالَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: أَنا، وَكَانَ أَحْدَثَ ٱلْقَوْمِ سِنّاً، قَالُوا: فأنت، فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا في

صَدْرِهِ، ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ حَضَرَهُمْ، ثُمَّ عَادَ ٱلزُّبَيْرُ مِنْ حَيْثُ أَتَىٰ وَهُوَ يَقُولُ: أَلاَ أَبْشِرُوا، فَقَدْ ظَفِرَ ٱلنَّجَاشِيُّ، وَأَهْلَكَ ٱللهُ عَدُوَّهُ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي بِلاَدِهِ.

سَمِعَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي ٱلْحَبَشَةِ أَنَّ ٱلإِسْلاَمَ فِي مَكَّةَ قَدْ تَمَكَّنَ، وَأَنَّ أَهْلَهَا قَدْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ بَعْضُهُمْ بِٱلْعَوْدَةِ، وَمِنْهُمُ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَاقَتْ نَفْسُهُ لِرُؤْيَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَٱلنَّهْلِ مِنْهُ. وَلٰكِنَّ ٱلْعَائِدِينَ وَجَدُوا أَنَّ ٱلأَمْرَ فِي مَكَّةَ لاَ يَزَالُ عَلَىٰ ما تَرَكُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ بَعْضُهُمْ دُخُولَ بَلَدِهِمْ إِلاَّ بِجِوَارٍ، وَدَخَلَ بَعْضُهُمُ ٱلآخَرُ مُسْتَخِفياً وَمِنْهُمُ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

وَمَكَثَ ٱلزُّبَيْرُ فِي مَكَّةَ عِدَّةَ شُهُورٍ ثُمَّ ٱضْطُرَّ إِلَىٰ ٱلْعَوْدَةِ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ، وَلٰكِنَّهُ إِنْ عَادَ بِجِسْمِهِ إِلاَّ أَنَّ قَلْبَهُ بَقِيَ مُتَعَلِّقاً بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِٱسْتِمْرَارٍ: أَنَعِيشُ هُنَا فِي سَلاَمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَرَسُولُ ٱللهِ فِي مَكَّةَ يُعانِي مِنْ سَادَاتِها ما يُعانِيهِ مِنَ ٱلضَّرِ وَٱلأَذَىٰ، فَلاَ بُدَّ لَنَا مِنَ ٱلْعَوْدَةِ إِلَىٰ بَلَدِنَا نُشَارِكُ رَسُولَ ٱللهِ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، حَتَّىٰ يَقْضِيَ ٱللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً، فَإِنْ نَصَرَنا ٱللهُ عَلَىٰ عَدُوِّنَا فَذٰلِكَ مَا نَبْغِي، وَإِنْ كَانَتِ ٱلثَّانِيَةُ فَهِيَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ. لِذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعِيشَ طَوِيلاً فِي ٱلْحَبَشَةِ، فَعَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ لِيَعِيشَ بِجَانِبِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

الزُّبَيْرُ في مَكَّةَ

رَجَعَ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلاَزَمَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، يَنْهَلُ مِنْ عِلْمِهِ، وَيَتَأَدَّبُ مِنْ أَدَبِهِ، وَفِي ٱلْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ كَثِيرَ ٱلتَّرَدُّدِ عَلَىٰ مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.
وَٱزْدَادَتِ ٱلْأَوَاصِرُ قُوَّةً بَيْنَ هٰذَيْنِ الصَّحَابِيَّيْنِ ٱلْجَلِيلَيْنِ، وَأَرَادَ ٱلزُّبَيْرُ أَنْ تَكُونَ ٱلْقُرْبَىٰ بَيْنَهُمَا إِضَافَةً إِلَىٰ رَوَابِطِ ٱلْأُخُوَّةِ فِي ٱلإِيمَانِ، فَطَلَبَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُزَوِّجَهُ ٱبْنَتَهُ أَسْمَاءَ... إِلاَّ أَنَّ ٱلزُّبَيْرَ كَانَ فَقِيراً وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُوسِراً، لٰكِنَّ ٱلْفَقْرَ لَمْ يَكُنْ فِي يَوْمٍ مِنَ ٱلْأَيَّامِ مُقَلِّلاً مِنْ أَهْلِيَّةِ ٱلزَّوَاجِ عِنْدَ أَصْحَابِ ٱلْفِكْرِ وَالرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱلْكَفَاءَةُ فِي ٱلدِّينِ. وَنَظَرَ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ ٱلزُّبَيْرِ فَرَأَىٰ فِيهِ أُخُوَّةً بِٱلإِسْلاَمِ وَكَفَىٰ بِهَا رَابِطاً وَكَفَىٰ بِهَا كُفْئاً لِمُصَاهَرَتِهِ، فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي طَلَبِهِ، وَكَانَ ٱلزَّوَاجُ ٱلَّذِي بَارَكَ ٱللهُ فِيهِ، إِنَّهُ قَامَ عَلَىٰ أُسُسِ ٱلإِيمَانِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ أُسُسُ ٱلْمَالِ أَوِ ٱلْجَمَالِ أَوِ ٱلْمَصْلَحَةِ ٱلدُّنْيَوِيَّةِ، فَمَا أَقْبَلَ ٱلزُّبَيْرُ عَلَيْهِ إِلاَّ لِتَقْدِيرِهِ لأَبِي بَكْرٍ وَمَعْرِفَةِ صِدْقِهِ وَإِيمَانِهِ وَصُحْبَتِهِ لِرَسُولِ ٱللهِ

ﷺ وَثِقَتِهِ بِهِ، وَٱنْطِلاَقاً مِنْ هٰذَا رَغِبَ فِي ٱلْمُصَاهَرَةِ، وَمَا قَبِلَ أَبُو بَكْرٍ هٰذَا ٱلنَّسَبَ إِلاَّ احْتِرَاماً لِهٰذَا ٱلشَّابِّ ٱلْمُؤمِنِ ٱلَّذِي عَرَفَ إِيمَانَهُ وَخَبَرَ حَقِيقَةَ رَغْبَتِهِ ٱلَّتِي تَنْبَعِثُ مِنَ ٱلْعَقِيدَةِ... وَتَمَّ ٱلزَّوَاجُ.

وَأُشِيعَ خَبَرٌ فِي مَكَّةَ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، فَمَا إِنْ وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ ٱلزُّبَيْرِ حَتَّىٰ هَبَّ مِنْ مَكَانِهِ وَٱمْتَشَقَ حُسَامَهُ، وَٱنْطَلَقَ دُونَ أَنْ يَعِيَ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ لِبَاسِهِ، وَخَرَجَ يَدُورُ فِي طُرُقَاتِ مَكَّةَ، وَٱلْتَقَىٰ عَرَضاً بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَٱسْتَغْرَبَ مِنْهُ ٱلرَّسُولُ ٱلْحَالَةَ ٱلَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهُ: مَالَكَ يا زُبَيْرُ؟.

أَجَابَ ٱلزُّبَيْرُ: مَعْذِرَةً يا رَسُولَ ٱللهِ، فَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرٌ ـ أَحْمَدُ ٱللهَ عَلَىٰ عَدَمِ صِحَّتِهِ ـ.

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ: وَما هُوَ؟.

قالَ ٱلزُّبَيْرُ: سَمِعْتُ أَنَّ ٱلْفَاجِعَةَ ٱلْكُبْرَىٰ قَدْ حَلَّتْ بِنا، فَإِنَّكَ قَدْ قُتِلْتَ.

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ: وَمَا كُنْتَ فَاعِلاً لَوْ صَحَّ ٱلْخَبَرُ؟.

قالَ ٱلزُّبَيْرُ: سَأَهْوِي بِسَيْفِي عَلَىٰ كُلِّ كَافِرٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ

حَتَّىٰ لا أَدَعَ وَاحِداً مِنْهُمْ، وَلْتَجْرِ طُرُقاتُ مَكَّةَ دَماً. وَلِهٰذا يُقَالُ: إِنَّ سَيْفَ ٱلزُّبَيْر أَوَّلُ سَيْفٍ سُلَّ في سَبِيلِ ٱللهِ. فَدَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لَهُ بِخَيْرٍ.

وَٱسْتَمَرَّتْ حَالُ ٱلزُّبَيْرِ في مَكَّةَ مُصَاحِباً لِرَسُولِ ٱللهِ، وَمُتَرَدِّداً عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَبَقِيَّةِ إِخْوَانِهِ ٱلْمُسْلِمِين، وَمُنَافِحاً عَنْ دَعْوَةِ ٱللهِ وَرَسُولِهَا حَتَّىٰ أَذِنَ لَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ يَثْرِبَ.

الزُّبَيْرُ في يَثْرِب

بَدأَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱلْقَبَائِلِ في ٱلْمَوْسِمِ، يَرْجُو إِسْلامَهَا، وَيَطْلُبُ حِمَايَتَهَا، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُنَفِّرُهَا مِنْهُ، وَتُرَوِّجُ عَنْهُ ٱلشَّائِعَاتِ، وَأَخِيراً ٱلْتَقَىٰ بِجَمَاعَةِ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ سُكَّانِ يَثْرِبَ، فَقَبِلُوا ٱلدَّعْوَةَ، وَبَدأَ الإِسْلامُ يَنْتَشِرُ بَينَ صُفُوفِهِمْ، واشْتَدَّتْ وَطْأَةُ قُرَيْشٍ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَأَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ بِٱلْهِجَرَةِ إِلَىٰ يَثْرِبَ.. فَبَدَأَ الصَّحَابَةُ ٱلْكِرَامُ ـ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ ـ بِٱلْهِجَرَةِ إِلَىٰ يَثْرِبَ وَمِنْهُمُ ٱلزُّبَيْرُ. وَنَزَلَ هُوَ وَٱبْنُ خَالَتِهِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ عَلَىٰ مُنْذِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ بِٱلْعُصْبَةِ. وَأُذِنَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ، وَٱنْتَقَلَ إِلَىٰ يَثْرِبَ ٱلَّتِي غَدَتْ تُعْرَفُ بِٱسْمِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ، وَآخَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ في ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ بَيْنَ المسلمين، ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ، وَقَالَ: تَآخَوْا في ٱللهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ، وَكَانَ فِيمَا آخَىٰ بَيْنَ ٱلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

وهَاجَرتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ زَوْجُ ٱلزُّبَيْرِ وَهِيَ

حَامِلٌ، فَوَضَعَتْ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنَهَا عَبْدَ ٱللهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِلْمُسْلِمِينَ.

يَوْمُ بَدْرٍ: بَدَأَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يُجَهِّزُ ٱلسَّرَايَا لِيُؤَمِّنَ ٱلْوَضْعَ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ، وَلِيَضْغَطَ عَلَى قُرَيْشٍ لِتَعْتَرِفَ بِٱلْمُسْلِمِينَ، وَذٰلِكَ بِٱعْتِرَاضِ قَوَافِلِهَا ٱلَّتِي تَمُرُّ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ ذَاهِبَةً وَآيِبَةً إِلَىٰ ٱلشَّامِ، كَتَهْدِيدٍ ٱقْتِصَادِيٍّ، وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ تَهَيَّأَ ٱلْجَوُّ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ آخَىٰ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ، وَوَادَعَ يَهُودَ. وَفِي إِحْدَىٰ هٰذِهِ ٱلْمَرَّاتِ ٱسْتَنْجَدَتْ قَافِلَةُ قُرَيْشٍ بِأَهْلِ مَكَّةَ، فَأَسْرَعُوا لِنَجْدَةِ عِيرِهِمْ، فَنَجَتِ ٱلْقَافِلَةُ بِتَغْيِيرِ دَرْبِهَا، وَلٰكِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ ٱلْتَقَوْا بِٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا لا لِلْقِتَالِ؛ وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ ٱللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً، وَبَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ وَسَعْدَ ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ مَاءِ بَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ ٱلْخَبَرَ لَهُ، فَأَصَابُوا رَاوِيَةَ[1] قُرَيْشٍ، فَأَتَوْا بِهِمْ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَٱسْتَجْوَبَهُمْ، وَٱسْتَطَاعَ أَنْ يَحْصَلَ مِنْهُمْ عَلَىٰ مَعْلُومَاتٍ يُرِيدُهَا. وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ ٱلْكُبْرَىٰ، وَٱلْتَقَىٰ فِيهَا ٱلْمُهَاجِرُونَ وَبِجَانِبِهِمُ ٱلأَنْصَارُ مَعَ أَهَالِي ٱلْمُهَاجِرِينَ فِي

---

(١) الرواية: الإبل التي يستقى عليها الماء، وكان فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد.

مَكَّةَ ٱلَّذينَ لا يَزَالُونَ عَلَىٰ شِرْكِهِمْ، وَحَرَصَ كُلٌّ مِنَ ٱلأَهْلِ وَذَوِيهِمْ عَلَىٰ أَنْ يُبَرْهِنُوا عَلَىٰ أَلاَّ لِقاءَ إِلاَّ مَعَ ٱلْعَقِيدَةِ. وَقَدْ بَدَأَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ بِٱلْمُبَارَزَةِ كَعَادَتِهِمْ في ٱلْقِتَال.. وَتَقَدَّمَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَٱبْنُهُ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فَنَزَلَ لَهُمْ فِتْيَةٌ مِنَ ٱلأَنْصَارِ، قَالَ عُتْبَةُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: فِتْيَةٌ مِنَ ٱلأَنْصَارِ.

قَالَ عُتْبَةُ: لا حَاجَةَ لَنَا بِكُمْ.. يا مُحَمَّدُ! أَخْرِجْ لَنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا.

وَهُنَا نُلاَحِظُ أَنَّ أَهْلَ ٱلشِّرْكِ قَدْ دَاسُوا رَوَابِطَ ٱلدَّمِ وَكُلَّ صِلاَتِ ٱلْقُرْبَىٰ، وَوَضَعُوا رَابِطَةَ ٱلْعَقِيدَةِ فَوْقَ كُلِّ رِبَاطٍ.

وَطَلَبَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنْ أَقْرِبَائِهِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أَنْ يَخْرُجُوا فَقَالَ: تَقَدَّمْ يا عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَارِثِ، ٱخْرُجْ يا حَمْزَةُ، ٱخْرُجْ يا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَخَرَجُوا..

وَبَدَأَتِ ٱلْمُبَارَزَةُ، وَنَصَرَ ٱللهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ أَعْدائِهِمْ، فَقَتَلَ ٱلْحَمْزَةُ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَقَتَلَ عَلِيٌّ ٱلْوَلِيدَ، وَتَبَادَلَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ ٱلضَّرَبَاتِ، وَحَمَلَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَىٰ عُتْبَةَ، فَقَتَلاَهُ، وَنُقِلَ عُبَيْدَةُ إِلَىٰ صُفُوفِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَفَاضَتْ رُوحُهُ إِلَىٰ بَارِئِهَا في ٱلصَّفْرَاءِ، أَثْنَاءَ عَوْدَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَدْرٍ، وَقَدْ وَضَعَ

رَسُولُ ٱللهِ ﷺ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ.. وَقالَ عُبَيْدَةُ وَرُوحُهُ تَفِيضُ: يا رَسُولَ ٱللهِ عَسَىٰ أَنْ تَكُونَ قَدْ رأَيْتَ مِنَّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ.

وَبَعْدَ ٱلْمُبارَزَةِ هَجَمَ كُلُّ فَرِيقٍ عَلَىٰ الآخَرِ، وَٱحْتَدَمَ ٱلْقِتَالُ، وَٱشْتَدَّ ٱلْمَوْقِفُ، وَٱلْتَفَتَ كُلُّ رَجُلٍ يُفَتِّشُ عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ لِيَجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِهِ، وَلِيُؤَكِّدَ لِلْمَلأ أَنَّ رَابِطَةَ ٱلْقُرْبَىٰ حَيْثُ وَضَعَهَا ٱلإِسْلاَمُ تَحْتَ ٱلأَقْدَامِ، وَلاَ مَجَالَ لَهَا أَمَامَ آصِرَةِ ٱلْعَقِيدَةِ. فَقَتَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَباهُ، وَنَازَلَ أَبُو بَكْرٍ ٱبْنَهُ عَبْدَ ٱلرَّحْمٰنِ يُرِيدُ مَصْرَعَهُ.. إِلاَّ أَنَّ ٱبْنَهُ قَدْ تَغَيَّبَ عَنْهُ، وَكَانَ يَوْمَذاكَ مَعَ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَقَتَلَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ خَالَهُ ٱلْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ ٱلْمَخْزُومِيِّ. وَٱلْتَقَىٰ ٱلزُّبَيْرُ بِعَمِّهِ نَوْفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ فَأَطَاحَ بِرَأْسِهِ مُسْتَهِيناً بِقُرْباهُ، وَطَالِباً ثَوَابَ ٱللهِ بِقَتْلِهِ.

وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ يَوْمَذاكَ مِنْ أَبْطَالِ ٱلْمَعْرَكَةِ ٱلْمَعْرُوفِينَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ يَوْمَذاكَ سِوَىٰ فَرَسَيْنِ إِحْدَاهُمَا لِلزُّبَيْرِ، وَتُسَمَّىٰ يَعْسُوبَ، وَٱلأُخْرَىٰ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو، وَقَدْ لَفَّ ٱلزُّبَيْرُ رَأْسَهُ بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ تُمَيِّزُهُ عَنْ بَقِيَّةِ ٱلصَّحَابَةِ، وَكَانَتْ عَمَائِمُ ٱلْمَلائِكَةِ بِيضاً إِلاَّ عِمَامَةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ فَكَانَتْ

صَفْرَاءَ. وَكَانَ يَنْتَقِلُ مِنْ مَكانٍ إِلَىٰ مَكَانٍ، يُجَنْدِلُ ٱلأَبْطَالَ، وَيَصْرَعُ ٱلْقَادَةَ، فَقَدْ قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ ٱبْنِ أُمَيَّةَ ابْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِقُوَّتِـهِ، مَعْـرُوفٌ بِبُطُـولَتِـهِ، تُقَدِّمُهُ قُرَيْشٌ وَقْتَ ٱلشَّدَائِدِ، وَٱلْتَقَىٰ ٱلـرَّجُلانِ يَـوْمَ بَـدْرٍ، وَكَانَ عُبَيْدَةُ مُدَجَّجاً بِٱلسِّلاحِ، عَلَيْهِ عِدَّةُ أَدْرُعٍ لا تَظْهَرُ مِنْهُ إِلاَّ عَيْنَاهُ، فَطَعَنَهُ ٱلزُّبَيْرُ بِرُمْحِهِ ٱلْقَصِيرِ ٱلَّذِي أَتَىٰ بِهِ مِنَ ٱلْحَبَشَةِ يَوْمَ كَانَ مُهَاجِراً إِلَيْهَا، وَٱلمَعْرُوفُ بِٱلْعَنْزَةِ، طَعَنَهُ فِي عَيْنِهِ طَعْنَةً وَصَلَتْ إِلَىٰ مُؤَخَّرَةِ رَأْسِهِ، فَصَرَخَ عَدُوُّ ٱللهِ، وَوَقَعَ عَلَىٰ ٱلأَرْضِ كَالثَّوْرِ ٱلْمَذْبُوحِ يَدْفَعُ بِرِجْلَيْهِ ٱلتُّرابَ، فَٱنْحَنَىٰ عَلَيْهِ ٱلزُّبَيْرُ، وَقَضَىٰ عَلَيْهِ. وَقَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَيْضاً ٱلسَّائِبَ بْنَ أَبِي السَّائِبِ.

وَٱنْتَهَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ بِنَصْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَصْراً مُبِيناً، وَهَزِيمَةِ قُرَيْشٍ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَعَادَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ يَحْمِلُونَ ٱلْغَنَائِمَ، وَيَسُوقُـونَ أَمَـامَهُـمُ ٱلأَسْـرَىٰ مُصَفَّـدِيـنَ، وَرَجَـعَ ٱلْمُشْرِكُونَ إِلَىٰ مَكَّةَ يَحْمِلُونَ ٱلْخِزْيَ وَٱلْعَارَ، وَقَدْ تَرَكُوا قَادَتَهُمْ صَرْعَىٰ فِي مَيْدَانِ ٱلْمَعْرَكَةِ، وَخَلَّفُوا زُعَمَاءَهُمْ أُسَارَىٰ بِيَدِ ٱلْمُسْلِمِينَ.

يَوْم أُحُدٍ: وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَامُ، وَجَهَّزَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ أَنْفُسَهُمْ

لِلأَخْذِ بِٱلثَّأْرِ، وَٱسْتَعَانُوا عَلَىٰ ذٰلِكَ بِٱلْعِيرِ ٱلَّتِي خَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ لِلِقَائِهَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَسَارُوا نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا أُحُداً، وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ لِلِقَائِهِمْ، وَأَمَّرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلزُّبَيْرَ عَلَىٰ ٱلْخَيْلِ، وَمَعَهُ ٱلْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ عَلَىٰ خَيْلِ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَمَعَهُ عِكْرِمَةُ بِنُ أَبِي جَهْلٍ، فَبَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلزُّبَيْرَ، وَقَالَ: ٱسْتَقْبِلْ خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ، فَكُنْ بِإِزَائِهِ حَتَّىٰ أُوْذِنَكَ، وَأَمَرَ بِخَيْلٍ أُخْرَىٰ، فَكَانُوا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَقَالَ: لاَ تَبْرَحُنَّ حَتَّىٰ أُوْذِنَكُمْ. وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ يَحْمِلُ ٱللاَّتَ وَٱلْعُزَّىٰ، فَأَرْسَلَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ ٱلزُّبَيْرِ أَنْ يَحْمِلَ، فَحَمَلَ عَلَىٰ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ، فَهَزَمَ ٱللهُ خَالِداً وَمَنْ مَعَهُ . ثُمَّ شَدَّ ٱلزُّبَيْرُ وَٱلْمِقْدَادُ عَلَىٰ ٱلْمُشْرِكِينَ فَهَزَمَاهُمْ، وَحَمَلَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَهَزَمُوا أَبَا سُفْيَانَ، وَنَزَلَ رُمَاةُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي وَضَعَهُمْ فِيهِ ٱلرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ جَبَلِ ٱلرُّمَاةِ وَظَنُّوا أَنَّ ٱلأَمْرَ قَدِ ٱنْتَهَىٰ، وَٱنْتَصَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ، فَأَسْرَعَ خَالِدٌ، وَكَانَتْ مَهْزُومَةً خَيْلُهُ، فَٱرْتَقَىٰ ٱلْجَبَلَ، وَقَضَىٰ عَلَىٰ مَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلرُّمَاةِ، وَدَاهَمَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلْخَلْفِ، فَٱنْفَرَطَ عِقْدُهُمْ، وَأَصَابَهُمْ مِنَ ٱلْغَمِّ مَا أَصَابَ، وَثَبَتَتْ عِصَابَةٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ حَوْلَ رَسُولِهِمُ ٱلْكَرِيمِ مِنْهُمُ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً .

وَعَرَضَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ سَيْفاً فِي يَدِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: مَنْ يأْخُذُ هٰذا ٱلسَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ ٱلزُّبَيْرُ وَقَالَ: أَنَا يا رَسُولَ ٱللهِ، فَأَعْرَضَ عَنَهُ، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَأْخُذُ هٰذا ٱلسَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ ٱلزُّبَيْرُ ثانِيَةً وَقَالَ: أَنَا يا رَسُولَ ٱللهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَيْضاً، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَأْخُذُ هٰذا ٱلسَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ، فَقَالَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: حَقُّهُ أَلاَّ تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِماً، وَأَلاَّ تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ، وَأَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي ٱلْعَدُوِّ حَتَّىٰ يَنْحَنِيَ، وَأَعْطَاهُ إِيّاهُ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجُلاً شُجَاعاً يَخْتَالُ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ إِذا كَانَتْ، وَوَجَدَ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً وَقَالَ: أَنا ٱبْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُهُ إِيّاهُ قَبْلَهُ، فَأَعْطَاهُ أَبا دُجَانَةَ وَتَرَكَنِي، وَٱللهِ لأَنْظُرَنَّ ما يَصْنَعُ، فَٱتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْراءَ فَعَصَبَ بِها رَأْسَهُ، فَقَالَتِ ٱلأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ ٱلْمَوْتِ. وَقَدْ أَبْلَىٰ أَبُو دُجَانَةَ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ بَلاَءً لا يَكَادُ يُوصَفُ. وَهٰكَذَا كَانَ ٱلصَّحَابَةُ رِضْوَانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ يَتَنَافَسُونَ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَمُنَازَلَةِ ٱلأَعْدَاءِ ٱبْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ وَأَمَلاً فِي جَنَّتِهِ.

بَعْدَ أُحُدٍ: حَضَرَ ٱلزُّبَيْرُ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ ٱلْمَشَاهِدَ كُلَّهَا

مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ يُعَدُّ فِي كُلِّ قِتَالٍ مِنْ أَبْرَزِ ٱلْمُقَاتِلِينَ وَفِي مُقَدِّمَةِ ٱلأَبْطَالِ. لَقَدْ شَهِدَ ٱلْخَنْدَقَ بِجَانِبِ رَسُولِ ٱللهِ، وَأَبْلَىٰ ٱلْبَلاَءَ ٱلْحَسَنَ. وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ ٱلأَحْـزَابُ عَـنِ ٱلْمَـدِينَـةِ، عَـادَ رَسُـولُ ٱللهِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا فِي ٱلصَّبَاحِ، وَمَا ٱنْتَصَفَ ٱلنَّهَارُ إِلاَّ وَجَاءَ أَمْرُ ٱللهِ بِسَيْرِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَـداً وَاحِـدَةً مَـعَ أَعْـدَاءِ ٱللهِ، وَكَـانُـوا مِـنْ خَلْـفِ جَيْشِ ٱلْمُسْلِمِينَ. فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُ ٱلرَّسُولِ قَائِلاً: مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً، فَلاَ يُصَلِّيَنَ ٱلْعَصْرَ إِلاَّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ.

وَسَارَ رَسُولُ ٱللهِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَٱسْتَعْمَلَ عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَقَدَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ، فَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَعِنْدَمَا تَمَّ ٱلْحِصَارُ نَادَىٰ: عَلِيَّ يا كَتِيبَةَ ٱلإِيمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُما، فَعِنْدَمَا رَأَوْهُما لَمْ يَكُنْ لِيَهُودَ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

وَكَانَ صُلْحُ ٱلْحُدَيْبِيَّةِ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ مَكَّةَ، وَبِهٰذا تَوَقَّفَتِ ٱلْجَبْهَةُ ٱلْجَنُـوبِيَّـةُ، وَٱلْتَفَـتَ رَسُـولُ ٱللهِ ﷺ إِلَـىٰ ٱلْجَبْهَةِ ٱلشِّمَالِيَّةِ حَيْثُ كَـانَ ٱلْيَهُـودُ قَـدْ تَجَمَّعُـوا فِي وَادِي ٱلْقُرَىٰ وَفَدَكَ وَخَيْبَرَ وَغَيْرِهَـا يُحَـرِّضُـونَ عَلَـىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَيَدْعَمُونَ كُلَّ خَصْمٍ لَهُمْ، وَمَا يَتْرُكُونَ فُرْصَةً يَكِيدُونَ فِيها

إلاَّ وَٱسْتَفَادُوا مِنْها . فَسَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ أَكْبَرِ قَاعِدَةٍ لِلْيَهُودِ، وَدفَعَ ٱلرَّايَةَ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَحَاصَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَهُودَ ٱلَّذِينَ خَرَجَ بَعْضُهُمْ لِلْمُبَارَزَةِ وَمِنْهُمْ مَرْحَبٌ ٱلَّذِي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، ثُمَّ خَرَجَ أَخُوهُ ياسِرٌ وَكَانَ أَكْثَرَ يَهُودَ شَجَاعَةً وَخِبْرَةً فِي ٱلْقِتَالِ وَأَقْوَاهُمْ، فَبرزَ لَهُ ٱلزُّبَيْرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَتَلَهُ بِإِذْنِ ٱللهِ.. وَفُتِحَتْ خَيْبَرُ.. وَقُسِمَتْ إِلَىٰ ١٨٠٠ سَهْمٍ بَيْنَ ١٤٠٠ رجلٍ لِكُلِّ رَجُلٍ سَهْمٌ، وَ ٢٠٠ فَارسٍ لِكُلِّ مِنْهُمْ سَهْمَانِ ... وَكَانَ لِكُلِّ سَهْمٍ رَأْسٌ جُمِعَ إِلَيْهِ مِائَةَ رَجُلٍ، وَمِنْ هَؤُلاَءِ ٱلرُّؤُوسِ ٱلزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ أَوَّلَ سَهْمٍ مِنْ خَيْبَرَ هُوَ سَهْمُ ٱلزُّبَيْرِ بْنِ ٱلْعَوَّامِ، وَهُوَ بنطاة وَهُوَ ٱلْخَوْعُ[1] .

وَبَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ قَذَفَ ٱللهُ ٱلرُّعْبَ فِي نُفُوسِ أَهْلِ فَدَكَ، فَصَالَحُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ ٱلنِّصْفِ، وَكَانَ ٱلسَّهْمُ مِنْهَا خَالِصاً لِرَسُولِ ٱللهِ. ثُمَّ قَاتَلَ ٱلرُّومَ فِي مُؤْتَةَ مِنْ أَعْمَالِ ٱلأُرْدُنِّ، وَبِهٰذَا تَوَقَّفَ خَطَرُ ٱلْجَبْهَةِ ٱلشِّمَالِيَّةِ.

لَمْ تَلْبَثْ قُرَيْشٌ أَنْ نَقَضَتْ عَهْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَسَاعَدَتْ بَنِي بَكْرٍ حَلِيفَتَهَا عَلَىٰ خُزَاعَةَ حَلِيفَةِ رَسُولِ ٱللهِ،

---

(١) بفتح الخاء، وهو موضع قريب من خيبر .

فَكَانَ لاَ بُدَّ مِنْ فَتْحِ ٱلْجَبْهَةِ ٱلْجَنُوبِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَأْدِيبِ قُرَيْشٍ وَدُخُولِ مَكَّةَ. وَلٰكِنَّ رَسُولَ ٱللهِ لَمْ يُحَدِّثِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَنْ جِهَتِهِ ٱلَّتِي يُرِيدُهَا، وَلٰكِنْ طَلَبَ مِنْهُمُ ٱلاَسْتِعْدَادَ، فَلَمَّا أَجْمَعَ ٱلْمَسِيرَ لَحَظَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّ ٱلْجِهَةَ هِيَ مَكَّةُ، فَكَتَبَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِذٰلِكَ؛ لِيَكُونَ لَهُ عِنْدَهُمْ يَدٌ بَيْضَاءُ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ ٱمْرَأَةٍ جَعَلَ لَهَا أَجْراً مُعَيَّناً، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، وَلَفَّتْ عَلَيْهِ ضَفَائِرَهَا، وَسَارَعَتْ إِلَىٰ مَكَّةَ. وَأَتَىٰ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ٱلْخَبَرُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا تَمَّ، فَبَعَثَ ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلعَوَّامِ فِي أَثَرِ ٱلْمَرْأَةِ، فَأَدْرَكَاهَا فَأَخَذَا مِنْهَا ٱلْكِتَابَ بَعْدَ تَهْدِيدِهَا عِنْدَمَا أَنْكَرَتْ، وَأَصَرَّتْ.

سَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلَمَّا نَزَلَ قَرِيباً مِنْهَا، قَسَمَ جَيْشَهُ، فَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَلَىٰ ٱلْمَيْسَرَةِ، وَأَمَرَهُ ٱلرَّسُولُ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ كُدَىً (أَسْفَلِ مَكَّةَ). وَجَاءَ نَصْرُ ٱللهِ، وَفُتِحَتْ مَكَّةُ، وَأَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ، وَدَخَلَ ٱلنَّاسُ فِي دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجاً.

وَسَمِعَتْ هَوَازِنُ بِدُخُولِ ٱلْمُسْلِمِينَ مَكَّةَ فَٱجْتَمَعَتْ لَهُمْ، وَٱنْضَمَّ إِلَيْهَا عَدَدٌ مِنَ ٱلْقَبَائِلِ ٱلأُخْرَىٰ وَثَقِيفُ كُلُّهَا، فَخَرَجَ

إِلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ سَارَ بِهِمْ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ ٱلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ فِي حُنَيْنٍ، وَأُعْجِبَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِكَثْرَتِهِمْ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكَمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَذٰلِكَ جَزَاءُ ٱلْكَافِرِينَ». وَٱنْتَصَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِإِذْنِ ٱللهِ، وَوَقَفَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي ٱلثَّنِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَٱعْتَرَضَهُمُ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَصَمَدَ لَهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ يُطَاعِنُهُمْ حَتَّىٰ أَزَاحَهُمْ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ.

أَسْلَمَتْ ثَقِيفُ، وَرَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَأَدَّىٰ ٱلْعُمْرَةَ مِنَ ٱلْجِعِرَّانَةِ، وَمِنْ مَكَةَ ٱنْصَرَفَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، فَلَبِثَ فِيهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ أَمَرَ ٱلنَّاسَ بِٱلاَسْتِعْدَادِ لِغَزْوِ ٱلرُّومِ؛ إِذِ ٱطْمَأَنَّ أَنَّ جَبْهَةَ ٱلْجَنُوبِ قَدِ ٱنْتَهَتْ، وَأَنَّ ٱلْعَرَبَ سَتَدِينُ لَهُ بَعْدَ أَنْ خَضَعَتْ قُرَيْشٌ، وَيَجِبُ نَقْلُ ٱلْعَمَلِيَّاتِ كُلِّهَا إِلَىٰ ٱلشِّمَالِ، فَأَمَرَ ٱلنَّاسَ بِٱلاَسْتِعْدَادِ لِغَزْوِ ٱلرُّومِ، وَكَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، وَحَجَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ حَجَّةَ ٱلْوَدَاعِ، وَتَمَّتْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَىٰ

خَلْقِهِ، وَٱكْتَمَلَ ٱلدِّينُ، وَٱنْتَقَلَ رَسُولُ ٱللهِ إِلَىٰ ٱلدَّارِ ٱلآخِرَةِ، وَٱنْقَطَعَ وَحْيُ ٱلسَّمَاءِ.

ٱلزُّبَيْرُ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ: بَايَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ خَلِيفَةً لِرَسُولِ ٱللهِ، لَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ ذٰلِكَ، إِلاَّ مَا كَانَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلأَوَّلِ حَيْثُ شُغِلَ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يُخَبَّرْ آخَرُونَ. وَقَدْ كَانَ ٱلزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا ـ فِي بَيْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَيْثُ شُغِلَ بِتَمْرِيضِ زَوْجِهِ فاطِمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا، وَمِنْ هذا ٱلتَّأْخِيرِ ٱلْيَوْمِيِّ حِيكَتْ رِوَايَاتٌ لا صِحَّةَ لَهَا عَنْ تَأْخِيرِ هٰؤُلاَءِ ٱلصَّحَابَةِ... إِذْ أَسْرَعَ هٰؤُلاَءِ فَبَايَعُوا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي، وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ وَمَنْزِلَتَهُ وَبِخَاصَّةٍ ٱلزُّبَيْرَ ٱلَّذِي هُوَ خَتَنُهُ وَأَدْرَىٰ ٱلنَّاسِ بِهِ، صَاهَرَهُ لِفَضْلِهِ، وَنَاسَبَهُ لإِيمَانِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَصَادَقَهُ لِصُحْبَتِهِ، أَوَ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ!

ٱرْتَدَّتِ ٱلْعَرَبُ، وَأَمْضَىٰ أَبُو بَكْرٍ بَعْثَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَطَمِعَتِ ٱلْقَبَائِلُ فِي ٱلْمَدِينَةِ، فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ أَنْقَابِ ٱلْمَدِينَةِ عَلِيَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ وَٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ ٱللهِ وَعَبْدَ ٱللهِ بْنَ مَسْعُودٍ. وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ وَبَقِيَّةُ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ مِنْ هَيْئَةِ ٱلشُّورَىٰ لأَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ ٱلَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ

بغَزْوِ ٱلشَّامِ ، وَسَارَ في عِدَادِ ٱلْمُجَاهِدِينَ جُنْدِيّاً كَسَائِرِ ٱلْجُنُودِ، لاَ يَبْغِي شُهْرَةً، وَلاَ يُرِيدُ ظُهُوراً ، وَهُوَ ٱلْبَطَلُ ٱلْهُمَامُ، وَأَحَدُ سُيُوفِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْيَرْمُوكِ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ في سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ أَلفاً وبَيْنَ ٱلرُّومِ وَهُمْ في ثَلاثِمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزيدُونَ، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ عَلَىٰ رَأْسِ كَرْدُوسٍ في جَيْشِ يَزِيدَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَلَىٰ مَيْسَرَةِ قُوَّاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلأَبْطَالِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالُوا: أَلاَ تَحْمِلُ فَنَحْمِلَ مَعَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لاَ تَثْبُتُونَ، فَقَالُوا: بَلَىٰ! فَحَمَلَ وَحَمَلُوا، فَلَمَّا وَاجَهُوا صُفُوفَ ٱلرُّومِ أَحْجَمُوا، وَأَقْدَمَ، فاخْتَرَقَ صُفُوفَ ٱلرُّومِ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلآخَرِ، وَعَادَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ. ثُمَّ جَاؤُوا إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ في ٱلأُولىٰ وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ جُرْحَيْنِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

ٱلزُّبَيْرُ في خِلاَفَةِ عُمَرَ: عَادَ ٱلزُّبَيْرُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ بِرَأْيِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱلَّذِي كَانَ يَرْغَبُ أَنْ يَكُونَ ٱلصَّحَابَةُ بِجَانِبِهِ يُشِيرُونَ عَلَيْهِ، وَقَدْ كَفَاهُمْ مِنَ ٱلْجِهَادِ مَا غَزَوْا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلصُّحْبَةِ.

وَٱسْتَمَرَّ ٱلْجِهَادُ عَلَىٰ ٱلْجَبْهَتَيْنِ ٱلرُّومِيَّةِ وَٱلْفَارِسِيَّةِ، وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي ٱلْعِرَاقِ قَدْ قَلَّ عَدَدُهُمْ بَعْدَ ذَهَابِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ إِلَىٰ ٱلشَّامِ دَعْماً لِلْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ. فَجَرَتْ مَعْرَكَةُ ٱلْجِسْرِ فَٱسْتَشْهَدَ أَبُو عُبَيْدٍ ٱلثَّقَفِيُّ، فَأَرَادَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ إِلَىٰ ٱلْعِرَاقِ، فَٱسْتَخْلَفَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ مُقَدِّمَةِ ٱلْجَيْشِ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ ٱللهِ وَعَلَىٰ ٱلْمُجَنِّبَتَيْنِ ٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ وَعَبْدَ ٱلرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ.. إِلاَّ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلرَّأْيِ وَهُمْ هٰؤُلاَءِ قَدْ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِٱلْعُدُولِ عَنْ رَأْيِهِ فَفَعَلَ، وَأَرْسَلَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ عَلَىٰ رَأْسِ نَجْدَةِ ٱلْعِرَاقِ.

وَحَاصَرَ ٱلرُّومُ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ فِي حِمْصَ، فَطَلَبَ مِنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ٱلنَّجْدَةَ، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْ يَمُدَّ أَبَا عُبَيْدَةَ، وَسَارَ عُمَرُ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ ٱلْجَابِيَةِ بِحَوْرَانَ، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ بْنُ ٱلْعَوَّامِ مَعَهُ، وَهُنَاكَ بَلَغَهُ ٱنْتِصَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ عَلَىٰ ٱلرُّومِ وَرَدُّ كَيْدِهِمْ.

وَعَادَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَٱسْتَكْمَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ فَتْحَ بِلاَدِ ٱلشَّامِ، فَبَعَثَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مِصْرَ عَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ يُرِيدُ ٱلْجِهَادَ وَٱلسَّيْرَ نَحْوَ

أَنْطَاكِيَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يا أَبا عَبْدِ ٱللهِ هَلْ لَكَ في وِلاَيَةِ مِصْرَ؟ فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لِـي فِيهـا، وَلٰكِـنْ أَخْـرُجُ مُجَـاهِـداً وَلِلْمُسْلِمِينَ مُعَاوِناً، فَإِنْ وَجَدْتُ عَمْراً قَدْ فَتَحَهَا لَمْ أَعْرِضْ لِعَمَلِهِ، وَقَصَدْتُ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلسَّوَاحِلِ، فَرَابَطْتُ بِهِ، وَإِنْ وَجَدْتُهُ في جِهَادٍ كُنْتُ مَعَهُ، فَسَارَ عَلَىٰ ذٰلِكَ، فَوَجَدَ عَمْراً مُحَاصِراً لِبَعْضِ حُصُونِهَا، وَقَدْ أَبْطَأَ ٱلْفَتْحُ، فَقَالَ: إِنِّي أَهَبُ نَفْسِي لِلَّهِ، أَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ ٱللهُ بِذٰلِكَ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱرْتَقَىٰ ٱلزُّبَيْرُ سُورَ ٱلْبَلَدِ، وَدَخَلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً، فَلَمَّا أَحَسُّوا خَرَجُوا إِلَىٰ عَمْرٍو مِنَ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ عَمْرٌو، فَأَمْضَوا ٱلصُّلْحَ، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ وَٱبْنَاهُ عَبْدُ ٱللهِ وَمُحَمَّدٌ شُهُوداً عَلَىٰ ذٰلِكَ.

عَادَ ٱلزُّبَيْرُ بَعْدَ ٱلْفَتْحِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ حَيْثُ حَبَسَ عُمَرُ كِبَارَ ٱلصَّحَابَةِ فِيهَا، لِيَكُونُوا مُسْتَشَارِينَ لَـهُ. وَمَـرَّتِ ٱلسَّنَـوَاتُ، وَطُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَٱخْتَارَ سِتَّةً مِنْ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ لِيَكُونَ ٱلأَمْرُ لَهُمْ، وَلِيَكُونَ ٱلْخَلِيفَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَهُمْ مِمَّنْ بَقِيَ مِنَ ٱلَّذِينَ مَاتَ عَنْهُمْ رَسُولُ ٱللهِ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ وَمِنْهُمُ ٱلزُّبَيْرُ. وَلٰكِنَّ ٱلزُّبَيْرَ لَمْ يَرْغَبْ في ٱلأَمْرِ، فَأَعْطَىٰ نَصِيبَهُ لِغَيْرِهِ.

الزُّبَيْرُ أيامَ عُثْمانَ

بَايَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بَعْدَ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّاب، وَكَانَ ٱلزُّبَيْرُ نَاصِحاً وَمُشِيراً كَمَا كَانَ في عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَسَارَتِ ٱلْفُتُوحَاتُ في كُلِّ جِهَةٍ، وَجَاءَتِ ٱلْغَنَائِمُ وَٱلأَمْوَالُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَوَزَّعَهَا عَلَيْهِمُ ٱلْخَلِيفَةُ بِكُلِّ سَخَاءٍ عَلَىٰ عَادَتِهِ بَلْ إِنْ لَمْ تَكْفِ كَانَ يُوَزِّعُ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ مالِهِ ٱلْخَاصِّ. فَعَاشَ ٱلنَّاسُ في رَخَاءٍ وَبُحْبُوحَةٍ، وَٱنْصَرَفَ بَعْضُ ٱلصَّحَابَةِ إِلَىٰ ٱلأَمْصَارِ، وَزَاوَلُوا ٱلأَعْمَالَ فَأَثْرَوْا، وَتَعَلَّقَ بِبَعْضِهِمْ سُكَّانُ تِلْكَ ٱلأَقَالِيمِ، وَرَأَوْا فِيهِمْ ٱلْقُدْوَةَ ٱلْحَسَنَةَ.

وَيَكْثُرُ ٱلْحَدِيثُ عِنْدَ ٱلرَّخَاءِ، وَيَظْهَرُ ٱلشَّرُّ مِنْ أَهْلِهِ، فَظَهَرَتْ فِتْنَةٌ أَضْرَمَهَا يَهُودِيٌّ مِنَ ٱلْيَمَنِ أَظْهَرَ ٱلإِسْلاَمَ، وَتَنَقَّلَ في ٱلأَمْصَارِ، يُؤَلِّبُ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ ٱلْخَلِيفَةِ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِأُمُورٍ ٱسْتُجِدَّتْ في عَهْدِ عُثْمَانَ، فَزَادَ ٱلْحَدِيثُ، وَوَصَلَ إِلَىٰ ٱلْخَلِيفَةِ، فَلاَكَتْهُ أَلْسِنَةُ أَهْلِ ٱلشَّرِّ، ثُمَّ سَارُوا مِنْ مِصْرَ وَٱلْبَصْرَةِ وَٱلْكُوفَةِ نَحْوَ ٱلْمَدِينَةِ يُرِيدُونَ تَأْلِيبَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ

خَلِيفَتِهِمْ وَٱلخَلِيفَةُ ٱلْمَظْلُومُ يَنْظُرُ إِلَيْهِـمْ كَـأَبْنَـاءَ لَـهُ، يَسْتَمِـعُ إِلَيْهِمْ، وَيُنَاقِشُهُمْ مِمَّا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ، فَقَرَّرُوا ٱلْغَدْرَ بِهِ.

وَأَنْجَدَ ٱلصَّحَابَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَأَرْسَلُوا أَبْنَاءَهُمْ إِلَيْهِ يَدْفَعُونَ عَنْهُ، وَكَانَ فِي مُقَدِّمَتِهِمُ ٱبْنُ ٱلزُّبَيْرِ عَبْدُ ٱللهِ، وَوَقَعَ قَدَرُ ٱللهِ، وَقُتِلَ خَلِيفَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ.

الزُّبَيْرُ أيَام عَليّ

لَمَّا قُتِلَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ جَاءَ أَصْحَابُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَقَالُوا: إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ قَدْ قُتِلَ، وَلاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ، وَلاَ نَجِدُ ٱلْيَوْمَ أَحَداً أَحَقَّ بِهٰذا ٱلأَمْرِ مِنْكَ، وَلاَ أَقْدَمَ سَابِقَةً، وَلاَ أَقْرَبَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ: لاَ تَفْعَلُوا، فَإِنِّي أَنْ أَكُونَ وَزِيراً خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيراً، فَقَالُوا: لاَ، وَٱللهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّىٰ نُبَايِعَكَ، فَتَرَدَّدَ ثُمَّ وَجَدَ أَنَّهُ لاَ مَحَالَةَ مِنَ ٱلْمُوَافَقَةِ، فَوَاعَدَهُمُ ٱلْمَسْجِدَ، فَلَمَّا دَخَلَهُ دَخَلَ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلأَنْصَارُ، فَبَايَعُوهُ وَمِنْهُمْ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ، ثُمَّ بَايَعَهُ ٱلنَّاسُ.

لَمْ يَتَمَكَّنْ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَدِينَةِ؛ إِذْ أَنَّ فِيهَا ٱلْغَوْغَاءَ وَأَصْحَابَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلرَّعَاعَ، وَهُمُ ٱلَّذِينَ يَتَصَرَّفُونَ بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلأُمُورِ، فَأَرَادَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ أَنْ يَأْخُذَهُمْ حِينَ يَتَمَكَّنُ مِنْهُمْ، وَيَسْتَتِبَّ ٱلْوَضْعُ، فَيَجْرِيَ عَلَيْهِمُ ٱلْحَقُّ... فَضَاقَ

بَعْضُ ٱلنَّاسِ بِٱلأَمْرِ ذَرْعاً، وَأَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ، إلاَّ أَنَّ عَلِيّاً لَمْ يَكُنْ لِيَسْمَحَ لأَمْثَالِ ٱلزُّبَيْرِ بِٱلْخُرُوجِ لِيَكُونَ بِجَانِبِهِ يَسْتَعِينُ بِهِ وَيَسْتَشِيرُهُ، وَلِذٰلِكَ لَمْ يُوَافِقْ عَلَىٰ تَوْلِيَتِهِ ٱلْكُوفَةَ وَتَوْلِيَةِ طَلْحَةَ ٱلْبَصْرَةَ.

خَرَجَ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ رَغْبَةً فِي ٱلْهُدُوءِ وَٱلاَسْتِقْرَارِ وَبُعْداً عَنْ جَوِّ ٱلْمَدِينَةِ. فَٱسْتَأْذَنَا عَلِيّاً بِٱلْعُمْرَةِ فَأَذِنَ لَهُمَا. وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا ـ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ قَبْلُ إِلَىٰ مَكَّةَ.

كَثُرَ ٱلْقَادِمُونَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَزَادَ ٱلْحَدِيثُ فِي ٱلْفِتْنَةِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ لِيَبْتَعِدَ تَبِعَهُ ٱلأَمْرُ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنَ ٱلْخُرُوجِ مِنْهَا، فَتَوَجَّهَ ٱلزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ نَحْوَ ٱلْبَصْرَةِ وَٱلْكُوفَةِ، لَعَلَّهُمَا أَكْثَرُ هُدُوءاً وَأَبْعَدُ عَنِ الحَدِيْثِ فِي المُشْكِلاَتِ وَخَرَجَ مَعَهُمْ ما يَقْرُبُ مِنْ سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ ثُمَّ تَبِعَهُمْ آخَرُونَ، فَزَادَ ٱلرَّاحِلُونَ عَلَىٰ ٱلثَّلاَثَةِ آلاَفٍ.

أَرَادَ عَلِيٌّ ٱعْتِرَاضَهُمْ وَمَنْعَهُمْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ، وَلٰكِنَّهُمْ فَاتُوهُ، وَوَصَلُوا ٱلْبَصْرَةَ، فَٱخْتَلَفَ أَهْلُهَا بَيْنَ مُنْتَقِدٍ لَهُمْ، وَرَاغِبٍ فِي بَقَائِهِمْ لِفَضْلِهِمْ وَصُحْبَتِهِمْ، وَمُطَالِبٍ بِدَمِ عُثْمَانَ،

وَتَضَارَبَتِ ٱلآرَاءُ بَعْدَ أَنِ ٱخْتَلَفَتِ ٱلرِّوَايَاتُ، وَٱخْتَلَطَ ٱلْوُضُوحُ، وَتَقَاتَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ.

وَجَاءَ إِلَىٰ عَلِيٍّ أَهْلُ ٱلْكُوفَةِ بِذِي قَارٍ، فَأَرْسَلَ ٱلْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو ٱلتَّمِيمِيَّ إِلَىٰ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرِ، وَبَدَا ٱلصُّلْحُ وَشِيكاً، فَٱلصَّحَابَةُ لا يُرِيدُونَ فُرْقَةً وَلاَ يَبْغُونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يُطَبِّقُونَ فِيهَا حُكْمَ ٱللهِ. وَسَارَ عَلِيٌّ إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ، وَهُنَاكَ أَصْحَابُ طَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ يُعَكِّرُ صَفْوَ ٱلأُخُوَّةِ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ حَتَّىٰ أَثَارَ ٱلسُّفَهَاءُ وَٱلْعَبِيدُ ٱلْقِتَالَ بَيْنَهُمْ فَٱمْتَدَّتْ نَارُهُ.. وَبِخَاصَّةٍ أَنَّ قَتَلَةَ عُثْمَانَ قَدْ عَرَفُوا أَنَّ ٱلاتِّفَاقَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ، فَٱلْجَمِيعُ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَقَدْ أَثَارَ ٱلْفَوْضَىٰ بَيْنَ ٱلنَّاسِ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سَبَأٍ ٱلْيَهُودِيُّ... فَوَقَعَتِ ٱلْحَرْبُ.. وَٱنْتَصَرَ أَصْحَابُ عَلِيٍّ، وَقُتِلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ، وَعُقِرَ ٱلْجَمَلُ ٱلَّذِي تَرْكَبُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا.. فَأَمَّا ٱلزُّبَيْرُ فَقَدْ مَضَىٰ وَسَلَكَ وَادِيَ ٱلسِّبَاعِ. وَكَانَ عَلِيٌّ قَدِ ٱلْتَقَىٰ بِطَلْحَةَ وَٱلزُّبَيْرِ قُبَيْلَ ٱلْمَعْرَكَةِ، وَدَنَا مِنْهُمَا حَتَّىٰ ٱخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَوَابِّهِمْ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْدَدْتُمَا سِلاَحاً وَخَيْلاً وَرِجَالاً، وَإِنْ كُنْتُمَا أَعْدَدْتُمَا عِنْدَ ٱللهِ عُذْراً فَٱتَّقِيَا ٱللهَ سُبْحَانَهُ، وَلاَ تَكُونَا كَٱلَّتِي

نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً. أَلَمْ أَكُنْ أَخَاكُمَا في دِينِكُمَا، تُحَرِّمَانِ دَمِي وَأُحَرِّمُ دِمَاءَكُمَا! فَهَلْ مِنْ حَدَثٍ أَحَلَّ لَكُمَا دَمِي؟ قَالَ طَلْحَةُ: أَلَّبْتَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، قَالَ عَلِيٌّ: «يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ»[1]، يا طَلْحَةُ، تُطَالِبُ بِدَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ! فَلَعَنَ ٱللهُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ. يا زُبَيْرُ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ في بَنِي غَنْمٍ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَضَحِكَ وَضَحِكْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتَ: لا يَدَعُ ٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ زَهْوَهُ، فَقَالَ لَكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: «صَهْ، إِنَّهُ لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ، وَلَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»؟ فَقَالَ: ٱللّٰهُمَّ نَعَمْ، وَلَوْ ذَكَرْتُ ما سِرْتُ مَسِيرِي هٰذَا، وَٱللهِ لا أُقَاتِلُكَ أَبداً.

فَٱنْصَرَفَ عَلِيٌّ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا ٱلزُّبَيْرُ فَقَدْ أَعْطَىٰ ٱللهَ عَهْداً أَلاَّ يُقَاتِلَكُمْ، وَرَجَعَ ٱلزُّبَيْرُ إِلَىٰ عَائِشَةَ فَقَالَ لَهَا: مَا كُنْتُ في مَوْطِنٍ مُنْذُ عَقَلْتُ إِلاَّ وَأَنا أَعْرِفُ فِيهِ أَمْرِي غَيْرَ مَوْطِنِي هٰذَا، قَالَتْ: فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أَدَعَهُمْ وَأَذْهَبَ، فَقَالَ لَهُ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱللهِ: جَمَعْتَ بَيْنَ هٰذَيْنِ ٱلْغَارَيْنِ، حَتَّىٰ إِذَا حَدَّدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَرَدْتَ أَنْ تَتْرُكَهُمْ

---

(١) النور: ٢٥.

وَتَذْهَبَ! أَحْسَسْتَ رَايَاتِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَلِمْتَ أَنَّهَا تَحْمِلُهَا فِتْيَةٌ أَنْجَادٌ، قَالَ: إِنِّي حَلَفْتُ أَلاَّ أُقَاتِلَهُ، وَأَحْفَظَهُ مَا قَالَ لَهُ، فَقَالَ: كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكِ وَقَاتِلْهُ، فَدَعَا بِغُلامٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولُ، فَأَعْتَقَهُ، وَقَاتَلَ، فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ مِنَ ٱلْقِتَالِ وَمَرَّ بِوَادِي ٱلسِّبَاعِ تَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ جُرْمُوزٍ، فَلَمَّا لَحِقَهُ نَظَرَ إِلَيْهِ ٱلزُّبَيْرُ ـ وَكَانَ شَدِيدَ ٱلْغَضَبِ ـ قَالَ: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَقَالَ غُلاَمٌ لِلزُّبَيْرِ يُدْعَىٰ عَطِيَّةَ كَانَ مَعَهُ: إِنَهُ مُعِدٌّ، قَالَ: ما يَهُولُكُ مِنْ رَجُلٍ! وَحَضَرَتِ ٱلصَّلاَةُ، فَقَالَ ٱبْنُ جُرْمُوزٍ: ٱلصَّلاَةَ، فَقَالَ ٱلزُّبَيْرُ: ٱلصَّلاَةَ، فَنَزَلاَ، وَٱسْتَدْبَرَهُ ٱبْنُ جُرْمُوزٍ فَطَعَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ فِي جُرُبَّانِ دِرْعِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ فَرَسَهُ وَخَاتَمَهُ وَسِلاَحَهُ، وَخَلَّىٰ عَنِ ٱلْغُلاَمِ، فَدَفَنَهُ بِوادِي ٱلسِّبَاعِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ ٱلنَّاسِ بِٱلْخَبَرِ.

وَجَاءَ ٱبْنُ جُرْمُوزٍ إِلَىٰ سَيِّدِنا عَلِيٍّ بِٱلْخَبَرِ وَبِسَيْفِ ٱلزُّبَيْرِ... فَٱسْتَأْذَنَ فَقَالَ عَلِيٌّ: لا تَأْذَنُوا لَهُ وَبَشِّرُوهُ بِٱلنَّارِ فَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَشِّروا قَاتِلَ ٱبْنِ صَفِيَّةَ بِٱلنَّارِ». وَدَعا بِٱلسَّيْفِ ٱلَّذِي حَمَلَهُ إِلَيْهِ ٱبْنُ جُرْمُوزٍ، فَقَالَ: «سَيْفٌ طَالَمَا جَلَّىٰ ٱلْكُرَبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ»، وَبَعَثَ بِذٰلِكَ إِلَىٰ عَائِشَةَ.

هٰكَذا كَانَتْ نِهايَةُ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ ، فَقَدْ تُوُفِّيَ وَهُوَ فِي ٱلرَّابِعَةِ وَٱلسِّتِّينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَقُتِلَ مَظْلُوماً، وَكَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْمُبَشَّرِينَ بِٱلْجَنَّةِ، وَمِمَّنْ حَمَلُوا عِبْئاً كَبِيراً فِي ٱلدَّعْوَةِ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَقُولُ: « ٱلزُّبَيْرُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ ٱلدِّينِ » وَيَقُولُ عَنْهُ أَيْضاً « ٱلزُّبَيْرُ عَمُودٌ مِنْ عَمَدِ ٱلإِسْلاَمِ » وَذٰلِكَ لِمَا أَبْلاَهُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، فَقَدْ أَرَادَ ٱلزُّبَيْرُ مَرَّةً أَنْ يَغْتَسِلَ، وَكَانَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: ٱسْتُرْنِي حَتَّىٰ أَغْتَسِلَ، فَسَتَرَهُ صَاحِبُهُ، وَلٰكِنْ حَانَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ، فَرَأَىٰ جَسَدَ ٱلزُّبَيْرِ مُجَدَّعاً بِٱلسُّيُوفِ، وَفِيهِ أَمْثَالُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلطَّعْنِ ، فَتَعَجَّبَ ٱلرَّجُلُ، وَعِنْدَمَا ٱنْتَهَىٰ ٱلزُّبَيْرُ مِنْ غُسْلِهِ، سَأَلَهُ صَاحِبُهُ قَائِلاً: لَقَدْ رَأَيْتُ فِي جَسَدِكَ مَا رَأَيْتُ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ. فَقَالَ ٱلزُّبَيْرُ: أَمَا وَٱللهِ مَا فِيهَا مِنْ جِرَاحَةٍ إِلاَّ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ.

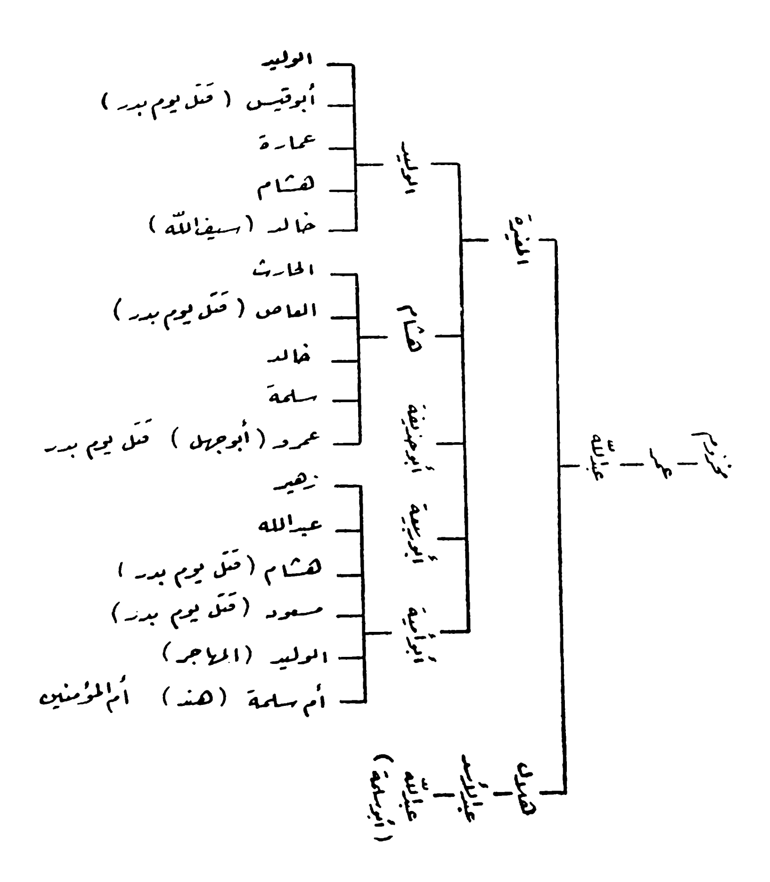
بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٥ -

ابنُ عمَّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

زهير بن أبي أميّة

رضي الله عنه



مخزوم
عمر
عبدالله
المغيرة
هلال
عبدالأسد
عبدالله (أبو سلمة)
الوليد
هشام
أبو حذيفة
أبو ربيعة
أبو أمية
الوليد
أبو قيس (قتل يوم بدر)
عمارة
هشام
خالد (سيف الله)
الحارث
العاص (قتل يوم بدر)
خالد
سلمة
عمرو (أبو جهل) قتل يوم بدر
زهير
عبدالله
هشام (قتل يوم بدر)
مسعود (قتل يوم بدر)
الوليد (المهاجر)
أم سلمة (هند) أم المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَٱلْصَّلاَةُ عَلَىٰ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّين وَبَعْدُ: تُعَدُّ بَنُو مَخْزُومٍ أَشْهَرَ بُطُون قُرَيْشٍ ٱلاثْنَيْ عَشَرَ بَعْدَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْمَخْزُومِيُّ أَجَلَّ رَجُلٍ فِيهَا، وَلَهُ عَدَدٌ مِنَ ٱلأَوْلاَدِ، أَكْبَرُهُمْ أَبُو أُمَيَّةَ ٱلَّذِي وَرِثَ ٱلزَّعَامَةَ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ عَلَىٰ دَرَجَةٍ مِنَ ٱلْكَرَمِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي مَوْكِبٍ لاَ يَقْبَلُ أَنْ يَحْمِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ زَاداً أَوْ طَعَاماً، بل يَكْفِيهِمْ جَمِيعاً، لِذَا عُرِفَ بِٱسْمِ «زَادِ ٱلرَّكْبِ»، وَكَانَ أَكْبَرَ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ عَامَ إِعَادَةِ بِنَاءِ ٱلْبَيْتِ ٱلْحَرَامِ إِثْرَ سَيْلٍ جَارِفٍ هَدَّمَهُ وَذٰلِكَ حَوَالَي ٱلْعَامِ ٱلْخَامِسِ وَٱلثَّلاَثِينَ مِنْ مَوْلِدِ رَسُول ٱللهِ ﷺ أَوْ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْخَامِسَةِ قَبْلَ ٱلْبِعْثَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ، وَهُوَ ٱلَّذِي أَشَارَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ بَعْدَ ٱخْتِلاَفِهَا عَلَىٰ وَضْعِ ٱلْحَجَرِ ٱلأَسْوَدِ بِتَحْكِيمِ أَوَّلِ دَاخِلٍ، وَكَانَ أَنْ دَخَلَ ٱلأَمِينُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ، فَٱرْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ:

قَبِلْنَا بِٱلأَمِينِ حَكَماً، فَمَا كَانَ مِنْهُ ﷺ إلاَّ أَنْ بَسَطَ رِدَاءَهُ، وَحَمَلَ ٱلْحَجَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلشَّرِيفَتَيْنِ، وَوَضَعَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْ رَئِيسِ كُلِّ قَبِيلَةٍ أَنْ يَأْخُذَ بِطَرَفٍ مِنْهُ، حَتَّىٰ إِذَا وَصَلُوا إِلَىٰ ٱلْمَكَانِ ٱلْمَطْلُوبِ، أَخَذَ ﷺ ٱلْحَجَرَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ.

وَكَانَ هٰذا ٱلسَّيِّدُ ٱلْمُطَاعُ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ ٱلْمُغِيرَةِ قَدْ تَزَوَّجَ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ فَوَلَدَتْ لَهُ زُهَيْراً وَعَبْدَ ٱللهِ، وَهِيَ عَمَّةُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، كَمَا تَزَوَّجَ أَيْضاً عَاتِكَةَ بِنْتَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ ٱلْكِنَانِيَّةَ فَأَنْجَبَتْ لَهُ هِشَاماً، وَمَسْعُوداً، وَٱلْوَلِيدَ ٱلَّذِي سَمَّاهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمُهَاجِرَ، وَهِنْدَ (أُمَّ سَلَمَةَ) أُمَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا.

وَتُوُفِّيَ أَبُو أُمَيَّةَ، وَوَرِثَ عَنْهُ ٱبْنُهُ زُهَيْرُ ٱبْنُ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلْمَجْدَ وَٱلسُّؤْدُدَ، وَنَشَأَ سَيِّداً مِنْ سَادَاتِ بَنِي مَخْزُومٍ، وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَلٰكِنَّهُ مَعَ وُجُودِ أَعْمَامِهِ وَخَاصَّةً ٱلْوَلِيدَ ٱبْنَ ٱلْمُغِيرَةِ كَانَ يُعَدُّ شَرِيفاً مِنَ ٱلدَّرَجَةِ ٱلثَّانِيَةِ فِي بَنِي مَخْزُومٍ ٱحْتِرَاماً لأَعْمَامِهِ وَتَوْقِيراً لَهُمْ.

وَبُعِثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ

مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلسَّادَاتِ وَأَبْنَائِهِمْ، وَمِنْهُمْ أَصْحَابُ ٱلْفِكْرِ ٱلسَّلِيمِ وَٱلرَّأْيِ ٱلسَّدِيدِ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ، أَمَّا ٱلزُّعَمَاءُ وَكِبَارُ ٱلْقَوْمِ فَقَدْ رَأَوْا فِي ٱتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّداً ضَيَاعاً لِزَعَامَتِهِمْ، وَخَسَارَةً لِمَرْكَزِهِمْ، فَوَقَفُوا فِي وَجْهِ ٱلدَّعْوَةِ، وَعَمِلُوا جُهْدَهُمْ فِي مُحَارَبَتِهَا، إِذْ أَنَّ ٱلْوَجَاهَةَ كَثِيراً ما تُعْمِي وَتُصِمُّ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَإِنَّ طَلَبَ ٱلدُّنْيَا كَثِيراً مَا يُودِي بِٱلْمَرْءِ إِلَىٰ ٱلْهَلَاكِ، فَلَمْ يَرَ هٰؤُلَاءِ ٱلْوُجَهَاءُ أَمَامَهُمْ إِلاَّ ٱلزَّعَامَةَ، وَلَمْ يَشْعُرُوا إِلاَّ بِٱلْغَطْرَسَةِ وَٱلتَّكَبُّرِ، وَظَنُّوا بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَيَّةِ قُوَّةٍ مَهْمَا عَلَتْ، وَأَنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْحَقِّ مَهْمَا ٱرْتَفَعَ، وَلٰكِنْ خَابَ ظَنُّهُمْ، وَضَاعَ تَفْكِيرُهُمْ، فَإِذَا ٱلْبَاطِلُ يَسْقُطُ صَرِيعاً، وَيَعْلُو ٱلْحَقُّ عَلَيْهِ، وَيَظْهَرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، فَمَنْ أَدْرَكَ نَفْسَهُ وَٱتَّبَعَ ٱلْحَقَّ نَجَا: وَمَنِ ٱسْتَمَرَّ عَلَىٰ بَاطِلِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةَ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ.

وَكَانَ مِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّفَرِ ٱبْنُ عَمَّةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ إِذْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَفِظَ لِنَفْسِهِ بِمَوْقِعِهِ مَعَ كِبَارِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مِنْهُمْ، وَأَلاَّ يَضِيعَ مَرْكَزُهُ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ أَحَدُهُمْ، إِذْ حَجَبَتِ ٱلزَّعَامَةُ ٱلنُّورَ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَحَالَتْ دُونَ تَفْكِيرِهِ، وَوَقَفَ طَلَبُ ٱلدُّنْيَا دُونَ وُصُولِهِ إِلَىٰ ٱلْحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ فِي ٱلْوَقْتِ

نَفْسِهِ قَلِيلَ ٱلْحَرْبِ لِلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ، وَمُهَادِناً لَهَا أَشَدَّ ٱلْمُهَادَنَةِ، بَلْ كَثِيراً مَا كَانَ يَمِيلُ نَحْوَ صَاحِبِهَا ﷺ، لاَ لِقُرْبِهِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا لِمَا يَجِدُ فِي ٱلإِسْلاَمِ مِمَّا يَتَّفِقُ مَعَ ٱلْعَقْلِ ٱلسَّلِيمِ وَٱلْفِطْرَةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَمْدَحُ ٱلنَّفَرَ ٱلَّذِينَ يُسَانِدُونَهُ فِي دَعْمِهِ لاِبْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَاصَّةً ٱلسَّادَةَ مِنْهُمْ، لِيَسْتَمِيلَهُمْ إِلَيْهِ، وَيَبْقُوا بِجَانِبِهِ، وَفِي إِحْدَىٰ قَصَائِدِهِ ذَكَرَ ٱبْنَ أُخْتِهِ زُهَيْراً هٰذا بِقَوْلِهِ:

وَنِعْمَ ٱبْنُ أُخْتِ ٱلْقَوْمِ غَيْرَ مُكَذَّبٍ
زُهَيْراً حُسَاماً مُفْرَداً مِنْ حَمَائِلِ
أَشَمُّ مِنَ ٱلشُّمِّ ٱلْبَهَالِيلِ يَنْتَمِي
إِلَىٰ حَسَبٍ فِي حَوْمَةِ ٱلْمَجْدِ فَاضِلِ

وَٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ، وَوَقَفَ أَبُو طَالِبٍ يَحْمِي رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَيَذُودُ عَنْهُ، وَوَقَفَ مَعَهُ بَنُو هَاشِمٍ بِٱسْتِثْنَاءِ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ (عَبْدِ العُزَّى بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ)، ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشاً قَرَّرَتْ مُقَاطَعَةَ بَنِي هَاشِمٍ وَعَدَمَ مُبَايَعَتِهِمْ أَوْ مُنَاكَحَتِهِمْ، فَٱنْزَوَوْا إِلَىٰ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَدَخَلَ مَعَهُمُ ٱلشِّعْبَ بَنُو عَمِّهِمْ بَنُو ٱلْمُطَّلِبِ، بَيْنَمَا ٱنْخَذَلَ عَنْهُمْ بَنُو عَمَّيْهِمْ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ، وَبَنُو

نَوْفَلٍ ٱبْنَا عَبْدِ مَنَافٍ. وَبَقُوا فِي ٱلشِّعْبِ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلاَثَةِ أَعْوَامٍ ، لاَقَوْا فِيهَا ٱلْعَذَابَ، وَأَكَلُوا وَرَقَ ٱلشَّجَرِ، عَلَىٰ حِينَ كَانَتْ قُرَيْشٌ فِي حَرَمِهَا تُتَاجِرُ، وَتَعِيشُ بِطُمَأْنِينَةٍ وَرَخَاءٍ.

لَمْ يَطْلُبْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنْ بَقِيَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْخُلُوا مَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي ٱلْمُطَّلِبِ فِي ٱلشِّعْبِ، وَإِنَّمَا طَلَبَ مِنْهُمُ ٱلاتِّجَاهَ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ، فَكَانَتْ هِجْرَةُ ٱلْحَبَشَةِ ٱلثَّانِيَةُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ ٱلْهِجْرَةَ لِسَبَبٍ مِنَ ٱلأَسْبَابِ كَأَنْ يَمْنَعُهُ أَهْلُهُ أَوْ يَحْبِسُهُ قَوْمُهُ أَوْ كَانَ مِنَ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ وَٱلْمَوَالِي فَقَدْ بَقِيَ فِي مَكَّةَ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُمْ ذَا مَرْكَزٍ كَأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَمَا ذٰلِكَ ٱلْمَنْعُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ ٱلدُّخُولِ فِي ٱلشِّعْبِ لِلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ أَنْ يَعِيشُوا فِي حِمَىٰ ٱلْجَاهِلِيَّةِ. أَمَّا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو ٱلْمُطَّلِبِ فَقَدْ دَخَلُوا فِي ٱلشِّعْبِ كُلُّهُمْ، مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَكَانَتِ ٱلْكَلِمَةُ فِيهِ لِلْجَاهِلِيَّةِ بِٱسْتِثْنَاءِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، بَلْ كَانَ ٱلدُّخُولُ كُلُّهُ مِنْ أَجْلِهِ وَٱلْمُقَاطَعَةُ بِسَبَبِهِ، وَكَانَ إِذَا آوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، وَرَأَىٰ ٱلنَّاسُ مَكَانَهُ جَاءَ أَبُو طَالِبٍ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُغَيِّرَ مَكَانَ نَوْمِهِ، وَطَلَبَ مِنْ أَحَدِ أَبْنَائِهِ أَوْ أَقْرِبَائِهِ أَنْ يَنَامَ مَكَانَهُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ قَدْ بَيَّتَ بَعْضُهُمُ ٱلْغَدْرَ بِرَسُولِ ٱللهِ أَصَابَ

غَيْرَهُ. فَٱلْمُسْلِمُونَ كَجَمَاعَةٍ لاَ تَدْخُلُ بِمَجْمُوعِهَا فِي حِمَىٰ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا لاَ يَدْخُلُ عُضْوٌ فِي حِمَىٰ جَمَاعَةٍ؛ إِذْ تَذُوبُ شَخْصِيَّتُهُ ضِمْنَهَا، أَمَّا كَأَفْرَادٍ تَحْمِيهِمْ عُصْبَتُهُمْ أَوْ يَمْنَعُهُمْ قَوْمُهُمْ فَهَذَا أَمْرٌ آخَرُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقْبَلَ، فَقَدْ دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي جِوَارِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي جِوَارِ ٱبْنِ ٱلدُّغُنَّةِ، وَدَخَلَ أَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ عَبْدِ ٱلأَسَدِ ٱلْمَخْزُومِيُّ فِي جِوَارِ خَالِهِ أَبِي طَالِبٍ، وَفَوْقَ كُلِّ هٰذَا دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي جِوَارِ ٱلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَكَذٰلِكَ فَٱلدُّخُولُ إِلَىٰ ٱلشِّعْبِ يُعَدُّ جِوَاراً إِلاَّ أَنَّ ٱلصِّفَةَ ٱلْفَرْدِيَّةَ هِيَ ٱلَّتِي كَانَتْ وَاضِحَةَ ٱلسِّمَةِ، وَمَعَ هٰذَا فَٱلرَّسُولُ ﷺ كَانَ ٱلْعُنْصُرَ ٱلْمُحَرِّكَ فِيهَا وَٱلأَسَاسِيَّ، وَلَمْ يَكُنْ لِتَفْرِضَ عَلَيْهِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ كَلِمَتَهَا، إِذْ أَنَّ ٱلْحِصَارَ كُلَّهُ كَانَ مِنْ أَجْلِ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم.

وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَعْوَامٍ مِنَ ٱلْبَقَاءِ فِي ٱلشِّعْبِ مَشَىٰ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ قَرِيباً لِبَنِي هَاشِمٍ، وَاصِلاً لَهُمْ، يُرْسِلُ إِلَيْهِمُ ٱلطَّعَامَ سِرّاً، وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ، فَمَشَىٰ إِلَىٰ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلْمَخْزُومِيِّ، وَقَالَ لَهُ: يا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ ٱلطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ ٱلثِّيَابَ، وَتَنْكَحَ ٱلنِّسَاءَ، وَأَخْوالُكَ حَيْثُ قَدْ

عَلِمْتَ، لاَ يُبَاعُونَ وَلاَ يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلاَ يُنْكَحُونَ وَلاَ يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ؟ أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِٱللهِ: أَنْ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي ٱلْحَكَمِ ابْنِ هِشَامٍ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَىٰ مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ، مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَداً، قَالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَٱللهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّىٰ أَنْقُضَهَا، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ رَجُلاً لَكَ، قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: أَبْغِنَا رَجُلاً ثَالِثاً.

وَسَارَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ ٱلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ نَوْفَلِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَقَالَ لَهُ: يَا مُطْعِمُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ، أَمَا وَٱللهِ لَئِنْ أَمْكَنْتُمُوهُمْ مِنْ هٰذِهِ لَتَجِدَنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعاً، قَالَ: وَيْحَكَ، فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتُ ثَانِياً، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: ٱبْغِنَا ثَالِثاً، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ ٱبْغِنَا رَابِعاً. ثُمَّ ذَهَبَ هِشَامٌ إِلَىٰ أَبِي ٱلْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ، فَكَسَبَهُ إِلَىٰ صُفُوفِهِمْ، وَمِنْ عِنْدِهِ ٱنْتَقَلَ إِلَىٰ زَمَعَةَ بْنِ ٱلأَسْوَدِ الأَسَدِيِّ، فَكَلَّمَهُ فِي ٱلأَمْرِ، فَوَافَقَهُ عَلَىٰ مَا وَافَقَ عَلَيْهِ ٱلآخَرُونَ.

وَتَوَاعَدَ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّفَرُ (خَطْمَ ٱلْحَجُونِ) لَيْلاً بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، فَٱجْتَمَعُوا هُنَالِكَ، فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَتَعَاقَدُوا عَلَىٰ ٱلْقِيَامِ فِي ٱلصَّحِيفَةِ حَتَّىٰ يَنْقُضُوهَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبْدَؤُكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَىٰ أَنْدِيَتِهِمْ، وَغَدَا زُهَيْرُ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِٱلْبَيْتِ سَبْعاً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَنَلْبَسُ ٱلثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَىٰ، لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَٱللهِ لاَ أَقْعُدُ حَتَّىٰ تُشَقَّ هٰذِهِ ٱلصَّحِيفَةُ ٱلْقَاطِعَةُ ٱلظَّالِمَةُ. فَرَدَّ عَلَيْهُ أَبُو جَهْلٍ، وَكَانَ فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ، وَقَالَ: كَذَبْتَ وَٱللهِ لا تُشَقُّ، إِلاَّ أَنَّ زَمَعَةَ صَدَّقَ زُهَيْراً، وَقَالَ: مَا رَضِينَا كِتَابَتَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ، قَالَ أَبُو ٱلْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمَعَةُ، لاَ نَرْضَىٰ مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلاَ نُقِرُّ بِهِ، ثُمَّ صَدَّقَ ٱلْمُطْعِمُ مَا قَالَهُ أَصْحَابُهُ، وَكَذَّبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذٰلِكَ، وَتَبَرَّأَ إِلَىٰ ٱللهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا، وَأَيَّدَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو رِفَاقَهُ، فَقَامَ ٱلْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ إِلَىٰ ٱلصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا، فَوَجَدَ ٱلأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْهَا إِلاَّ «بِٱسْمِكَ ٱللَّهُمَّ».

عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ هٰذَا ٱلْمَوْقِفِ ٱلنَّبِيلِ وَٱلتَّعَاطُفِ ٱلَّذِي كَانَ يُبْدِيهِ زُهَيْرٌ تِجَاهَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَعَدَمِ إِظْهَارِ ٱلْعِدَاءِ ٱلْوَاضِحِ

ٱلَّذِي كَانَ يَبْدُو مِنْ بَقِيَّةِ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنْ سَادَةِ قُرَيْشٍ ، إلاَّ أَنَّ زُهَيْراً بَقِيَ فِي مَوْقِفِهِ ٱلْمُتْنَكِّرِ لِلإسْلاَمِ ، وَمُعَارَضَتِهِ لاَبْنِ خَالِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ رَسُولِ ٱللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ ، إِذِ ٱسْتَمَرَّ يَشْعُرُ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ وُجَهَاءِ قُرَيْشٍ ، وَيَجِبُ أَلاَّ يَتَخَلَّىٰ عَنْ مَوْقِفِهِ أَبَداً كَبَقِيَّةِ ٱلْوُجَهَاءِ ، إِذْ فِي تَخَلِّيهِ عَيْبٌ وَاضِحٌ ، وَضَعْفٌ لِمَرْكَزِهِ ٱلْمَرْمُوقِ بَيْنَ أَفْرَادِ ٱلْقَبِيلَةِ جَمِيعِهِمْ ـ حَسْبَ ٱلْمَفْهُومِ ٱلْجَاهِلِيِّ ـ ، وَهٰذَا لَيْسَ بِٱلأَمْرِ ٱلْغَرِيبِ فَإِنَّ خَالَهُ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَثِقُ بِٱبْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِكُلِّ مَا فِي ذٰلِكَ مِنْ مَعْنَىٰ ٱلثِّقَةِ ، وَيَحْمِيهِ دُونَ أَنْ يُمَكِّنَ قُرَيْشاً مِنَ ٱلْقِيَامِ بِعَمَلٍ ضِدَّهُ ، بَلْ إِذَا أَخْبَرَهُ مُحَمَّدٌ بِأَمْرٍ غَيْبِيٍّ يَقُولُ لَهُ : أَرَبُّكَ أَخْبَرَكَ؟ فَإِنْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : نَعَمْ ، صَدَّقَ أَبُو طَالِبٍ ٱبْنَ أَخِيهِ ، بَلْ أَعْلَنَ ذٰلِكَ لِقَوْمِهِ ، وَٱفْتَخَرَ فِي هٰذَا ، وَأَنَّ ٱبْنَ أَخِيهِ صَادِقٌ ، وَلاَ يَقُولُ إلاَّ حَقّاً ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ ، إِذْ وَجَدَ أَنَّ فِي إِيمَانِهِ إِضَاعَةً لِمَرْكَزِهِ بَيْنَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَسَادَتِهَا ، وَكَانَ يَخْشَىٰ أَنْ تَقُولَ ٱلْقَبِيلَةُ : صَبَأَ أَبُو طَالِبٍ ، أَوِ ٱتَّبَعَ مُحَمَّداً .

وَتَرَكَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلأَوَائِلُ مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةَ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ أَذَىٰ قُرَيْشٍ ، وَهَاجَرُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ، وَبَقِيَ زُهَيْرٌ عَلَىٰ مَوْقِفِهِ

ٱلأَوَّلِ لاَ يَتَزَحْزَحُ عَنْهُ، يَعِيشُ سَيِّداً فِي مَكَّةَ، وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنَ ٱلاَنْتِصَارَاتِ ٱلَّتِي أَحْرَزَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَٱلدَّعْمِ ٱلَّذِي كَانُوا يَلْقَوْنَهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَلَوْلاَهُ لَمَا كَانَ ٱنْتِصَارٌ، بَلْ لاَ يُمْكِنُ تَفْسِيرُ تِلْكَ ٱلاَنْتِصَارَاتِ إِلاَّ بِهِ، فَلَمْ يَكُنِ ٱلْعَدَدُ لِيَتَسَاوَىٰ، وَلَمْ تَكُنِ ٱلْعُدَدُ لِتَتَعَادَلَ وَمَعَ ذٰلِكَ فَٱلنَّصْرُ كَانَ دَائِماً بِجَانِبِ ٱلْمُسْلِمِينَ، إِلاَّ أَنَّ زُهَيْراً لَمْ يَأْبَهْ بِٱلأَمْرِ كَثِيراً، بَلْ لَمْ يُعْمِلْ عَقْلَهُ فِي ذٰلِكَ لِيَتَوَصَّلَ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ وَٱلنُّورِ ٱلسَّاطِعِ ٱلَّذِي عَمَّ سَنَاهُ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ وَمَا جَاوَرَهُمَا.

وَسَارَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ بِٱتِّجَاهِ ٱلْمَدِينَةِ تُرِيدُ تَأْدِيبَ ٱلْمُسْلِمِينَ - حَسْبَ زَعْمِهَا - وَٱلْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ ٱلْكُبْرَىٰ بَيْنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ، وَكَانَتْ فُرْقَاناً بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ، ٱنْتَصَرَ فِيهِ ٱلْحَقُّ وَٱتَّضَحَ، وَهُزِمَ ٱلْبَاطِلُ وَٱخْتَفَىٰ، وَفَقَدَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ أَرْضِ ٱلْمَعْرَكَةِ سَبْعِينَ قَتِيلاً، وَمِثْلَهُمْ أَسْرَىٰ بِيَدِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ بَيْنَ ٱلْقَتْلَىٰ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَأَخُوهُ ٱلْعَاصُ ٱبْنَا عَمِّ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَٱبْنُ عَمِّهِ ٱلآخَرِ أَبُو قَيْسِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ، وَأَخَوَا زُهَيْرٍ بِٱلذَّاتِ وَهُمَا: هِشَامٌ وَمَسْعُودٌ، وَمَعَ هٰذِهِ ٱلْفَاجِعَةِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَىٰ قُرَيْشٍ عَامَّةً وَبِٱلنِّسْبَةِ إِلَىٰ زُهَيْرٍ خَاصَّةً، إِلاَّ أَنَّ

زُهَيْراً لَمْ يَزْدَدْ حِقْدُهُ وَلَمْ يُغَيِّرْ مَوْقِفَهُ، وَلَمْ يُفَكِّرْ بِٱلاَنْتِقَامِ أَوْ بِٱلْغَدْرِ كَمَا حَاوَلَ غَيْرُهُ، وَكَمَا فَكَّرَ آخَرُونَ.

وَقَوِيَتْ شَوْكَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱتَّجَهُوا نَحْوَ مَكَّةَ فَاتِحِينَ، وَوَصَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَنَزَلَ بِأَعْلاَهَا، وَعِنْدَهَا شَعَرَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بِٱلْخَطَرِ، وَرَأَىٰ أَنَّهُ يُحْدِقُ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهَا ٱلْقُوَّةُ، وَأَنَّهُ ٱلْمُلْكُ، فَلَمْ يَجِدْ بُدّاً مِنْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي ٱلنَّجَاةِ، إِذْ خَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَرْشَدَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَسْتَجِيرَ بِٱبْنَةِ خَالِهِ أُمِّ هَانِىءٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَتْ عِنْدَ ٱبْنِ عَمِّهِ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ ٱلْمَخْزُومِيِّ، فَٱسْتَجَارَ بِهَا هُوَ وَٱبْنُ عَمِّهِ ٱلْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ أَخُو أَبِي جَهْلٍ، فَأَجَارَتْهُمَا، تَقُولُ أُمُّ هَانِىءٍ: فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، فَقَالَ: وَٱللهِ لأَقْتُلَنَّهُمَا، فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَهُوَ بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ فِي جَفْنَةٍ فِيهَا أَثَرُ ٱلْعَجِينِ، وَفَاطِمَةُ ٱبْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا ٱغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّىٰ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مِنَ ٱلضُّحَىٰ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً يَا أُمَّ هَانِىءٍ، مَا جَاءَ بِكِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ ٱلرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ، فَلاَ يَقْتُلْهُمَا.

وَدَخَلَ زُهَيْرٌ في ٱلإِسْلَامِ مَعَ مَنْ دَخَلَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَكَانَ مِنَ ٱلطُّلَقَاءِ، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ هٰذَا ٱلدُّخُولَ إِنَّمَا كَانَ بِالتَّبَعِيَّةِ مَعَ قَوْمِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ.

وَصَلَتْ أَخْبَارُ فَتْحِ ٱلْمُسْلِمِينَ لِمَكَّةَ إِلَىٰ قَبَائِلِ ٱلْعَرَبِ كُلِّهَا، فَهَالَهَا ٱلأَمْرُ، وَتَخَوَّفَتِ ٱلْقَبَائِلُ ٱلْقَرِيبَةُ، وَأَرَادَتْ إِبْرَازَ كِيَانِهَا، وَمِنْهَا هَوَازِنُ ٱلَّتِي تُقِيمُ في شَرْقِ مَكَّةَ بِٱلقُرْبِ مِنْ ثَقِيفٍ، إِذْ جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ ٱلنَّصْرِيُّ، وَٱنْضَمَّتْ إِلَيْهَا كُلٌّ مِنْ ثَقِيفٍ وَنَصْرٍ وَجُشَمٍ وَسَعْدِ بْنِ بَكْرٍ وَبَعْضُ بَنِي هِلَالٍ، وَلَمَّا سَمِعَ بِذٰلِكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَجْمَعَ ٱلسَّيْرَ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ ٱلَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ وَعَدَدُهُمْ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ، وَٱنْضَمَّ إِلَيْهِمْ أَلْفَانِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ ٱلطُّلَقَاءِ، وَفِيهِمْ وُجَهَاءُ ٱلْقَوْمِ إِذْ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمُ ٱلْخُرُوجُ، فَلَوْ تَخَلَّفُوا لَعُدُّوا مُحَارِبِينَ أَيْضاً وَمُتَخَاذِلِينَ، بَلْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ، وَلَرُبَّمَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلْحَالِ. وَمِنْ وُجَهَاءِ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ سَارُوا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَبُو سُفْيَانَ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلْمَخْزُومِيُّ، وَأَبْنَاءُ عَمِّ زُهَيْرٍ ٱلْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ وَأَخُوهُ خَالِدٌ، وَهُمَا أَخَوا أَبِي جَهْلٍ، وَهِشَامُ بْنُ

ٱلْوَلِيدِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، أَخُو خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ مِثْلُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَأَخِيهِ.

وَفِي وَادِي حُنَيْنٍ ٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعَانِ ، وَكَانَتْ هَوَازِنُ قَدْ سَبَقَتْ وَجُمُوعُهَا إِلَىٰ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ ، وَكَمَنَتْ فِي بَعْضِ شِعَابِهِ، فَلَمَّا وَصَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ ٱلْوَادِي فُوجِئُوا بِٱلإِغَارَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَمَّا كَانَ مَعَهُمْ بَعْضُ ٱلطُّلَقَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِحَقٍّ لِذَا وَلَّوْا ٱلأَدْبَارَ، وَتَرَكُوا أَرْضَ ٱلْمَعْرَكَةِ، وَلَحِقَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْمُقَاتِلِينَ، وَأَغْلَبُ أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ ٱلطُّلَقَاءِ ، وَعَلَىٰ هٰذَا فَٱلْمُنَافِقُونَ أَوِ ٱلْكُفَّارُ لاَ يَزِيدُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ قُوَّةً إِنْ كَانُوا مَعَهُمْ، وَإِنَّمَا يُضْعِفُونَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَيُقَلِّلُونَ مِنْ عَزِيمَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ ٱلْمُسْلِمِينَ رَأَوْا فِي ٱلْكَثْرَةِ قُوَّةً، إِلاَّ أَنَّ ٱلْكَثْرَةَ بِدُونِ إِيمَانٍ لَنْ تُفِيدَ شَيْئاً «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ»[1] . فَوَلَّىٰ أَكْثَرُ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلأَدْبَارِ، وَثَبَتَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَبَعْضُ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَشَمِتَ بَعْضُ ٱلطُّلَقَاءِ. وَقَالُوا: بَطَلَ ٱلسِّحْرُ، إِلاَّ أَنَّ ثَبَاتَ رَسُولِ ٱللهِ وَمُنَادَاةَ ٱلْعَبَّاسِ

---

(١) التوبة آية: ٢٥.

رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَدْ أَعَادَا ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ رُشْدِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ وَٱلْتَفُّوا حَوْلَهُ وَجَاءَهُمُ ٱلْمَدَدُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَحَمَلُوا عَلَىٰ ٱلْمُشْرِكِينَ حَمْلَةً وَاحِدَةً أَزَالَتْهُمْ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ ثُمَّ فَرُّوا هَارِبِينَ، وَقَدْ رَبِحَ ٱلْمُسْلِمُونَ غَنَائِمَ كَثِيرَةً.

وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ وَبَعْضُ مَنْ مَعَهَا إِلَىٰ ٱلطَّائِفِ وَتَحَصَّنَتْ بِهَا، فَلَحِقَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَحَاصَرُوا ٱلطَّائِفَ، ثُمَّ تَرَكُوهَا بَعْدَ قِتَالٍ وَمُفَاوَضَاتٍ، وَأَثْنَاءَ ٱلْعَوْدَةِ وَفِي مِنْطَقَةِ «ٱلْجِعْرَانَةِ» قَسَمَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْغَنَائِمَ، فَأَعْطَىٰ ٱلْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمُ ٱلْكَثِيرَ مِنْهَا، فَقَدْ أَعْطَىٰ أَبَا سُفْيَانَ وَٱبْنَهُ مُعَاوِيَةَ وَزُهَيْرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ وَصَفْوَانَ ابْنَ أُمَيَّةَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ نَاقَةٍ، وَعَلَىٰ هٰذَا يَكُونُ زُهَيْرٌ مِنْ وُجَهَاءِ ٱلْقَوْمِ أَوَّلاً وَمِنَ ٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ثَانِياً.

وَرَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَمَكَثَ فِيهَا قَلِيلاً، ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَعَاشَ ٱلطُّلَقَاءُ فِي مَكَّةَ كُلٌّ يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ، وَيَجِدُّ فِي إِعْمَالِ فِكْرِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ عَلَىٰ حَالِهِ مُؤْمِناً عَادِيّاً، وَمِنْهُمْ مَنِ ٱجْتَهَدَ فِي ٱلْعِبَادَةِ لِيُعَوِّضَ مَا فَاتَ، وَيُصَحِّحَ مَا كَانَ مِنْهُ، وَمِنْ هٰؤُلَاءِ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ٱلَّذِي نَدِمَ عَلَىٰ مَا مَرَّ مِنْ أَيَّامِهِ، وَكَيْفَ كَانَ يُسَايِرُ سَرَاةَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ أَضَلُّوهُ ٱلسَّبِيلَ، وَٱلْوَاقِعُ أَنَّ زُهَيْراً لَمْ يَكُنْ إِمَّعَةً يَسِيرُ

مَعَ ٱلنَّاسِ ، يُعَادِي ٱلإِسْلاَمَ مَعَ قُرَيْشٍ ، وَيُسْلِمُ عِنْدَمَا يُسْلِمُونَ، وَيَغْزُو عِنْدَمَا يَغْزُونَ، وَإِنَّمَا كَانَتِ ٱلْوَجَاهَةُ قَدْ أَعْمَتْهُ عَنِ ٱلْحَقِّ، وَٱلثَّرَاءُ سَيَأْتِي عَنْ طَرِيقِهَا، فَعِنْدَمَا أَخَذَ مِائَةَ بَعِيرٍ عَادَ إِلَىٰ صَوَابِهِ، وَشَعَرَ أَنَّ ٱلْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَيَأْتِي مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ وَلَيْسَتِ ٱلزَّعَامَةُ هِيَ ٱلسَّبِيلُ إِلَيْهِ فَقَطْ، وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْتَهِيَةٌ لاَ مَحَالَةَ وَسَيَذْهَبُ ٱلإِنْسَانُ بِلاَ مَالٍ وَلاَ يَسْتَفِيدُ إِلاَّ مِمَّا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ ، لِذَا بَدَأَ يَجْتَهِدُ فِي ٱلْعِبَادَةِ وَٱلطَّاعَةِ، وَيَمْحُو كُلَّ مَا كَانَ مِنْ سُلُوكِهِ ٱلسَّابِقِ .

وَمَضَىٰ عَامَانِ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُمَا، وَجَاءَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ مَكَّةَ حُجَّاجاً، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْحِجَّةُ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ حِجَّةَ ٱلْوَدَاعِ ، وَٱلْتَقَىٰ زُهَيْرٌ بِنَبِيِّهِ وَتَعَلَّقَ بِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ لِيَعِيشَ بِجَانِبِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ يَتَلَقَّىٰ مِنْهُ، وَيَنْهَلُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّبْعِ ٱلصَّافِي، إِلاَّ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ لَمْ تَطُلْ بِهِ ٱلْحَيَاةُ بَعْدَ حِجَّةِ ٱلْوَدَاعِ ، فَعَاشَ أَشْهُراً وَٱنْتَقَلَ إِثْرَهَا إِلَىٰ ٱلْحَيَاةِ ٱلآخِرَةِ، وَلَمْ تَعُدْ لِزُهَيْرٍ فَائِدَةٌ فِي ذٰلِكَ ٱلاَنْتِقَالِ .

ٱنْتَقَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ، وَٱخْتَارَ ٱلْمُسْلِمُونَ خَلِيفَةً لَهُمْ أَبَا بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَطَمِعَ

ٱلأَعْرَابُ فِيمَا حَدَثَ، بَعْضُهُمْ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ ٱلزَّكَاةَ كَضَرِيبَةٍ لِنَفْسِهِ، وَيَمْتَنِعَ مِنْ دَفْعِهَا لِلدَّوْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَكَّمَ بِشُؤُونِ قَوْمِهِ حَسْبَ مَصْلَحَتِهِ تَبَعاً لِلْجَاهِلِيَّةِ ٱلَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً قَبْلَ ٱلإِسْلاَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ ٱلإِسْلاَمَ، وَلَمْ يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، لٰكِنَّهُ وَجَدَ فِي ٱلنُّبُوَّةِ زَعَامَةً وَشُهْرَةً، فَٱدَّعَاهَا، وَمِنْهُمْ... وَمِنْهُمْ... وَٱرْتَدَّتْ أَكْثَرُ ٱلأَعْرَابِ وَأَهْلُ ٱلْقُرَىٰ وَٱلْبَوَادِي وَلَمْ يَبْقَ عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ سِوَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَٱلطَّائِفِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ ٱلنُّفُوسِ قَدِ ٱشْرَأَبَّتْ لِلنِّفَاقِ فِي مَكَّةَ لَوْلاَ مَوْقِفُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَبَعْضِ ٱلْوُجَهَاءِ وَمِنْهُمْ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ.

أَعْلَنَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱلْحَرْبَ عَلَىٰ ٱلْمُرْتَدِّينَ، وَٱنْطَلَقَتْ إِلَيْهِمْ جُنْدُ ٱللهِ تَنْدَفِعُ نَحْوَهُمْ جَيْشاً إِثْرَ جَيْشٍ، وَكَتِيبَةً تِلْوَ كَتِيبَةٍ، يَنْخَرِطُ فِي صُفُوفِهَا ٱلْمُجَاهِدُونَ، وَيَسِيرُونَ فِي مَوْكِبٍ وَاحِدٍ، وَتَرَىٰ فِي هٰذَا ٱلْمَوْكِبِ ٱلشَّابَّ ٱلْيَافِعَ ٱلَّذِي دَفَعَهُ إِيمَانُهُ لِيَسْتَقْبِلَ شَبَابَهُ بِٱلْجِهَادِ عَسَىٰ أَنْ يَحْصَلَ عَلَىٰ ٱلشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ ٱلْعُمُرُ، أَوْ يَظْفَرَ بِٱلنَّصْرِ فَيَرَىٰ رَايَةَ ٱلإِسْلاَمِ خَفَّاقَةً يَعِيشُ تَحْتَهَا ٱلنَّاسُ فِي طُمَأْنِينَةٍ وَسَعَادَةٍ، وَتَرَىٰ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَوكِبِ ٱلشَّيْخَ ٱلْهَرِمَ ٱلَّذِي لَمْ

تُقْعِدْهُ سِنُّهُ عَنِ ٱلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يَبْغِي ٱلشَّهَادَةَ، وَلَطَالَمَا طَلَبَهَا وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهَا، وَلَعَلَّهَا تَكُونُ خَاتِمَةَ حَيَاتِهِ، فَيَحْصَلُ عَلَىٰ مَا سَعَىٰ إِلَيْهِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ.

كَانَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَقْرَأُ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ فِي ٱلْحَرَمِ، وَٱسْتَوْقَفَتْهُ آيَةُ «تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[1]، وَجَالَتْ فِي نَفْسِهِ ٱلْخَوَاطِرُ، أَيَّ عُلُوٍّ نَبْغِي بَعْدَ هٰذا ٱلعمرِ ٱلَّذِي ٱنْقَضَىٰ، وَيَوْمَ طَلَبْنَاهُ لَمْ يُغْنِ عَنَّا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فَمَاذَا يُغْنِي فِي ٱلآخِرَةِ؟ إِنَّ ٱلْعُلُوَّ ٱلَّذِي نُرِيدُهُ ٱلآنَ إِنَّمَا هُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ لِنَرْتَفِعَ فِي ٱلآخِرَةِ، وَلِنُعَوِّضَ عَمَّا فَاتَنَا...

وَسَمِعَ زُهَيْرٌ أَنَّ كَتَائِبَ ٱللهِ تَتَحَرَّكُ نَحْوَ ٱلْمُرْتَدِّينَ فَأَسْرَعَ لِلاَنْخِرَاطِ فِيهَا، وَوَدَّعَ مَكَّةَ وَدَاعَ مَنْ لاَ يُرِيدُ ٱلْعَوْدَةَ إِلَيْهَا، لِيَخْتِمَ حَيَاتَهُ بِٱلْجِهَادِ، عَسَىٰ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ أَيَّامِهِ ٱلَّتِي وَقَفَ فِيهَا فِي وَجْهِ ٱلدَّعْوَةِ...

---

(١) القصص آية: ٨٣.

وَسَارَ ٱلْجَيْشُ بِٱتِّجَاهِ ٱلشَّرْقِ ، وَكَانَ زُهَيْرٌ فِيهِ، يَسِيرُ تَحْتَ لِوَاءِ ٱبْنِ عَمِّهِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْبِقَهُ لِيَشْتَرِكَ فِي ٱلْمَعْرَكَةِ، وَلِيَخْضِبَ سَيْفَهُ بِدِمَاءِ أُولٰئِكَ ٱلْمُرْتَدِّينَ ٱلَّذِينَ أَغْرَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا بِمَفَاتِنِهَا، وَأَغْوَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ بِغُرُورِهِ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَنَسَوْا مَا كَانَ يَنْسَاهُ فِي أَيَّامِهِ ٱلْخَالِيَةِ، يَسِيرُ وَيَذْكُرُ ٱلْمَاضِيَ ٱلَّذِي لاَ تُفَارِقُهُ صُورَتُهُ أَبداً ، وَيَرْجُو ٱلشَّهَادَةَ، وَقَدْ ذَاقَ حَلاَوَةَ ٱلإِيمَانِ عَسَىٰ أَنْ تُكَفِّرَ عَنْهُ مَا تَلَوَّثَ مِنْ مَاضِيهِ، يَسِيرُ وَكَأَنَّهُ يُقْبِلُ إِلَىٰ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي تَبْدُو عَلاَئِمُهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ...

قَدْ طَالَتْ بِهِ ٱلْحَيَاةُ وَعَرَفَ حُلْوَهَا وَذَاقَ مُرَّهَا فَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً فِيهَا، لَقَدْ تَذَوَّقَ حُلْوَهَا وَهُوَ وَجِيهٌ، وَشَعَرَ بِمُرِّهَا وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَلَمْ يَجِدْ شَيْئاً، وَٱلآنَ فَأَمَلُهُ كَبِيرٌ بِأَنْ يَحْصَلَ عَلَىٰ ٱلشَّهَادَةِ لِيَجِدَ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْخَيْرَ ٱلْكَثِيرَ. يَتَذَكَّرُ جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ فَتَنْفَرِجُ أَسَارِيرُهُ. وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهَا وَرَاءَ ٱلشَّهَادَةِ فَيُقَطِّبُ وَجْهَهُ ٱسْتِعْدَاداً لِلْقِتَالِ ، وَيُسْرِعُ فِي جِسْمِهِ ٱلْخَطْوَ، وَيُرْخِي لِفَرَسِهِ ٱلْعِنَانَ، لِيُسَابِقَ بَقِيَّةَ ٱلْجُنْدِ نَحْوَ ٱلْعَدُوِّ فَمَا يَشْعُرُ إِلاَّ وَجَوَادُهُ قَدْ تَقَدَّمَ عَلَىٰ جَوَادِ ٱلْقَائِدِ، فَيَعُودُ إِلَىٰ نَفْسِهِ وَيَتَأَخَّرُ إِلَىٰ مَكَانِهِ.

وَٱلْتَقَىٰ ٱلْجَيْشَانِ جَيْشُ ٱلإِيمَانِ بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ ٱلْمَخْزُومِيِّ وَجَيْشُ ٱلْكُفْرِ بِإِمْرَةِ مُسَيْلَمَةَ ٱلْكَذَّابِ ٱلْحَنَفِيِّ، وَأُعْطِيَتِ ٱلأَوَامِرُ لِلْمُسْلِمِينَ بِٱلْقِتَالِ، وَكَانَ زُهَيْرٌ يَنْتَظِرُهَا فَٱنْدَفَعَ ٱنْدِفَاعاً نَحْوَ ٱلْمُرْتَدِّينَ لَمْ يَرْجِعْ بَعْدَهَا أَبداً، ٱنْطَلَقَ ٱنْطِلاَقَةَ ٱلْمُوَدِّعِ، فَحَصَلَ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ. ٱللهُ أَكْبَرُ لَقَدْ نَالَ ٱلشَّهَادَةَ، وَظَفِرَ بِمَا يُرِيدُ إِنَّهَا جَنَّاتُ ٱلْخُلْدِ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ ٱللهِ.. «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ. وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ ٱللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ»(١).

صدق الله العظيم.

---

(١) الصف الآيات: ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

-٦-



رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ ٱلنَّبِيينَ وَإِمَامِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ: فَإِنَّ أَكْثَرَ زُعَماءِ قُرَيْشٍ ٱلَّذِينَ كانُوا وَقْتَ ظُهُورِ ٱلْإِسْلامِ، قَدْ وَقَفُوا في وَجْهِ الدَّعْوَةِ، وَلٰكِنَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُم قَدِ ٱرْتَفَعَ ٱسْمُهُ وَطَارَتْ شُهْرَتُهُ. وَهُوَ لاَ يُرِيدُ ذٰلِكَ، وَمَنْ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ، وَأَصَرَّ عَلَى وَثَنِيَّتِهِ وَكُفْرِهِ، فَقَدْ غَدا في عِدادِ ٱلْمَغْمُورِينَ، مَهْما كَانَ مَرْكَزُهُ، وهو يُرِيدُ الزَّعَامَةَ، ويَسْعَى لَها.

وَعِنْدَما جَاءَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَدَخَلَ ٱلنّاسُ في دِينِ ٱللَّهِ أَفْواجاً، وَدَانَ بِٱلْإِسْلامِ مَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلزُّعَمَاءِ حَتَّى تِلْكَ ٱلآوِنَةِ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَى أُولئِكَ الْمُسْلِمِينَ الجُدُدِ ٱسْمُ «ٱلطُّلَقاءِ» بَعْدَ أَنْ قالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: «ٱذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ»، كَانَ حَظُّ الأَعْيانِ مِنْهُمْ في ٱلظُّهُورِ قَلِيلاً بِسَبَبِ تَأَخُّرِهِمْ في ٱلْإِسْلامِ؛ إِذْ فَاتَهُمُ الرَّكْبُ حَيْثُ كانَ ٱلمَوْكِبُ ٱلإِسْلامِيُّ قَدِ ٱنْطَلَقَ، وَلَمَعَ رِجالُهُ، وَٱرْتَفَعَ ذِكْرُ أَبْنائِهِ حَتَّى ٱلَّذِينَ كَانَ ٱلوُجَهاءُ

يَرْفُضُونَ ٱللِقاءَ بِهِم وَٱلاَجْتِماعَ مَعَهُمْ، وَمِنْ هٰؤُلاءِ الأَعْيانِ الطُّلَقاءِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو ٱلَّذِي أَسْلَمَ ٱبْنَاهُ وَإِخْوَتُهُ، وَٱشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ، وَٱخْتَفَى ٱسْمُهُ، وَهُوَ ٱلكَبِيرُ فِيهِمْ وَٱلْوَجِيهُ بَيْنَهُمْ وَٱلرَّئِيسُ عَلَيْهِم.. إلاّ أَنَّهُ عِنْدَمَا أَسْلَمَ، لَمْ يَعُدْ يَرْغَبُ مَا كَانَ يَتَمَنّاهُ في ٱلْجَاهِلِيَّةِ مِنَ ٱلشُّهْرَةِ وَعُلُوِّ ٱلمَكَانَةِ... ومَعَ ذٰلِكَ حَفِظَ لَهُ ٱلإِسْلامُ شَيْئَاً مِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلذِكْرِ، وَلَوْلاَ دُخُولُهُ في ٱلإِسْلاَمِ، لَضَاعَ فِيمَنْ ضَاعَ، وَنُسِيَ كَمَا نُسِيَ غَيْرُهُ أَمْثَالُ أُولٰئِكَ ٱلزُّعَمَاءِ ٱلَّذِينَ مَاتَ ٱسْمُهُم بِمَوْتِهِم، وَزَالَتْ شُهْرَتُهُم بِزَوالِهِم، وَفَنِيَ مَجْدُهُم بِفَنَائِهِم، وَإِذا حَفِظَ ٱلتَّارِيخُ لَنَا بَعْضَ ٱلأَسْمَاءِ؛ فَإِنَّمَا لِكَوْنِ أَصْحَابِها أَئِمَّةَ الْكُفْرِ، وَيُعْرَفُ ٱلأَمْرُ بِنَقِيضِهِ، وَٱلْعَمَلُ بِضِدِّهِ.

وَٱللَّهَ نَسْأَلُ ٱلْجَنَّةَ وَمَا يُقَرِّبُنا إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا يُقَرِّبُنا إِلَيْها مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، كَمَا نَطْلُبُ مِنْهُ جَلَّ شَأْنُهُ سَدادَ ٱلخُطا، وَٱلْقَوْلَ ٱلْحَقَّ، وَٱلنَّجَاحَ في ٱلآخِرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ، فَهُوَ نِعْمَ ٱلمَوْلَىٰ، وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاّ بِٱللَّهِ ٱلعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ.

سُهَيل بنُ عَمرو
رَضِيَ ٱللهُ عَنهُ

هُوَ أَبُو يَزِيدَ، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدِّ ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَامِرٍ. وَبَنُو عَامِرٍ أَحَدُ بُطـون قُـرَيْشٍ الأِثْنَـيْ عَشَـرَ المعـروفَـةِ، وَٱلتِّـي ٱمْتَـازَتْ بِٱلشَّجاعَةِ، وَعُرِفَتْ بِٱلْحِكْمَةِ، وَلعَلَّ أَشْهَرَ رِجَالِهِمُ ٱلْبَارِزِينَ وَقْتَ ظُهُورِ ٱلأِسْلام هُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو هٰذَا، وَقَدِ ٱشْتَهَرَ بِٱلثَّبَاتِ وَٱلْخَطَابَةِ حَتَّىٰ عُدَّ خَطِيبَ قُرَيْشٍ ٱلْمُفَوَّهَ، وَٱلنَّاطِقَ بِٱسْمِهَا فِي ٱلْمُلِمَّاتِ.

١ـ في الجاهلية

شعَّ نورُ ٱلإِسْلامِ في مَكَّةَ، وَوَصلَتْ أَشِعَّتُهُ إِلَىٰ كُلِّ بُيُوتَاتِ قُرَيْشٍ تقْريباً، وَدَخَلَ سَنا مِنْ شُعَاعِهِ إِلَىٰ دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ، فَأَسْلَمَ إِخْوَةُ سُهَيْلٍ وَهُمْ: سَلِيطٌ وَٱلسَّكْرَانُ وَحَاطِبٌ، وَأَسْلَمَ وَلَدُهُ عَبْدُ ٱللَّهِ، وَأَسْلَمَتِ ٱبْنَتَاهُ سَهْلَةَ زَوْجُ أَبِي حُذَيْفَةَ ابْنِ عُتْبَةَ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ زَوْجُ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي سَبْرَةَ بْنِ أَبِي رُهْمٍ، وَأَسْلَمَتِ ٱبْنَةُ عَمِّهِ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجَةُ أَخِيهِ ٱلسَّكْرَانِ، وَٱبْنُ عَمِّهِ أَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ، وَخَتَنُهُ أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ، وَعَدَدٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، وَلٰكِنَّ سُهَيْلاً أَصَرَّ عَلَىٰ ما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوَثَنِيَّةِ وَٱلشِّرْكِ، وَٱسْتَكْبَرَ، وَحَاوَلَ أَنْ يَقِفَ فِي وَجْهِ إِخْوَتِهِ، وَلٰكِنْ أَنَّىٰ لَهُ، وَهُمْ ٱلأَكْثَرُ عَدَداً، وَمَا كَانَ لَهُ إِلاَّ أَنْ يَسْكُتَ عَلَىٰ مَضَضٍ، مُكْرَهاً، وَبِخاصَّةٍ أَنَّهُ أَحَدُ رِجَالِ بَنِي عَامِرٍ ٱلْمَعْدُودِينَ، وَأَحدُ ٱلزُّعَمَاءِ ٱلْمَشْهُورِينَ، فَوَقَفَ بِجَانِبِ وُجَهَاءِ مَكَّةَ يَذُودُونَ عنْ آلِهَتِهِمْ مِنَ ٱللاَتِ وَٱلْعُزَّىٰ، وَهُمْ سَدَنَتُها، يَحْمُونَها، وَهُمْ عَبَدَتُها، وَيُدافِعُونَ عَنِ ٱلْبَاطِلِ، وَيَقِفُونَ فِي وَجْهِ ٱلْحَقِ خَوْفاً عَلَى مَصَالِحِهِمْ، إِذْ أَنَّ فِي ٱنتِشَارِ الإسلامِ وَأْدٌ لِتِلْكَ

الآلِهَـةِ مِـنَ ٱلأصْنَـامِ ، وَخَلاصـاً مِـنَ ٱلْعُبُـودِيَّـةِ لَهَا ، وَقَضَاءً عَلَىٰ تِلْكَ ٱلزَّعامَاتِ مِنَ ٱلطَّواغِيتِ، وَٱنْتِهَاءً مِنْ أَهْوَاءِ نُفوسِ ٱلظّالِمينَ وَتَحْقِيقِ رَغْبَاتِها بِمَا تَشْتَهِي دُونَ أَنْ يَقِفَ أَحَدٌ في طَرِيقِها، وَتَخَلُصاً مِنَ ٱلّرِبا ٱلْتِي أَثْرَتْ مِنْهَا بَعْضُ ٱلّرجَالاتِ، فَعَاثَـتِ ٱلفَسَـادَ بِثَـرائِهَـا ، وَدَاسَـتْ عَلَـىٰ ٱلْإِنْسَانِيَّةِ بِغِنَاهَا ، كَمَا في ٱنْتِشَارِ ٱلْإِسْلاَمِ تَخَلّصٌ مِنْ أُولٰئِكَ ٱلصَّعَالِيكِ ٱلّذِينَ أَقَضُّوا مَضاجِعَ ٱلآمِنِينَ لِفَقْرِهِمْ وبُؤْسِهِم، ٱلْأَمْرُ ٱلّذي نَبَذَتْهُمْ مِنْها ٱلْقَبيلَةُ ، وَلَفَظَهُمُ ٱلْمُجْتَمَعُ .

وَبَدَأَ ضَغْطُ ٱلْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ ذَوِيهِمْ؛ لِيَبْقَىٰ ٱلْغَنِيُّ عَلَىٰ نُفُوذِهِ، وَلِيَسْتَمِرَّ ٱلصُّعْلُوكُ في تَسَلُّطِهِ، وَنَالَ بَعْضَ آلِ عَامِرٍ ما نَالَهُمْ مِنْ أَذَى سُهَيْلٍ ، حَتَّىٰ إذا ضَاقَ ٱلْمُسْلِمُونَ ذَرْعاً بِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الأَذَى، أَمَرَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بِٱلتَّوَجُّهِ نَحْوَ ٱلْحَبَشَةِ حَيْثُ فيها حَاكِمٌ لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ .

سَارَ ٱلْمَوْكِبُ الإِسلاميُّ إِلَىٰ ٱلْحَبَشَةِ، وَفيهِ أَخُوهُ حَاطِبٌ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ إِلَيْها مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، كَمَا كَانَ في هَذا المَوْكِبِ أَخَواهُ سَلِيطٌ، وَٱلسَّكْرانُ مَعَ زَوْجِهِ سَوْدَةَ بِنْتِ زمعةَ، وَفِيهِ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱللَّهِ، وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِ: أَبو سَبْرَةَ بْنُ أَبي رُهمٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ، وَمالِكُ بنُ زَمْعَةَ مَعَ زَوْجِهِ ٱبْنَةِ عمه عمرة بِنْتِ ٱلسَّعْدِيِّ، وَفِيه ٱبْنَتَاهُ سَهْلَةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ ، وَصِهْرُهُ أَبو حُذَيْفَةَ .

مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ بَعْضُ مُهَاجِرِي ٱلْحَبَشَةِ، وَفِيهِمْ أَكْثَرُ بَنِي عَامِرٍ، فلمّا رَجَعُوا إلى مَـوْطِنِهِـمْ، قَبَـضَ سُهَيْـلٌ عَلَـىٰ ٱبْنِـهِ عَبْدِ ٱللَّهِ، وَحَبَسَهُ، وَأَوْثَقَهُ عِنْدَهُ، وَفَتَنَهُ عَنْ دِينِهِ، حَتَّىٰ كانَ يومُ بَدْرٍ، فَأُسِرَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَذَاكَ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي جَعَلَ عَبْدَ ٱللَّهِ يَخْرُجُ مُهَاجراً، حَيْثُ شَهِدَ مَـعَ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ ٱلْمَشَاهِدَ كُلَّها ٱلَّتِي وَقَعَتْ بَعْدَ بَدْرٍ.

في بَدْرٍ:

وَٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، وَلَٰكِنَّ ٱلإِسْلاَمَ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَنْتَشِرُ في يَثْرِبَ، فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحابِهِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ يَثْرِبَ، ثُمَّ لَحِقَهُمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَالسَّلامُ مُهاجراً، وَهُنَاكَ تَأَسَّسَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلإِسْلاَمِيَّةُ ٱلأُوْلَى، وَبَدَأَتْ تَعْمَلُ عَلَىٰ إِثْباتِ كِيانِها، فَصَارَتْ تَعْتَرِضُ طَرِيقَ قَوافِلِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ ٱلشَّامِ، إِلَىٰ أَنْ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ ٱلْكُبْرَىٰ بَيْنَ ٱلْجَانِبَيْنِ، وَكَانَتْ فُرْقاناً بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ، إِذْ قُتِلَ فِيها كِبَارُ ٱلْمُشْرِكِينَ وَطُغَاةُ ٱلْكُفْرِ أَمْثَالُ أَبِي جَهْلٍ عَمرِو بْنِ هِشامٍ المخزوميّ، وأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَحَنْظَلَةَ ابْنِ أَبِي سُفيان، كَمَا أُسِرَ بَعْضُ صَنَادِيدِهِمْ وَمِنْهُمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَقَدْ أَسَرَهُ مَالِكُ بْنُ ٱلدَّخْشَمِ.

وَدُفِنَ ٱلْقَتْلَى، وَسِيقَ ٱلأَسْرَى إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وقالَ سُهَيْلُ بنُ

عَمْرٍو يَوْمَذاكَ مُعَلِّلاً أَسْرَهُ، وَمُعْتَذِراً عَمّا تَمَّ لَهَ «رَأَيْتُ رِجالاً بيضاً عَلَىٰ خَيْلٍ بُلْقٍ بَيْنَ ٱلسَّماءِ وَٱلْأَرضِ مُعَلَّمِينَ، يَقْتُلُون، وَيَأْسِرونَ». ومَعَ هٰذا ٱلَّذِي رَآهُ، وَأَيْقَنَ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ... إلاّ أَنَّ ٱلْكُفْرَ لَمْ يَزَلْ يَمْلأُ جَوانِحَهُ، فَأَصَرَّ وَٱسْتَكْبَرَ، وَلٰكِنَّهُ أَسِيرٌ.

وَسَأَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ أَصْحابَهُ فِيما يَفْعَلُهُ بِٱلْأَسْرَىٰ، فَرَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَأَيَّدَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ، وَرَأَىٰ عُمَرُ بنُ ٱلْخَطّاب أَنْ يَقْتُلَهُمْ، بَلِ ٱقْتَرَحَ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ أَقْرَبَ ٱلنّاسِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ ٱلخَلْقُ جَمِيعاً أَنَّهُ لا صِلَةَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِ وَٱلْكَافِرِ أَبَداً، فَكُلُّ وَشَائِجِ ٱلْقُرْبَىٰ وَصِلاتِ ٱلرَّحِمِ تَزُولُ أَمامَ ٱلْعَقِيدَةِ، وأَيَّدَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَعَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ رَواحة وغيرهما. ومالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى رَأْيِ أَبِي بكر، وَبَدَأَ يَقْبَلُ فِداءَ ٱلْأَسْرَىٰ.

وَرَأَىٰ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرَّةً سُهَيْلاً فِي ٱلأَسْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، وَتَذَكَّرَ مَواقِفَهُ فِي عِدَاءِ ٱلْإِسْلامِ، فَقَالَ عُمَرُ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ، دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، فَيَدْلَعْ لِسَانُهُ، فَلا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيباً فِي مَوْطِنٍ أَبَداً. فَأَجَابَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: لا أُمَثِّلُ بِهِ، فَيُمَثِّلُ ٱللَّهُ

بي، وَإِنْ كُنْتُ نَبيّاً، ثُمَّ أَضَافَ: إِنَّهُ عَسَىٰ أَنْ يَقُومَ مَقاماً لا تَذُمُّهُ.

وَجاءَ مُكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ في فِداءِ سُهَيْلٍ، وَٱتَّفَقَ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَالٍ يُؤَدِّيهِ سُهَيْلٌ، فَعِنْدَمَا طَالَبُوهُ بِٱلدَّفْعِ، قَالَ مُكْرَزٌ: ٱجْعَلُوا رِجْلِي مَكَانَ رِجْلِهِ، وَخَلُّوا سَبِيلَهُ حَتَّىٰ يَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِفِدَائِهِ، فَخَلُّوا سَبِيل سُهَيْلٍ، وَحَبَسُوا مكرزاً مَكانَهُ عِنْدَهُمْ، وَعِنْدَما وَصَلَ سُهَيْلٌ إِلَىٰ مَكَّةَ، أَرْسَلَ ٱلْفِدَاءَ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ مكرزٍ.

وَمَرَّتِ ٱلأَيَّامُ بَعْضُها إِثْرَ بَعْضٍ، وَقُوَّةُ ٱلْمُسْلِمِينَ في تَزَايُدٍ، وَوَضْعُ ٱلْمُشْرِكِينَ في تَرَاجُعٍ، وَهُمْ يُحَاوِلُونَ تَجْمِيعَ ٱلْقَبائِلِ، وَتَحْزِيبَ ٱلأَحْزَابِ، وَيَهُودُ مِنْ وَرَائِهِمْ تُحَرِّضُ ٱلنَّاسَ، وَتُثِيرُ ٱلْفِتَنَ، وَكانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، وَنَالَتْ قُرَيْشٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلٰكِنَّهَا لَمْ تُحْرِزِ ٱلنَّصْرَ ٱلَّذِي تُرِيدُ، إلاّ أَنَّ ذٰلِكَ قَدْ أَطْمَعَ ٱلأَعْرابَ فِيْ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَمَعَ هٰذا فَلَمْ تَضْعُفِ ٱلْقُوَّةُ لَدَيْهِمْ، وَلَمْ تَلِنْ قَناتُهُمْ، وَلا فَلَّتْ لَهُمْ عَزِيمَةٌ، وَإِنَّما ٱسْتَمَرُّوا في دَعْوَتِهِمْ وَنَشَاطِهِمْ وَجِهادِهِمْ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ ٱلأَحْزَابِ ٱلَّتِي جَمَعَتْ لَهَا قُرَيْشٌ كُلَّ طاقاتِها، وَٱلأَعْرَابُ كُلَّ إِمْكاناتِهِمْ، وَيَهُودُ كُلَّ مَكْرِهِمْ، وَكانَتِ ٱلنَّتِيجَةُ؛ أَنْ فَشِلَ ٱلْجَمِيعُ،

وَنصَرَ ٱللَّهُ عِبادَهُ ٱلْمؤمِنِينَ. وَكانَتْ هٰذِهِ ٱلْمَعْرَكَةُ آخِرَ سَهْمٍ لِلْمُشْرِكِينَ؛ إِذْ تَفرَّقَتْ كَلِمَتُهُمْ فِيما بَعْدُ، وَخُضِدَتْ شَوْكَتُهُمْ، عَلَىٰ حِينَ كانَتْ بَدْءاً لِتَوَسُّعِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱزْدِيادِ نَشَاطِهِمْ.

في ٱلْحُدَيْبِيَةِ:

رَأَىٰ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ أَنْ يَزُورَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرامَ، وَقَدْ زادَ إِليهِ شَوْقُهُ، فَقَدْ مَضَىٰ عَلَىٰ فِراقِهِ لَهُ سَنَواتٌ سِتٌّ، وَطَلَبَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَأَهَّبُوا لِذلِكَ بَعْدَ أَنْ رَأَىٰ في مَنامِهِ ما رَأَىٰ.

ٱنْطَلَقَ ٱلرَّكَبُ ٱلْإِسْلاميُّ يَتَحَرَّكُ نَحْوَ مَكَّةَ بِإِمْرَةِ ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ، وَقَدْ سَاقَ ٱلْهَدْيَ أَمَامَهُ، وَأَحْرَمَ بِٱلْعُمْرَةِ، وَأُغْمِدَتِ ٱلسُّيوفُ، لِيَأْمَنَ ٱلنَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ، وَلِيعْلَمُوا أَنَّه إِنَّما خَرَجَ زَائِراً لِلْبَيْتِ، وَمُعْظِماً لَهُ. ٱنْطَلَقَ ٱلرَّكْبُ بِٱنْقِيادٍ تامٍّ لِنَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ وَبِخُشُوعٍ عَامٍ للَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ.

وَعَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِمَسِيرِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَٱسْتَعَدَّتْ لِذٰلِكَ، وَٱجْتَمَعَتْ بِذِي طُوَىٰ شِمالِ مَكَّةَ، وَقَدْ عَاهَدَتِ ٱللَّهَ أَلاَّ يَدْخُلَها ٱلْمُسْلِمُونَ أَبَداً، عَلَىٰ حِينَ أَنَّها كانَتْ مَفْتُوحَةً لِمَنْ أَرَادَ مِنَ ٱلْعَرَبِ أَنْ يأْتِيَ مُعْتَمِراً زَائِراً مُعْظِماً، وَلٰكِنَّها لا تَسْمَحُ لِلْمُسْلِمِينَ أبداً، لَقَدْ أَكَلَتِ ٱلْحَرْبُ قُرَيْشاً، فَدَفَعَتْ

خَالِدَ بْنَ ٱلْوَلِيدِ ـ وَكَانَ لا يَزالُ عَلَىٰ شِرْكِهِ ـ بِٱلْخَيْلِ أَمَامَها .
وَلَما عَلِمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ ما كانَ مِنْ قُرَيْشٍ ، ٱنْعَطَفَ نَحْوَ ٱلْيَمِينِ حَتَّىٰ لا يَصْطَدِمَ بخَالِدٍ أَوْ بِأَحَدٍ، فَٱلْمُسْلِمُونَ مُحْرِمُونَ، وَما جَاءُوا لِقِتَالٍ ، وَٱسْتَمَرَّ في سَيْرِهِ حَتَّىٰ نَزَلَ ٱلْحُدَيْبِيَةِ، وَقَدْ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ ٱلنَّاسُ: خَلأَتِ[1] ٱلْقَصْواءُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ: ما خَلأَتْ، وَمَا هُوَ لَها بِخُلُقٍ ، وَلٰكِنْ حَبَسَهَا حابِسُ ٱلْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ. لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ ٱلْيَوْمَ إِلَىٰ خُطَّةٍ فِيها صِلَةُ ٱلرَّحِمِ إِلاّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيّاها .

وَجَاءَتْ رُسُلُ قُرَيْشٍ ٱلْواحِدَ تِلْوَ ٱلآخَرِ، وَكُلُّهُمْ يَتأَكَّدُ أَنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ ما جَاءُوا إلاّ زائِرِينَ، وَمَعَ ذٰلِكَ فإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَصَرَّتْ عَلَىٰ مَنْعِهِمْ، وَقالَتْ: لا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ عَلَيْنا عَنْوَةً فَتَتَحَدَّثَ ٱلْعَرَبُ بِذٰلِكَ .

وَبَعَثَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ رَسُولاً مِنْ قِبَلِهِ إلى قُرَيْشٍ ، فَعَقَرُوا بِهِ جَمَلَهُ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ . وَقَبَضَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ خَمْسِينَ رَجُلاً أَتَوْا مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ لِيُصِيبُوا مِن ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلٰكِنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ خَلَّىٰ سَبِيلَهُمْ، ثُمَّ بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ رَضِيَ

---

(١) خَلأَتِ النَّاقَةُ : حَرَنَتْ

ٱللَّهُ عَنْهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ ؛ لِيُخْبِرَها أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ مَا جاءَ إلاّ زَائِراً لِلْبَيْتِ وَمُعْظِماً، وَٱنْتَشَرَ خَبَرٌ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَفَادُهُ أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّه عَنْهُ قَدْ قُتِلَ، وَلَمّا وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ: لا نَبْرَحُ حَتَّىٰ نُناجِزَ ٱلْقَوْمَ، وَبَايَعَ ٱلصَّحابَةُ بَيْعَةَ ٱلرِّضْوانِ ، ثُمَّ ٱنْجَلَىٰ ٱلْخَبَرُ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ عُثْمَانَ حَيٌّ .

ثُمَّ أَرْسَلَتْ قُرَيشٌ سهيلَ بْنَ عَمْروٍ لِيُفاوِضَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَقَالَتْ لَهُ: ٱئْتِ مُحَمَّداً فَصالِحْهُ، وَلا يَكُنْ في صُلْحِهِ إلاّ أَنْ يَرْجِعَ هٰذا العَامِ عَنْ مَكَّةَ دُونَ أَنْ يَدْخُلَها .

جاءَ سُهَيْلٌ، وَقَالَ أَمامَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ ، وَأَطالَ ٱلْقَوْلَ، ثُمَّ جَرَىٰ بَيْنَهُما ٱلصُّلْحُ، وَدَعَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ٱكْتُبْ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ .

فَقَالَ سُهَيْلٌ: لا أَعْرِفُ هٰذا ، وَلٰكِنِ ٱكْتُبْ: بِٱسْمِكَ ٱللَّهُمَّ .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ : ٱكْتُبْ بِاسْمِكَ ٱللَّهُمَّ . فَكَتَبَها عَلِيٌّ .

ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ٱكْتُبْ: هٰذا ما صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو .

فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ لَمْ أُقاتِلْكَ، ولٰكِنِ

ٱكْتُب: ٱسْمَكَ وَٱسْمَ أَبيكَ.

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: ٱكْتُبْ: هٰذا ما صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ سُهَيْلَ بْنَ عمرٍو، ٱصْطَلَحَا عَلَىٰ وَضْعِ ٱلْحَرْب عَنِ ٱلنَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيْهِنَّ ٱلنَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَىٰ أَنَّهُ مَنْ أَتَىٰ مُحَمَّداً مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جاءَ قُرَيْشاً مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وأَنَّهُ لا إِسْلالَ وَلا إِغْلالَ، وَأَنه مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِم دَخَلَ فيه. فَتواثَبَتْ خُزاعَةُ فَقالُوا: نَحْنُ في عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَواثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ، فَقالُوا: نَحْنُ في عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِم. وأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنّا عامَكَ هذا، فلا تَدْخُلْ عَلَيْنا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذا كانَ عامٌ قابِلٌ، خَرَجْنا عَنْكَ فَدَخَلْتَها بِأَصْحَابِكَ، فَأَقَمْتَ بِها ثَلاثاً، مَعَكَ سِلاحُ ٱلرَّاكِبِ، ٱلسُيُوفُ في القُرُبِ، لا تَدْخُلُها بِغَيْرِها.

فَبَيْنَما رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَكْتُبُ ٱلْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، إِذْ جاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ في ٱلْحَدِيدِ، قَدْ ٱنْفَلَتَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كانَ أَصْحابُ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ خَرَجُوا وَهُمْ لا يَشُكُّونَ في ٱلْفَتْحِ، لِرُؤْيا

رآها رسولُ ٱللّهِ ﷺ ، فلمّا رأوْا ما رأوْا مِنَ ٱلصُّلْحِ وَٱلرُّجُوعِ ، وما تحمّلَ عليْهِ رسُولُ ٱللّهِ ﷺ في نَفْسِهِ، دخلَ علَىٰ ٱلنَّاسِ مِنْ ذلِكَ أمرٌ عظيمٌ، حتَّىٰ كادُوا يَهْلِكُون، فَلَمَّا رأىٰ سُهَيْلٌ ٱبْنَهُ أبا جَنْدَلٍ ، قامَ إلَيْهِ فضَرَبَ وجْهَهُ، وأخَذَ بتَلْبيبهِ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، قَدْ لَجَّتِ ٱلْقَضِيَّةُ بيْني وبَيْنَكَ، قَبْلَ أنْ يأتِيَكَ هٰذا، قالَ: صَدَقْتَ، فجعَلَ يَنْتُرُهُ بتَلْبيبهِ، ويَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إلَىٰ قُرَيْشٍ ، وجعَلَ أبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بأعْلَىٰ صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ ٱلْمُسلِمِينَ، أأُرَدُّ إلَىٰ ٱلْمُشْرِكينَ يفتِنُونِي في دِينِي؟ فَزادَ ذٰلِكَ ٱلنَّاسَ إلَىٰ ما بِهِمْ.

فَقالَ رسُولُ ٱللهِ ﷺ : يا أبا جَنْدَلٍ ، ٱصْبِرْ وَٱحْتَسِبْ، فإنَّ ٱللهَ جاعِلٌ لَكَ ولِمَنْ مَعكَ مِنَ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجاً ومَخْرَجاً، إنّا قَدْ عَقَدْنا بيْننا وبَيْنَ ٱلْقَوْمِ صُلْحاً، وأعْطَيْناهُمْ علَىٰ ذٰلِكَ، وأعْطَوْنا عَهْدَ ٱللهِ، وإنّا لا نَغْدِرُ بِهِمْ. فَوَثَبَ عُمَرُ ابْنُ ٱلخَطّاب مَعَ أبي جَنْدَلٍ ، يَمْشِي إلَىٰ جَنْبِهِ، ويَقُولُ: ٱصْبِرْ يا أبا جَنْدَل، فإنَّما هُمُ ٱلْمُشْرِكُونَ، وإنَّما دمُ أحَدِهِمْ دَمُ كَلْبٍ، ويُدْنِي قائِمَ ٱلسَّيْفِ مِنْهُ، يَقُولُ عُمَرُ: رَجَوْتُ أنْ يأخُذَ ٱلسَّيْفَ فَيَضْرِبَ بِهِ أباهُ، قالَ: فَضَنَّ ٱلرَّجُلُ بأبِيه . ونَفَذَتِ ٱلْقَضِيَّةُ .

وكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو مِمَّنْ شَهِدَ عَلَىٰ

ٱلصُّلْحِ ، وَكانَ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ .

وَتَوَسَّعَ ٱنْتِشَارُ ٱلإِسْلامِ ، وَفُتِحَتْ خَيْبَرُ، وَٱنْتَهَتْ جَبْهَةُ ٱلْيَهُودِ وَمُؤَامَراتُهُمْ، وَنازَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلرَّومَ في مُؤْتَهَ، وَأَمِنُوا مَكْرَهُمْ .

وَنَقَضَتْ قُرَيْشٌ ما عَاهَدَتْ عَلَيْهِ في ٱلْحُدَيْبيَةِ، وَدَعَمَتْ بَنِي بَكْرٍ، وَشَجَّعَتْها عَلَىٰ قِتال خُزاعَةَ حُلَفاءِ رَسُول ٱللهِ ﷺ ، وَوَصَلَتْ وُفُودُها إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، فَوَعَدَهَا رَسُولُ ٱللهِ خَيْراً .

٢ـ في الإسلام

وَجَاءَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ فاتِحاً، وَمَعَهُ جَيْشُهُ ٱللَّجِبُ ٱلَّذِي يَزِيدُ عَلَىٰ عَشَرَةِ آلافِ مُقاتِلٍ، وَكانَ قَدْ سَبقَهُ إِلَيْها أَبُو سُفْيانَ بَعْدَ إِسْلامِهِ، وَصَرَخَ بأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هٰذا مُحَمَّدٌ قَدْ جاءَكُمْ فِيمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ ٱلمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ. كَما أَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أُمَرَاءَهُ أَلاّ يُقاتِلُوا إلاّ مَنْ قَاتَلَهُم، إلاّ أَنَّهُ قَدْ عَهِدَ إِلَىٰ نَفَرٍ سَمّاهُم، أَمَرَ بِقَتْلِهِم وإِنْ وُجِدُوا تَحْتَ أَسْتارِ ٱلْكَعْبَةِ.

فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَكَّةَ، وَٱطْمَأَنَّ ٱلنَّاسُ، خَرَجَ حَتَّىٰ جاءَ ٱلْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعاً عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا قَضَىٰ طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتاحَ ٱلْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فَدَخَلَها، وَحَطَّمَ ٱلأَصْنَام... ثُمَّ وَقَفَ عَلَىٰ بابِ ٱلْكَعْبَةِ فَقَالَ «لا إِلٰهَ إِلاّ ٱللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ ٱلأَحْزابَ وَحْدَهُ، أَلاَ كُلُّ مَأْثُرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ تُدَّعَىٰ؛ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هاتَيْنِ، إِلاّ سَدَانَةَ ٱلْكَعْبَةِ

وَسِقايَةَ ٱلْحَاجِّ » .

يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ ٱللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ ٱلْجاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَها بالْآباءِ، ٱلنَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ . .

يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، ما تَرَوْنَ أَنِيّ فاعِلٌ فيكُمْ؟ .

وَهُنا وَقَفَ خَطَيبُ قُرَيْشٍ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَقَدْ تَمَثَّلَتْ لَهُ صُورَةُ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُسْلِمِ ، مَعَ ما في ذِهْنِهِ مِنْ أَعْمالِ قُرَيْشٍ وَوُقُوفِها أَمامَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، وتَعَنُّتِها ، وَكُفْرِهَا ، وَقِتالِها وَتَعْذِيبِها لأُولٰئِكَ ٱلنَّفَرِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْأَوائِلِ ، فَقَالَ ـ وَهُوَ ٱلْوَاثِقُ بِرَسُولِ الله ـ: خَيْراً أخٌ كَرِيمٌ، وَٱبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : إِنّي أَقُولُ لَكُم كَمَا قَالَ أَخي يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ، يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ، ثُمَّ قَالَ: ٱذْهَبُوا فَأَنْتُمْ ٱلطُّلَقاءُ .

وَفُتِحَتْ مَكَّةُ، وَدَخَلَ أَهْلُهَا في ٱلْإِسْلامِ ، دَخَلُوا بِصُوَرٍ وَأَشْكالٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهُمْ مَنْ بَدا لَهُمُ ٱلْحَقُّ وَاضِحاً جَلِيّاً فَأَسْلَمَ، وَهُوَ ٱلْغَالِبُ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَأَىٰ ٱلنَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَخَضَعَ، وَمِنْهُمْ مَا كَانَ دُونَ ذٰلِكَ لَمْ تَتَوَضَّحْ لَهُ ٱلطَّرِيقُ بَعْدُ؛

فَأَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ ما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْوَثَنِيَّةِ وَٱلشِّرْكِ، وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ مُغاضِباً، وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُونَ، فَإذا بِهِ يأتي مُسْلِماً مِنْ بَعْدِ ما رَأَىٰ ٱلآيَاتِ أَثْنَاءَ فِرَارِهِ فَعادَ، وَقَدْ رَأَىٰ ٱلْعَفْوَ وَٱلإِكْرَامَ.

أَمّا سُهيلُ بْنُ عَمْرِو فَقَدِ ٱخْتَفَىٰ بَعْدَ أَنْ حَضَرَ خُطْبَةَ رَسُول ٱللهِ ﷺ ٱلْعَامَّةَ في ٱلْمَسْجِدِ، إذْ خَافَ مِنْ نَفْسِهِ أَلاّ تَصْبرَ، وَجَاءَ ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱللهِ إلَىٰ رَسُول ٱللهِ ﷺ، فَقالَ لَهُ: يا رَسُولَ ٱللهِ، تُؤَمِّنُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: نَعَمْ هُوَ آمِنٌ بِأَمانِ ٱللهِ، فَلْيَظْهَرْ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ ٱللهِ لِمَنْ حَوْلَهُ: مَنْ رَأَىٰ سُهَيْلَ ابْنَ عَمْرِو فَلا يَشُدَّ إلَيْهِ ٱلنَّظَرَ، فَلَعَمْري إنَّ سُهَيْلاً لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ.

ثُمَّ إنَّ ٱلْحُجُبَ أُزِيلَتْ عَنْهُ تَماماً، ٱلْحُجُبَ كُلَّها ٱلَّتِي كَانَتْ تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنُّور، وفُتِحَتِ ٱلْمَنَافِذُ كُلُّ ٱلْمَنَافِذِ ٱلَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْعَالَم ٱلْخَارِجِيِّ، وَدَخَلَ مِنْها ٱلنُّورُ بِصُورَةٍ قَوِيَّةٍ فَجَلا كُلَّ ما كانَ قَدْ رَانَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، وَظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، وَخَرَجَ سُهَيْلٌ مِنْ جِلْدِهِ جَدِيداً، فَأَلْقَىٰ ما كانَ يَحْمِلُ عَلَىٰ دِمَنِ مَكَّةَ، وَنَفْسُهُ تَعافُهُ، وَٱبْتَعَدَ عَنْهُ، وَسَارَ في رَكْبِ ٱلْمُسْلِمِينَ.

وَٱنْطَلَقَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ نَحْوَ هَوازِنَ وثَقيفَ ٱللَّتيْنِ ٱجْتَمَعَ أَفْرادُهما لِغَزْوِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَسَارَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مُسْلِمُو مَكَّةَ ٱلْجُدُدُ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيْعوا ٱلثَّبَاتَ في حُنَيْنٍ لِمُفاجَأَةِ ٱلْعَدُوِّ لَهُمْ، وَلِكَثْرَةِ عَدَدِهِ، وَلِعَجَبِهِمْ بزِيادَةِ عُدَدِهِمُ ٱلْتِي لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ شَيْئاً، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، إلاّ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ ثابُوا إِلَىٰ رُشْدِهِمْ، بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا صَوْتَ ٱلْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ يُنادِيهِمْ لِلالْتِفافِ حَوْلَ نَبِيِّهِم، فَرَجَعُوا، وَصَمَدُوا، وَٱنْتَصَرُوا على عَدُوِّهِم، وَأَخَذُوا ٱلْغَنَائِمَ ٱلْكَثِيرَةَ ٱلْكَثِيرَةَ، فَجُمِعَتْ في مِنْطَقَةِ ٱلْجِعْرَانَةِ،[1] وَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ حِصَارُ ٱلطَّائِفِ وَزَّعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ هَذِهِ ٱلغَنَائِمَ، فَأَعطَىٰ وُجَهاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْجُدُدَ، وَٱلْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ ٱلْعَدَدَ ٱلْوَفِيرَ، عَلَىٰ حِينَ تَرَكَ ٱلأَنْصَارَ دُونَ عَطاءٍ مُعْتَمِداً عَلَىٰ إيمانِهِمْ، وَكانَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أُوْلَئِكَ ٱلزُّعَماءِ ٱلَّذِينَ أَخَذَ كُلٌّ واحِدٍ مِنْهُمْ مِائَةَ بَعِيرٍ.

وَرَجَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلٰكِنَّ مُكْثَهُ لَمْ يَطُلْ فِيها، إِذْ عَادَ إِلَىٰ مَهْجَرِهِ بِٱلْمَدِينَةِ مَعَ أَصْحابِهِ ٱلْمُهَاجِرينَ

---

(١) موضع بين مكة والطائف، وقيل موضع في أول أرض العراق من ناحية البادية.

وَٱلأنْصار، وَبَقِيَ سُهَيْلٌ بمَكَّةَ ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَسَكَنَها، وَلَمْ تَمْضِ إلاّ أَشْهُرٌ قَلِيلَةٌ، حَتَّىٰ جاءَ خَبَرُ ٱنْتِقال رَسُول ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّفِيق ٱلأَعْلَـى، وَتَرَكَ مَسْؤُولِيَّةَ ٱلدَّعْوَةِ ومُهِمّة ٱلْجِهَادِ إِلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنفُسِهِمْ، يَتَصَرَّفُونَ كَما يَشاءُونَ مُعْتَمِدِينَ عَلَىٰ مَا تَرَكَهُ لَهُمْ: كِتابَ ٱللهِ وَسُنَّةَ نَبِيّه.

وَٱرْتَدَّتْ أَكْثَرُ ٱلْعَرَبِ بَعْدَ وَفاةِ رَسُول ٱللهِ ﷺ بٱسْتِثْناء مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ وَٱلطَّائِفِ، بَعْضُهُمْ مَن ٱمْتَنَعَ عَنْ دَفْعِ ٱلزَّكاةِ وَعَدَّهَا ضَريبَةً يُقَدِّمُها لِقُرَيْشٍ، وَبَعْضُهُمْ مَنْ عَدَّ ٱلإِسْلامَ دِينَ قُرَيْشٍ، وَقَدْ خَضَعَ لَهُ بٱلْقُوَّةِ أَيّامَ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ، وَعَلَيْهِمُ ٱلآنَ أَنْ يَتَحَرَّرُوا مِنْ هٰذَا ٱلْخُضُوعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ثَارَتْ عِنْدَهُمُ ٱلْعَصَبِيَّةُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ، وَأَخَـذَتْهُـمُ ٱلْحَمِيَّـةُ، فَـرَأَوْا أَنْ يَسْتَقِلُّوا بقَبَائِلِهِمْ. وَقَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ ٱلنُّبُوَّةُ، فَٱدَّعاها عَدَدٌ مِنْ زُعَمَاءِ ٱلْقَبائِلِ.

وَفي مَكَّةَ هَمَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا بٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلإِسْلامِ، وَأَرادُوا ذٰلِكَ، حَتَّىٰ خَافَهُمْ عَتّابُ بْنُ أُسَيْدٍ وَالِي رَسُول ٱللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ مَكَّةَ، فَتَوارَىٰ، فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَخَطَبَ ٱلنَّاسَ، فَقالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَفاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَزِدِ ٱلإِسْلامَ إِلاَّ

قُوَّةً، فَمَنْ رَابَنَا ضَرَبْنا عُنُقَهُ. فَتَرَاجَعَ ٱلنَّاسُ، وَكَفُّوا عَمَّا هَمُّوا. وَلَعَلَّ هٰذا ٱلْمَوْقِفَ ٱلَّذِي أَرَادَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عِنْدَما أَجَابَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: «لَعَلَّهُ يَقُومُ مَقَاماً لا تَذُمُّهُ». وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ قَرِيبَةً مِنْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيق يَوْمَذاكَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

وَنَظَرَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ مَاضِيهِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَواقِفَ ضِدَّ ٱلْإِسْلام، فَنَدِمَ عَلَىٰ مَا كان مِنْهُ، وَأَخَذَهُ ٱلْخَوْفُ ٱلشَّدِيدُ مِنَ ٱللهِ، فَقالَ: «وَٱللهِ لا أَدَعُ مَوْقِفاً وَقَفْتُهُ مَعَ ٱلْمُشْرِكِينَ إِلاَّ وَقَفْتُ مَعَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ، وَلا نَفَقَةً أَنْفَقْتُهَا مَعَ ٱلْمُشْرِكِينَ إِلاّ أَنْفَقْتُ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا، لَعَلَّ أَمْرِي أَنْ يَتْلُوَ بَعْضُهُ بَعْضاً».

وَوَقَفَ ٱلْمُهَاجِرُونَ وَٱلأَنْصَارُ عَلَىٰ باب أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، يَأْذَنُ لَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ مَنازِلِهِمْ، وَمَعَهُمْ جَماعَةٌ مِنَ ٱلطُّلَقاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَيْنَهُمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، كَأَنَّهُمْ شَعَرُوا أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرْعَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُمْ مَرْكَزَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ سُهَيْلٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَٱغْضَبُوا، دُعِيَ ٱلْقَوْمُ وَدُعِيتُمْ، فَأَسْرَعُوا وَأَبْطَأْتُمْ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِذا دُعِيتُمْ إِلَىٰ أَبْوابِ ٱلْجَنَّةِ. وَهٰكَذا فَقَدْ كان يَرَىٰ أَفْضَلِيَّةَ

ٱلسَّابِقِينَ فِي ٱلْإِسْلامِ مَهْمَا كانَ وَضْعُهُمُ ٱلاِجْتِماعِيُّ فَبِلالٌ وَصُهَيْبٌ وَعَمَّارٌ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي سُفْيانَ وَعِكْرِمَةَ وَصَفْوانَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، مَعَ أَنَّهُ كانَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَرَىٰ هٰؤُلاءِ أَدْنَىٰ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ . . . لَقَدْ خَلَعَ مِنْ نَفْسِهِ يَوْمَ أَسْلَمَ كُلَّ ما عَلِقَ فيها مِنْ آثارِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ، وَأَلْقاها بَعِيداً عَنْ فِكْرِهِ، وَعَنْ ذاتِهِ، وَعَنْ كُلِّ ما يَتَعَلَّقُ فِيهِ.

وَوَقَفَ مَرَّةً يَتَأَمَّلُ بِماذا يُكَفِّرُ عَنْ جاهِلِيَّتِهِ وَمَواقِفِهِ ٱلَّتِي سَبَقَ أَنْ وَقَفَها، وَتَداعَىٰ إِلَىٰ ذِهْنِهِ قَوْلُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ «لا هِجْرَةَ بَعْدَ ٱلْفَتْحِ، وَلٰكِنْ جِهادٌ وَنِيَّةٌ». وَلَقَدْ غَدَتْ مَكَّةُ داراً لِلإِسْلامِ، فَلِماذا ٱلْهِجْرَةُ؟ إِذَنِ ٱلجِهَادُ وَحْدَهُ وَسِيلَةُ ٱلتَّكْفِيرِ عَنِ ٱلسَّابِقَةِ، وَتَذَكَّرَ «مُقامُ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ سَاعَةً مِنْ عُمُرِهِ خَيْرٌ من عمله عمره في أَهْلِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: «فَإِنِّي أُرَابِطُ حَتَّىٰ أَمُوتَ وَلا أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَّةَ» وَبِٱلْفِعْلِ فَقَدْ سَارَ إِلَىٰ ٱلْجِهادِ، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيماً بِٱلشَّامِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ عَلَىٰ أَغْلَبِ ٱلظَّنِّ فِي طاعُونِ عَمْواسَ سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ مِنَ ٱلهِجْرَةِ.

وَٱنْطَلَقَتْ كَتَائِبُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ جِهَاتِ ٱلأَرْضِ، فَٱنْخَرَطَ فِي صُفُوفِها بَيْنَ ٱلرِّجالِ بِشَكْلٍ هَادِئٍ، وَكَأَنَّهُ لا

يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ، لا يُرِيدُ أَنْ يُعرَفَ خَجَلاً بِماضِيهِ، لا يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ؛ حَتَّىٰ يَبْلُوَ فِي القِتَالِ دُونَ ذِكْرٍ، لا يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ؛ حتَّىٰ لا يَراهُ ٱلشَّبَابُ، وَهُوَ ٱلشَّيْخُ، فَيُقَدِّمُونَهُ، لا يُرِيدُ أَنْ يُعْرَفَ، وَهُوَ رَجُلُ ٱلْقِيادَةِ، وَصَاحِبُ ٱلزَّعَامَةِ، وَأَهْلُ ٱلْوَجَاهَةِ.

كَانَ ٱلْجَيْشُ إِلَىٰ ٱلشَّامِ يَسْتَعِدُّ، وَقَدْ سَبَقَهُ سُهَيْلٌ فِي ٱلاَسْتِعْدادِ، وَوَقَفَ يَنْتَظِرُ، وَلٰكِنَّ نَفْسَهُ قَدْ سَبَقَتْهُ إِلى ٱلْمَعْرَكَةِ، وَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَرَاهُ يَتَحَفَّزُ، وَيَتَحَرَّكُ بِجِسْمِهِ كُلِّهِ، وَكَأَنَّهُ فِي أَرْضِ ٱلْمعْرَكَةِ، يُرِيدُ أَنْ يَطِيرَ إِلَى ٱلْعدُوِّ يُصَاوِلُهُ قَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ إلى ٱلْجَيْشِ، يَرْغَبُ فِي الحُصُوْلِ عَلَىٰ ٱلشَّهَادَةِ أَو ٱلشَّهَادَةُ تَرْغَبُ فِي ٱسْتِقْبَالِهِ.

يَتَقَدَّمُ ٱلْجَيْشُ بِخُطىً وَئِيدَةٍ، وَيُرِيدُ هُوَ أَنْ يَخْطُوَ خَطَوَاتٍ سَرِيعَةً، وَلٰكِنْ يُوقِفُهُ ٱلاْيمانُ بِٱلاَلْتِزَامِ، وَيَحُدُّ مِنْ سَيْرِهِ ٱلنِّظَامُ فَتَهْدأُ نَفْسُهُ، وَيَعُودُ إِلَىٰ دُنْيا حَقِيقَتِهِ جُنْدِياً مُطِيعاً.

وَيَلْتَقِي ٱلْجَيْشَانِ، جَيْشُ ٱلْكُفْرِ يَحْمِلُ وَجُوهاً صُفْراً رَأَتِ ٱلْمَوْتَ، وَقَدْ سِيقَتْ إِلَيْهِ قَسْراً، وَحُمِلَتْ إِلَىٰ ٱلْحَرْبِ قَهْراً، وَجَيْشُ ٱلاْيمانِ يَحْمِلُ وَجُوهاً مُتَوَرِّدَةً تُرِيدُ أَنْ تَسْتَقْبِلَ

ٱلْمَوْتَ؛ لِتَظْفَرَ بِٱلشَّهادَةِ، وَقَدِ ٱنْدَفَعَتْ إِلَيْهِ ٱنْدِفاعاً، أَوْ لِتَحْصَلَ عَلَىٰ ٱلنَّصْرِ، وَقَدْ جاءَتْ تَسْعَىٰ إِلَيْهِ لِتَرْفَعَ رايةَ ٱلْإِسْلامِ، وَيُريدُ سُهَيْلٌ أَنْ يُسارِعَ ٱلْعَدُوَّ، وَيَبْدَأَ بِٱلطِّعانِ، وَلٰكِنْ لا بُدَّ مِن ٱتِبّاعِ طَريقَةِ ٱلْإِسْلامِ في ٱلْحُروبِ، فَلا قِتالَ حَتَّىٰ تُعْرَضَ عَلَىٰ ٱلْأَعْداءِ عُرُوضُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهِيَ ٱلْإِسْلامُ وَعِنْدَئِذٍ يُصْبِحُ ٱلْجَميعُ إِخْوَةً في ٱللهِ، وَيَرْجِعُ ٱلْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ، وَيَدْعَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَإِمّا أَنْ يَقْبَلُوا بِدَفْعِ ٱلْجِزْيَةِ، وَعِنْدَها يَكُونُ مِنْ واجِبِ ٱلْمُسْلِمِينَ حِمايَةُ ٱلذِّمِّيِّينَ، هٰؤُلاءِ ٱلَّذِينَ أَصْبَحُوا في ذِمَّةِ ـ عَهْدِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِمّا ٱلسَّيْفَ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ . وَما يَخْتارُ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَمْرَ ٱلْأَخيرَ إِلاّ وَيَقَعَ في نَفْسِ سُهَيْلٍ ٱلْمَوْقِعَ ٱلْحَسَنَ، يُريدُ أَنْ يَبْدَأَ ٱلْقِتالَ، وَلٰكِنْ لَيْسَ هُوَ ٱلْقائِدَ، وَٱلْقِتالُ لا يَكُونُ إِلاّ بِرَأْيِ ٱلْقائِدِ وَأَوامِرِهِ، فَإِذا ما بَدَأَ ٱلْاشْتِباكُ لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ سُهَيْلٍ، فَهُوَ يَنْتَقِلُ بَيْنَ ٱلصُّفُوفِ، وَيُجالِدُ ٱلْأَبْطالَ، وَيَتَقَدَّمُ إِلَىٰ ٱلْكَتائِبِ فَتَبْتَعِدُ مِنْ أَمامِهِ ٱلرِّجالُ وَتَخافُهُ، وَهِيَ ٱلَّتِي لَمْ تَعْرِفِ ٱلْخَوْفَ، وَيَتَقَدَّمُ بَيْنَ ٱلْأَعْداءِ، وَيَخُوضُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ، لا يَرُدُّهُ إِلاّ أَمْرٌ مِنْ قائِدٍ أَوْ طَلَبٌ مِنْ أَميرٍ أَوْ إِعْلانُ ٱلْاسْتِسْلامِ وَإِنْهاءُ ٱلْقِتالِ .

وَخَاضَ سُهَيْلٌ مَعارِكَ كَثِيرَةً يَنْتَقِلُ مِنْ واحِدَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ. وفي كُلٍّ مِنْها يَبْلُو ٱلْبَلاءَ ٱلْحَسَنَ، وَيَـزِيـدُ عَمَّـا ضَحَّـىٰ في سابِقَتِها. وَيَتَمَنَّىٰ أَن يُحَصِّلَ في ٱلأُخْرَىٰ ما لَمْ يَنَلْهُ في ٱلسَّابِقَةِ شَهادَةً تُكَفِّرُ لَهُ ما قَدْ سَبَقَ أَنْ فَعَلَ في جاهِلِيَّتِهِ، فَأَمَلُهُ كَبِيرٌ، وَرَجاؤُهُ واسِعٌ. وَلٰكِنَّ خَوْفَهُ عَظِيمٌ أَلاّ يَغْفِرَ ذٰلِكَ لَهُ ما قَدْ سَلَفَ، وَإِنْ كانَ يَضَعُ نُصْبَ عَيْنَيهِ حَدِيـثَ رَسُـولِ ٱللهِ ﷺ «ٱلإِسْلامُ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ».

وَشَهِدَ ٱلْيَرْمُوكَ، وَكانَ عَلَىٰ رَأْسِ أَحَدِ ٱلْكَرادِيسِ، وَقَدْ أَبْلَىٰ ٱلْبَلاءَ ٱلْحَسَنَ، وَكانَ مِنَ ٱلَّذِينَ تَقَدَّمُوا في صُفُوفِ ٱلأَعْداءِ، يَطْلُبُونَ ٱلشَّهادَةَ، حَتَّىٰ وَرَدَتْ روايَةٌ أَنَّهُ اسْتُشْهِدَ يَوْمَذاكَ لِكَثْرَةِ ما نالَهُ مِنْ جُرُوحٍ، وما عَرَّضَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، كَما كان في ٱلْمعارِك ٱلَّتِي دارَتْ بَعْدَها، إِلَىٰ أَنْ كانَتْ سَنَةَ ثَمانِيَ عَشْرَةَ حَيْثُ ٱنْتَشَرَ طاعُونٌ عُرِفَ بِٱسْمِ طاعُونِ عَمْواسَ نِسْبَةً إِلَىٰ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّتِي ظَهَرَ فيها أَوَّلَ ما ظَهَرَ، وَهِيَ غَرْبَ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ بِقَلِيلٍ، فَماتَ فيه، كَما ماتَ ٱبْنُهُ أَبُو جَنْدَلٍ، أَمّا ٱبْنُهُ عَبْدُ ٱللهِ فَقَدْ سَبَقَهُما في ٱلشَّهادَةِ، إِذْ ظَفِرَ بِها في حُرُوبِ ٱلْمُرْتَدِّينَ يَوْمَ ٱلْيَمامَةِ، وَكانَ سَبْقُهُ في ٱلشَّهادَةِ كَسَبْقِهِ لَهُما في ٱلإِسْلامِ.

هٰذِهِ ساحاتُ جهادِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو في ٱلْمعَارِكِ، أَمَّا في جانِبِ ٱلْعِلْم ؛ فَقَدْ حَرَصَ أَنْ يَتَفَقَّهَ، وَحَرَصَ عَلَىٰ ٱلصِّيَامِ وَٱلْقِيامِ ، إِذْ بَقِيَ حَدِيثُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ماثِلاً أَمامَهُ « خِيارُهُمْ في ٱلْجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ في ٱلإِسْلامِ إذا فَقِهُوا » . فَقَدْ صامَ وَقامَ حَتَّىٰ شَحَبَ لَوْنُهُ، وَيَقُولُ ٱبْنُ كَثِيرٍ « كانَ سَمْحاً جَوَاداً فَصِيحاً كَثِيرَ ٱلصَّلاةِ وَٱلصَّوْمِ وَٱلصَّدَقَةِ وَقِراءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلْبُكاءِ » . رَضِيَ ٱللهُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ؛ فَقَدْ ماتَ وَهُوَ بَيْنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجاءِ .



بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

-٧-

سَعْدُ بنُ معاذ

رَضِيَ اللهُ عَنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِه وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ دَرْبِهِ وَبَعْدُ: فَلَيْسَتِ ٱلسَّعَادَةُ في ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَجْمَعَ ٱلإِنْسَانُ ٱلْمَالَ، وَيَمْلِكَ ٱلْمَتَاعَ، وَيَتَحَرَّكَ في سَبيل ذٰلِكَ فَقَطْ، إِنَّمَا ٱلسَّعَادَةُ في رَاحَةِ ٱلنَّفْسِ وَهُدُوءِ ٱلْبَال وَلا يَتِمُّ هٰذا إلاَّ بإِرْضَاءِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالَىٰ.

لَيسَ مِنَ ٱلْمَال وَٱلْمَتَاعِ وَٱلشَّهْوَةِ إلاَّ مَتَاعٌ لِلْجَسَدِ، وَهُوَ شَيْءٌ زَائِلٌ فَانٍ، وَلَيْسَ ٱلإِنْسَانُ مادَّةً فَحَسْبُ وَإِنَّما رُوحٌ إِلَىٰ جَانِب تِلْكَ ٱلْمادَّةِ، وَإِذا كَانَتِ ٱلْمادَّةُ فيه تَجدُ لَذَّتَها في هذِهِ ٱلدُّنْيَا بما فيها مِنْ مُغْريات، فَإِنَّ ٱلرُّوحَ لا تَجدُ رَاحَتَهَا في ٱلدُّنْيَا إلاَّ إذا ٱسْتَطَاعَ صَاحِبُهَا تَحْقِيقَ ٱلْمَنْهَج ٱلَّذِي يَدْعُو لَهُ، وَهٰذا ٱلتَّحْقِيقُ لا يَتِمُّ إلاّ بِٱلْعَمَلِ ٱلدَّائِبِ وَٱلْحَرَكَةِ ٱلْمُسْتَمِرَّةِ.

إنَّ ٱلسَّعَادَةَ ٱلصَّحيحَةَ هِيَ ٱلَّتِي تُؤَمِّنُ حَاجَاتِ ٱلْجِسْمِ كَامِلَةً بما فيهِ مِنْ رُوحٍ وَمادَّةٍ، وحَرَكَةُ ٱلإِنْسان يَجبُ أَنْ تَسِيرَ في هٰذا ٱلاتِّجاهِ، تُؤَمِّنُ حَاجَاتِ ٱلإِنْسانِ ٱلْمَادِّيَّةَ، وَتَسْعَى

لِتَحْقِيقِ ٱلْمَبْدَأِ ٱلْذِي يُؤْمِنُ بِهِ وَٱلْعَقِيدَةِ ٱلَّتِي يَعْتَقِدُها، وَلَمْ تَكُنْ حَرَكَةُ صَحَابَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إلاّ في هٰذا ٱلْخَطِّ.

صَحَابَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أُسْوَةٌ لَنَا، فَحَرَكَتُنَا يَجبُ أَنْ تُوازِيَ حَرَكَتَهُمْ، وَتَسِيرَ مَعَهَا، حَتَّىٰ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَصِلَ إِلَىٰ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مَجْدٍ وَرِفْعَةٍ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا، وَفَوْزٍ فِي ٱلآخِرَةِ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمٰواتُ وَٱلأَرْضُ.

وَدِرَاسَةُ حَيَاتِهِمْ رِضْوانُ ٱللهِ عَلَيْهِمْ إِنَّما هِيَ لِنَأْخُذَ مِنْهَا ٱلدُّرُوسَ، وَنَسْلُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي ٱتَّبَعُوهُ، وَلَعَلَّ فِي دِرَاسَةِ سَيِّدِ ٱلأَنصَارِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ما يُؤَمِّنُ هٰذا ٱلْجَانِبَ، فَنَرْجُو أَنْ يُوَفِّقَنَا ٱللهُ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَاقِعِ حَيَاةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْفَذِّ.

هٰذا.. وَلَيْسَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْعُظَمَاءِ ٱلْمَجْهُولِينَ وَلٰكِنَّ حَيَاتَهُ فِي ٱلإِسْلامِ كَانَتْ قَصِيرَةً بِحَيْثُ لَمْ تَزِدْ عَلَىٰ ٱلسَّنَواتِ ٱلسِّتِّ، لِذَا فَإِنَّ ذِكْرَهُ كانَ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ ٱلصَّحَابَةِ ٱلَّذِين عَمَّرُوا فِي ٱلإِسْلاَمِ، فَخَاضُوا ٱلْمَعَارِكَ، وَقَادُوا ٱلْفُتُوحَ، وَلَوْ عَاشَ طَوِيلاً فَلَرُبَّمَا كانَ لَهُ أَثَرٌ أَكْبَرُ، إِذْ يُعَدُّ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ كَأَبِي بَكْرٍ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ.

وَٱللهَ وَحْدَهُ نَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنَا ٱلصَّوَابَ، وَيُجَنِّبَنَا ٱلْعَثَرَاتِ، وَيُسَدِّدَ خُطَانَا عَلَىٰ ٱلطَّرِيقِ ٱلصَّحِيحِ.

هِجْرَةُ القَبَائِلِ اليَمَنِيَّةِ

كَانَتِ ٱلأَحْوَالُ ٱلْمُنَاخِيَّةُ في ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ غَيرَ ٱلَّتِي هِيَ عَلَيْهِ ٱلآنَ، فَقَدْ كَانَتِ ٱلأَمْطَارُ أَكْثَرَ غَزَارَةً، وَٱلْجَوُّ أَكْثَرَ رُطُوبَةً، فَٱشْتَغَلَ أَبْنَاءُ ٱلْمَنَاطِقِ ٱلْمُمْطِرَةِ كَٱلْيَمَنِ بِٱلزِّرَاعَةِ، وَٱنْطَلَقُوا يَبْنُونَ ٱلسُّدُودَ في سَبِيلِ حِفْظِ مَاءِ ٱلْمَطَرِ أَثْنَاءَ ٱلتَّهْطَالِ إِلَىٰ أَوْقَاتِ ٱلشُّحِّ وَٱلْجَفَافِ وَٱلاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ في ٱلرَّيِّ وَسَقْيِ ٱلْمَزْرُوعَاتِ، وَلَعَلَّ أَكْبَرَ هٰذِهِ ٱلسُّدُودِ وَأَشْهَرَهَا ٱلسَّدُّ ٱلَّذِي بُنِيَ عَلَىٰ وَادِي (مزاب) ٱلْيَمَنِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلَّذِي يَصُبُّ فِيهِ عَدَدٌ مِنَ ٱلأَوْدِيَةِ، وَيَسْقِي أَرْضَ ٱلْجَنَّتَيْنِ وَٱلَّذِي يُعْرَفُ بِٱسْمِ سَدِّ (مَأْرِبِ) وَقَدْ وَصَفَهُ يَاقُوتُ ٱلْحَمَوِيُّ بِقَوْلِهِ «هُوَ بَيْنَ ثَلاثَةِ جِبَالٍ، يَصُبُّ مَاءَ ٱلسَّيْلِ إِلَىٰ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ لِذٰلِكَ ٱلْمَاءِ مَخْرَجٌ إِلاَّ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، فَكَانَ ٱلأَوَائِلُ قَدْ سَدُّوا ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعَ بِٱلْحِجَارَةِ ٱلصُّلْبَةِ وَٱلرَّصَاصِ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ عُيُونٍ هُنَاكَ مَعَ مَا يَجْتَمِعُ مِنْ مِيَاهِ ٱلسُّيُولِ، فَيَصِيرُ خَلْفَ ٱلسَّدِّ كَٱلْبَحْرِ، فَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا سَقْيَ زُرُوعِهِمْ فَتَحُوا مِنْ ذٰلِكَ ٱلسَّدِّ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ بِأَبْوَابٍ مُحْكَمَةٍ وَحَرَكَاتٍ مُهَنْدَسَةٍ، فَيَسْقُونَ حَسْبَ حَاجَتِهِمْ، ثُمَّ يَسُدُّونَهُ إِذَا أَرَادُوا».

وَمَعَ ٱلزَّمَن بَدَأَ ٱلْمُنَاخُ يَمِيلُ بِالتَّدَرُّج نَحْوَ ٱلْجَفَافِ، وَبَدَأَتِ ٱلْحَاجَةُ إِلَىٰ ٱلْمِيَاهِ تَزْدَادُ، وَلٰكِنَّ هٰذِهِ ٱلسُّدُودَ بَدَأَتْ تَتَدَاعَىٰ لإِهْمَالِهَا وَعَدَم تَقْدِير أَهْلِهَا لِلنِّعَم ٱلَّتِي هُمْ فِيهَا، وَغَدَا سَدُّ (مَأْرِب) ٱلَّذِي يَحْفَظُ خَلْفَهُ كَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةً يُنْذِرُ بِٱلْخَطَر، فَبَدَأَتِ ٱلْقَبَائِلُ تَتْرُكُ مَوَاطِنَهَا لِتَسْتَقِرَّ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَىٰ، خَوْفاً مِنْ طُوفَانٍ مُرْتَقَبٍ، وَطُغْيَانٍ لِلْمَاءِ مُنْتَظَرٍ، وَعِنْدَمَا تَهَدَّمَ ٱلسَّدُّ ٱنْطَلَقَتْ بَقِيَّةُ ٱلْقَبَائِلِ تَتَنَقَّلُ فِي بِلاَدِ ٱلْيَمَن، وَتُرْسِلُ ٱلرُّوَّادَ لاِخْتِيَار مَنَازِلَ جَدِيدَةٍ لَهَا، ثُمَّ سَارُوا بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَىٰ ٱلشمَال. (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَان عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ).[1]

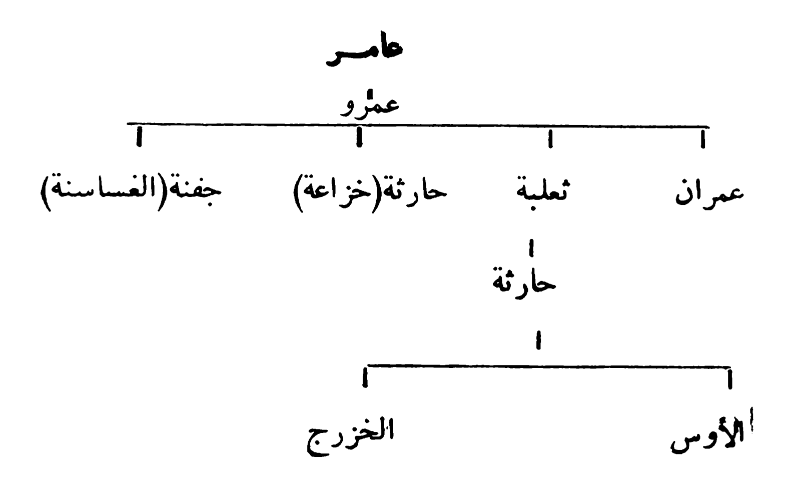
كَانَتِ ٱلْهِجْرَةُ بِرَأْيِ سَيِّدِ وَلَدِ ٱلأَزْدِ مِنْ كَهْلاَنَ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ، فَخَرَجَ هُوَ وَإِخْوَتُهُ وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ مِنْ وَلَدِ ٱلأَزْدِ، ثُمَّ تَوَزَّعُوا فِي ٱلْجَزِيرَةِ، فَعَطَفَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمرِو نَحْوَ ٱلحِجَازِ، وَأَقَامَ بَيْنَ ٱلثَّعْلَبِيَّةِ وَذِي قَارٍ، يَتَتَبَّعُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ مَوَاقِعَ ٱلْقَطْرِ، وَلَمَّا كَبِرَ وَلَدُهُ، وَقَوِيَ رُكْنُهُ، سَارَ نَحْوَ يَثْرِبَ، وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْيَهُودِ

(١) سبأ الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

مُتَفَرِّقُونَ في نَواحِيهَا، فَٱسْتَوْطَنُوهَا، وَأَقَامُوا بِهَا، وَغَلَبُوا أَهْلَهَا، وَمِنْ أَبْنَاءِ ثَعْلَبَةَ هٰذَا حَارِثَةُ أَبُو ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ.

نَزَلَتْ خُزَاعَةُ قُرْبَ مَكَّةَ، وَخُزَاعَةُ هُوَ حَارِثَةُ بْنُ عَمرٍو. وَٱتَّجَهَتْ قَبَائِلُ ٱلأَزْدِ نَحْوَ عُمَانَ، وَأَقَامَتْ بِهَا، وَرَئِيسُهَا عِمْرَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَسَارَ جَفْنَةُ بْنُ عَمْرٍو إِلَىٰ ٱلشَّامِ، وَهُوَ أَبُو ٱلْغَسَاسِنَةِ.

وَسَارَتْ قَبِيلَةُ لَخْمِ بْنِ عَدِيٍّ إِلَىٰ أَطْرَافِ ٱلعِرَاقِ، وَٱسْتَقَرَّتْ قُرْبَ ٱلْحِيرَةِ. وَنَزَلَتْ بَعْضُ أزدِ سَرَاةَ العسيرِ. أَمَّا طَيْءٌ فَقَدْ نَزَلَتْ شِمَالَ شَرْقِيِّ يَثْرِبَ.



ٱليَهـودُ في يَـثْرِب

سَكَنَ ٱلْيَهُودُ يَثْرِبَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ ، وَقَدْ وَصَلُوا إِلَيْهَا في عِدَّةِ أَوْقَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ يَرْجِعُ أَوَّلُهَا إِلَىٰ حَوَالَيْ ١٢٠٠ ق. م أَيَّامَ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ ٱللهِ مُوسَىٰ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ مِصْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْماً جَبَّارِينَ مِنَ ٱلْعَمَالِقَةِ في مِنْطَقَةِ يَثْرِبَ قَدْ بَغَوْا في ٱلأَرْضِ ، وَسَامُوا ٱلنَّاسَ سُوءَ ٱلْعَذَابِ، فَجَرَّدَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً عَسْكَرِيَّةً مِنْ قَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَ قَائِدَ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةِ أَنْ يَسْتَأْصِلَ شَأْفَةَ هٰؤُلاَءِ ٱلْعَمَالِقَةِ، وَلاَ يُبْقِي عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَقَدْ وَصَلَتْ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةُ إِلَىٰ يَثْرِبَ، وَأَبَادَتِ ٱلْعَمَالِقَةَ إِلاَّ وَاحِداً مِنْهُمْ عَادَتْ بِهِ مَعَهَا، وَعِنْدَ وُصُولِهَا إِلَىٰ بِلاَدِ ٱلشَّامِ وَجَدَتْ أَنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ قَدْ تُوُفِّيَ، وَقَدْ مَنَعَ زُعَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَىٰ جُنُودَ هٰذِهِ ٱلْحَمْلَةِ مِنَ ٱلْبَقَاءِ بَيْنَهُمْ لِمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ مُوسَىٰ بِإِبْقَاءِ أَحَدِ ٱلْعَمَالِقَةِ، وَقَالُوا لَهُمْ وَٱللهِ لاَ تَدْخُلُنَّ عَلَيْنَا ٱلشَّامَ أَبَداً .

تَشَاوَرَ قَادَةُ ٱلْجَيْشِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنِ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يُقِيمُونَ فِيهِ، وَأَخِيراً ٱسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ أَنْ يَعُودُوا بِكَامِلِ جَيْشِهِمْ

إِلَىٰ يَثْرِبَ ، فَرَجَعُواْ ، وَٱسْتَقَرُّواْ هُنَاكَ .

أَمَّا ٱلْوَقْتُ ٱلثَّانِي ٱلَّذِي نَزَحَ فِيهِ ٱلْيَهُودُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَيَعُودُ إِلَىٰ ٱلْمُدَّةِ ٱلْواقِعَةِ بَيْنَ عَامِ ٧٠ وَ ١٣٢ م حَيْثُ ٱسْتَوَلَىٰ ٱلرُّومُ عَلَىٰ بلاَدِ ٱلشَّامِ عَامَ ٦٤ ق. م. وَفَتَكُواْ بِٱلْيَهُودِ، وَنَكَّلُوا بِهِمْ، فَٱضْطُرَّ هٰؤُلاَءِ ٱلْيَهُودُ إِلَىٰ ٱلْفِـرَارِ بِـأَنْفُسِهِـمْ، وَٱلتَّفَرُّق فِي أَنْحَاءٍ آمِنَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ مَجَال ٱلرُّومِ ، وَكَانَ بَنُو ٱلنَّضِيرِ وَبَنُو قُرَيْظَةَ مِمَّنْ خَرَجَ وَٱتَّجَهَ نَحْوَ يَثْرِبَ آنَذَاكَ .

أَصْبَحَتْ يَثْرِبُ تَحْتَ زَعَامَـةِ ٱلْيَهُـودِ مُـدَّةً طَـوِيلَـةً مِنَ ٱلزَّمَنِ ، وَكَانَ يَعيشُ بِجَانِبِهِمْ قَبَائِلُ عَرَبِيَّةٌ مِثْلُ بَنِي ٱلْحِرْمانِ وَبَنِي مَرْثَدٍ وَبَنِي بُكيٍ وَغَيْرِهَا ، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِهٰذِهِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ كَبِيرُ وُجُودٍ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ مَنْعَ ٱلْيَهُودِ مِنَ ٱلتَّحَكُّمِ فِي ٱلْمَدِينَةِ أَوْ مَنْعَ دُخُول نُزَلاَءَ جُـدُدٍ إِلَيْهَـا . بَقِـيَ ٱلْيَهُـودُ فِي سَيْطَرَتِهِمْ هٰذِهِ حَتَّىٰ أَخَذَتْها مِنْهُمْ قَبَائِلُ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ .

ٱلأوْسُ وَالخَـزْرَجُ

نَزَلَ ٱلأوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ ٱبْنَا حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَثْرِبَ، وَلٰكِنَّهُمْ ظَلُّوا ضُعَفَاءَ أَمَامَ سَيْطَرَةِ ٱلْيَهُودِ وَتَمَاسُكِهِمْ، فَعَاشُوا فِي ضِيقٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ، بَيْنَمَا كَانَ ٱلْيَهُودُ يَتَمَتَّعُونَ بِسُلْطَانِ ٱلْمُلْكِ، وَٱلثَّرْوَةُ كُلُّهَا بِأَيْدِيهِمْ.

فَكَّرَ ٱلأوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ فِي ٱلاِسْتِعَانَةِ بِإِخْوَانِهِمُ ٱلْغَسَاسِنَةِ مِنْ مُلُوكِ ٱلشَّامِ، فَأَرْسَلُوا أَحَدَ زُعَمَائِهِمْ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْعَجْلاَنِ لِيَطْلُبَ ٱلْعَوْنَ ٱلْعَسْكَرِيَّ مِنْهُمْ ضِدَّ ٱلْيَهُودِ، فَحَصَلَ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ، وَسَارَ ٱلْمَلِكُ ٱلْغَسَّانِيُّ بِجَيْشِهِ لِنَجْدَةِ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ فِي يَثْرِبَ، وَهُنَاكَ أَوْقَعَ بِـٱلْيَهُودِ وَأَذَلَّهُمْ، وَصَارَ ٱلأوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ أَنْدَاداً لِلْيَهُودِ يُصَاوِلُونَهُمْ وَيُجَاوِلُونَهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا لاَ يَجْرُؤُونَ عَلَىٰ ٱلتَّعَرُّضِ لَهُمْ، وَمَعَ هٰذَا بَقِيَ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلتَّمَاسُكِ، وَلِهٰذَا دَامَتِ ٱلْحَرْبُ بَيْنَ ٱلْفَرِيقَيْنِ زَمَناً غَيْرَ قَصِيرٍ.

دَبَّرَ ٱلأوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ مَكِيدَةً لِلْيَهُودِ، أَفْنَوْا فِيهَا عَدَداً كَبِيراً مِنْهُمْ مِمَّا أَضْعَفَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا بَعْدَهَا ٱلْوُقُوفَ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ فِي يَثْرِبَ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ قَبِلُوا ٱلاِنْدِمَاجَ

مَعهُمْ بِٱلتَّحَالُفِ، فَتَحَالَفَ بَنُو قُرَيْظَةَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ ٱلأَوْسِ. وَتَحَالَفَ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو ٱلنَّضِيرِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مَعَ ٱلْخَزْرَجِ. وَهٰذَا مَا ضَمِنَ لَهُمُ ٱلْبَقَاءَ فِي يَثْرِبَ.

مَعَ هٰذَا ٱلذُّلِّ ٱلَّذِي أَصَابَ ٱلْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ ظَلُّوا ذَوِي مَرْكَزٍ مَالِيٍ كَبِيرٍ وَنُفُوذٍ ٱقْتِصَادِيٍّ ضَخْمٍ حَيْثُ يَعْمَلُونَ بِٱلرِّبَا وَٱلْمتَاجَرَةِ بِٱلْخَمْرِ وَٱلسِّلاَحِ وَإِذْكَاءِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ لاِنْهَاكِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ وَٱسْتِعَادَةِ سَيْطَرَتِهِمْ.

وَمَا أن ٱنْتَهَتْ قُوَّةُ ٱلْيَهُودِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ ٱلأوْسِ وَٱلخَزْرَجِ، حَتَّىٰ نَزَغَ ٱلشَّيْطَانُ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ، وَبَدَا قَرْنُ ٱلْعَصَبِيَّةِ، وَٱبْتَدَأَتِ ٱلْحُرُوبُ بَيْنَهُمَا، وَتَمَكَّنَتِ ٱلْعَدَاوَةُ، وَتَأَصَّلَتِ ٱلْكَرَاهَةُ.

وَهٰكَذَا كَانَتِ ٱلْجَاهِلِيَّةُ تَحْكُمُ يَثْرِبَ، تُحَرِّكُهَا ٱلْعَصَبِيَّةُ، وَتَدْفَعُهَا ٱلْيَهُودِيَّةُ ٱلَّتِي لاَ تَعِيشُ إلاَّ عَلَىٰ ٱلْحُرُوبِ وَسَفْكِ ٱلدِّمَاءِ وَإِثَارَةِ ٱلْبَغْضَاءِ، وَتَشْجِيعِ أَقْوَامٍ عَلَىٰ آخَرِينَ، وَلاَ يَعْرِفُ ٱلْيَهُودُ ٱلسَّعَادَةَ إلاَّ عِنْدَمَا يَرَوْنَ دِمَاءَ غَيْرِهِمْ تُرَاقُ، وَتَتِمُّ ٱلسَّعَادَةُ أَكْثَرَ إنْ كَانُوا هُمْ سَبَبَ ٱلْفِتْنَةِ وَإِذْكَاءِ نَارِ ٱلْحَرْبِ.

وَكَانَتْ عِبَادَةُ ٱلأَوْثَانِ هِيَ ٱلْمَعْرُوفَةَ بَيْنَ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَتْ (مَنَاةُ) صَنَماً تُعَظِّمُهُ ٱلأَوْسُ وَٱلْخَزْرَجُ، وَكَانَ مَنْصُوباً

عَلَىٰ ٱلْبَحْرِ بنَاحِيَةِ المشلل[1] بقُدَيْدٍ بَيْنَ مكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ، وَتُذْبَحُ عِنْدَهُ ٱلْقَرَابِينُ إِضَافَةً إِلَىٰ تعْظِيمِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱلأُخْرَىٰ لَهُ .

وَتَعَدَّدَتِ ٱلأَيَّامُ وَٱلْحُرُوبُ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ وَكَانَ أَكْثَرُهَا لِصَالحِ ٱلْخَزْرَجِ حَيْثُ هُمْ أَكْثَرُ عَدَداً، وَهٰذَا مَا جَعَلَ ٱلأَوْسَ يُفَكِّرُونَ في إِيجَادِ حُلَفَاءَ لَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ بمُسَاعَدَتِهِمْ إِحْرَازَ ٱلنَّصْرِ عَلَىٰ خُصُومِهِمْ مِنَ ٱلْخزْرَجِ ، فَإِنَّ حَرْباً جَدِيدَةً مُحْتَمَلَةَ ٱلْوُقُوعِ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ، بَعْدَ تَهْدِيدِ ٱلْخَزْرَجِ لِبَنِي قُرَيْظَةَ حُلَفَاءِ ٱلأَوْسِ بقَتْلِ رَهَائِنِهِمْ إِنْ لَمْ يُخْلُوا لَهُمْ دِيَارَهُمْ لِيَسْكُنُوهَا[2] ، وَكَانَ عَلَىٰ ٱلْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَنْ يَنْزِلُوا عِنْدَ طَلَبِ ٱلْخَزْرَجِ لَوْلا أَنْ مَنَعَهُمْ حُلَفاؤُهُمْ مِنَ ٱلأَوْسِ ، وَنَزَلَ بَعْضُ رِجَالِهِمْ مَعَهُمْ في حُصُونِهِمْ، يُدَافِعُونَ عَنْهَا ضِدَّ ٱعْتِدَاءِ ٱلْخَزْرَجِ .

ٱتَّجَهَتْ أَنْظَارُ ٱلأَوْسِ إِلَىٰ قُرَيْشٍ في مَكَّةَ لِتَكُونَ حَلِيفَةً لَهُمْ، وَأَرْسَلَوا وَفْداً إِلَيْهَا برِئَاسَةِ أَبِي ٱلْحَيْسَرِ أَنَس بْنِ رَافِعٍ ، وَيَضُمُّ إِيَاسَ بْنَ مُعَاذٍ أَخَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ[3] .

(١) المشلل: جبل هناك يشرف على البحر.

(٢) كانت منازل الخزرج غير ملائمة صحياً، وفيها سباخ، بينما كانت منازل بني قريظة أفضل مناخاً، وأعذب ماء.

(٣) لم يتم الحلف مع قريش. وبعد انصراف الوفد من مكة نشبت حرب (بُعاث).

نَشِبَتْ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ ٱلْمُتَنَازِعَيْنِ فِي يَثْرِبَ مَعْرَكَةُ (بُعَاثٍ) وَكَانَ ٱلنَّصْرُ فِيهَا لِلأَوْسِ عَلَى ٱلْخَزْرَجِ ، وَٱلَّتِي كَادَ ٱلأَوْسُ فِيهَا يَسْتَأْصِلُونَ شَأْفَةَ إِخْوَانِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ ، وَيَهْدِمُونَ دُورَهُمْ، لَوْلاَ أَبُو قَيْسِ بْنُ ٱلأَسْلَتِ أَحَدُ قَادَةِ ٱلأَوْسِ ٱلَّذِي مَنَعَ قَوْمَهُ مِنْ عَمَلِيَّةِ ٱلإِبَادَةِ ٱلَّتِي ٱعْتَزَمُوا ٱلْقِيَامَ بِهَا ضِدَّ إِخْوَانِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ بَعْدَ أَنْ هُزِمُوا فِي تِلْكَ ٱلْمَعْرَكَةِ .

ٱلبعثة ٱلمحمدية

بَعَثَ ٱللهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ ٱللهِ في مَكَّةَ رَسُولاً لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَخَاتَماً لِلنَّبِيِّينَ، بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ.

صَدَعَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِٱلدَّعْوَةِ، وَحَمَلَ ٱلأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ ٱلْقَلِيلُ، وَأَنْكَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَوَقَفَتْ في وَجْهِهِ، وَصَدَّتْ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ خَوْفاً عَلَىٰ زَعَامَتِهَا وَمَصَالِحِهَا وَتَمَسُّكاً بِوَثَنِيَّتِهَا وَدِفَاعاً عَنْ أَصْنَامِهَا وَآلِهَتِهَا، وَوَضَعَتْ كُلَّ ٱلْعَرَاقِيلِ حَتَّىٰ تَحُولَ دُونَ ٱنْتِشَارِ ٱلإِسْلاَمِ، فَآذَتِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِأَجْسَامِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَٱضْطَهَدَتْهُمْ، وَقَاطَعَتْهُمْ، وَحَاصَرَتْهُمْ، وَلَمْ يَنْجُ صَاحِبُ ٱلدَّعْوَةِ ﷺ مِنْ هٰذا، فَقَدْ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ مِنْ أَذَىً كَثِيرٍ وَٱضْطِهَادٍ كَبِيرٍ.

كَانَ مُحَمَّدٌ - ﷺ - يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ ٱلْقَبَائِلِ في كُلِّ مَوْسِمٍ، يَدْعُوهَا لِلإِسْلاَمِ، وَيُوَضِّحُ لَهَا ٱلطَّرِيقَ، وَهِيَ تُعْرِضُ عَنْهُ وَتَنْأَىٰ مُتَأَثِّرَةً بِجَاهِلِيَّتِهَا وَوَثَنِيَّتِهَا، أَوْ يَسْتَجِيبُ لَهُ أَفْرَادٌ

مِمَّنْ كُتِبَ لَهُ ٱلْخَيْرُ وَٱلسَّعَادَةُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَسْتَقْبِلُ هٰذِهِ ٱلْقَبَائِلَ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، تَتَّصِلُ مَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، تُحَذِّرُهَا مِنْهُ، وَتُخَوِّفُهَا مِنْ دَعْوَتِهِ، وَتَنْشُرُ ٱلدِّعَايَةَ ٱلْكَاذِبَةَ ضِدَّهُ، وَتَتَقَوَّلُ عَلَيْهِ ٱلأَقَاوِيلَ، وَتَرْصُدُ حَرَكَاتِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْقَادِمَةِ إِلَىٰ ٱلْحَجِّ أَيْضاً حَذَراً مِنْ كُلِّ ٱحْتِمَالٍ.

ٱلْتَقَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي ٱلْمَوْسِمِ ٱلَّذِي كَانَ بَعْدَ حَرْبِ بُعَاثٍ بِجَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ حَضَرُوا ٱلْمَوْسِمَ، فَدَعَاهُمْ لِلإِسْلاَمِ، وَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا كَانُوا يَسْمَعُونَهُ وَهُمْ فِي يَثْرِبَ مِنْ يَهُودِهَا عَنْ بِعْثَةِ نَبِيٍّ قَرُبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ ٱلَّذِي تُوعِدُكُمْ بِهِ ٱلْيَهُودُ، فَلاَ يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلإِسْلاَمِ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلاَ قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَنَا ٱللهُ بِكَ فَسَنُقْدِمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ لأَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هٰذَا ٱلدِّينِ، فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ ٱللهُ عَلَيْكَ فَلاَ رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ، ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ (١)، فَلَمَّا قَدِمُوا يَثْرِبَ

(١) منهم أسعد بن زرارة.

ٱتَّجَهُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ ٱلْإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ ٱلْأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ ٱللهِ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلْمُوْسِمُ ٱلثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلاً (١) وَٱلْتَقَوْا بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلْأُولَىٰ وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ يَثْرِبَ، أَرْسَلَ مَعَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ.

---

(١) منهم أسعد بن زرارة وعبادة بن الصامت.

إسلام سعد

بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ[1] إِلَىٰ يَثْرِبَ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ ٱلْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمُ ٱلْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي ٱلدِّينِ ، فَكَانَ يُسَمَّىٰ ٱلْمُقْرِئَ ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ عَلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ[2] أَبِي أُمَامَةَ .

وَخَرَجَ أَسْعَدُ مَرَّةً بِمُصْعَبٍ يُرِيدُ دَارَ بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ[3] ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطاً مِنْ حَوَائِطِ دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، فَجَلَسَا ، وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي ٱلْأَشْهَلِ ، وَكِلَاهُمَا عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم . من جلة الصحابة وفضلائهم ويكنى أبا عبد الله ، هاجر إلى الحبشة وبعثه الرسول ﷺ إلى يثرب ليعلم المسلمين فيها ، وكان يحمل راية المسلمين في بدر وأحد واستشهد يوم أحد رضي الله عنه .

(٢) أسعد بن زرارة من الانصار، من الخزرج، شهد بيعة العقبة، وكان نقيب بني النجار، وكان أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة، مات قبل بدر .

(٣) ظفر: هو كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس، وظفر هو عم عبد الأشهل .

لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لاَ أَبَا لَكَ، ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَٱزْجُرْهُمَا وَٱنْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلاَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتُ، كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ، هُوَ ٱبْنُ خَالَتِي، وَلاَ أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَماً، فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ ابْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ ٱعْتَزِلاَنَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِٱلْإِسْلاَمِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، فَقَالاَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَٱللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ تَدْخُلُوا فِي هٰذَا ٱلدِّينِ؟ قَالاَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنْ ٱتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ. وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا ٱلْآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَٱنْصَرَفَ إِلَىٰ سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً، قَالَ: أَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ

ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ ٱلنَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَلَّمْتُ ٱلرَّجُلَيْنِ، فَوَٱللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَىٰ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ.

وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ٱبْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ ٱلْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَٱللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَٱللهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هٰذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ، وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ! جَاءَكَ وَٱللهِ سَيِّدٌ، مِنْ وَرَائِهِ قَوْمُهُ، وَإِنْ يَتْبَعْكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ. فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ. وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلْإِسْلاَمَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، قَالاَ: فَعَرَفْنَا وَٱللهِ فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ

أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ في هٰذَا ٱلدّيِنِ قَالاَ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أخذ حربته ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَىٰ نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يا بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا ، وَأَوْصَلُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْياً ، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ، كَلاَمَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ. فَمَا أَمْسَىٰ في دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلاَ ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱنْتَقَلَ مُصْعَبُ ابْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ بَيْتِهِ ٱلَّذِي أَصْبَحَ ٱلْمَرْكَزَ ٱلإِسْلاَمِيَّ في ٱلْمَدِينَةِ وَقَدْ بَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدَا ٱلأَوْسِ يَوْمَئِذٍ، يَكْسِرَانِ أَصْنَامَ قَبِيلَتِهِمَا.

أَسْلَمَ سَعْدٌ وَعُمُرُهُ ثَلاَثُونَ عَاماً، وَتَرَكَ دَفْعَةً وَاحِدَةً مَاضِيَهُ ٱلْجَاهِلِيَّ وَٱنْتَقَلَ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ دَفْعَةً وَاحِدَةً بِكُلِّ جَوَارِحِهِ وَكَأَنَّهُ وُلِدَ يَوْمَذَاكَ، وَمَا عُرِفَ عَنْهُ في حَيَاتِهِ ٱلْبَاقِيَةِ أَنْ مَرَّتْ عَلَيْهِ لَحْظَةٌ فِيهَا جَاهِلِيَّةٌ أَوْ رَوَاسِبُ مِنْهَا.

وَهٰكَذا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ إِنْ صَدَقَ مَعَ ٱللهِ وَأَخْلَصَ أَنْ يَفْعَلَ مَا لاَ يَفعَلُهُ عَدَدٌ كَبيرٌ، وَٱلإِنْسَانُ ٱلْمُخْلِصُ هُوَ ٱلَّذِي يَتَمَثَّلُ فِكْرَتَهُ تَمَثُّلاً صَحِيحاً، فَقَدِ ٱسْتَطَاعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أَنْ يُؤَثِّرَ في أَهْلِ يَثْرِبَ جَمِيعاً، وَٱسْتَطَاعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ يَنْقُلَ قَبِيلَةً كَامِلَةً مِنْ ظَلامِ ٱلْجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ ٱلإِسْلاَمِ لِمَا عُرِفَ عَنْهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلأَمَانَةِ وَسَدَادِ ٱلرَّأْيِ وَهٰذَا مَا يَجِبُ أَنْ يَتَوَفَّرَ في ٱلدَّاعِيَةِ.

وَفي ٱلْمَوْسِمِ ٱلثَّانِي رَجَعَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ ٱلأَنْصَارِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ ٱلْمَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ ٱلشِّرْكِ، حَتَّىٰ قَدِمُوا مَكَّةَ، فَوَاعَدُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ٱلْعَقَبَةَ، دُونَ عِلْمِ قَوْمِهِمْ ٱلْجَاهِلِيّينَ، فَبَايَعُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلثَّانِيَةِ(١)، وَكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلاَثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلاً وَٱمْرَأَتَيْنِ، فَٱخْتَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنْهُمْ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً(٢) وَعَادَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ إِلَىٰ بَلَدِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَ

---

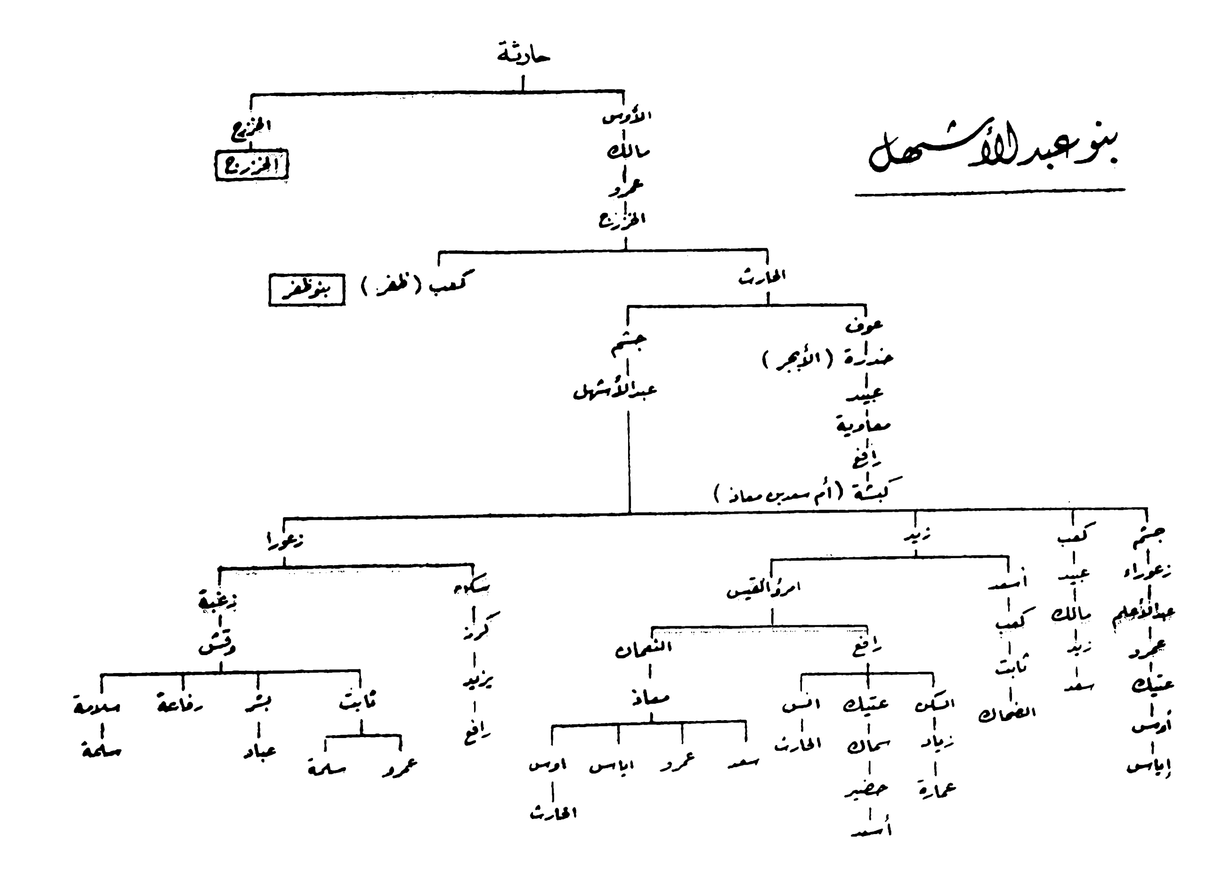
(١) حضر بيعة العقبة الثانية: العباس بن عبد المطلب ليستوثق لابن أخيه محمد ﷺ ولم يكن العباس قد اسلم بعد، وإنما كان على دين آبائه.

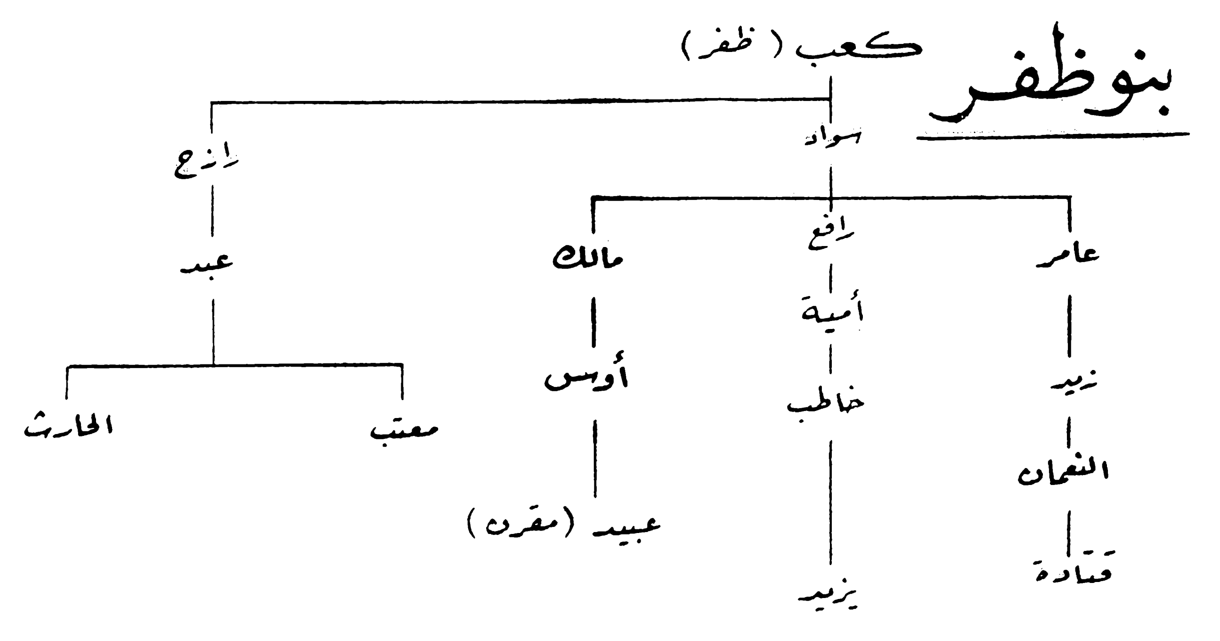
(٢) منهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، وعبادة ابن الصامت من الخزرج.

ومنهم: أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة من الأوس.

ٱلْخَبَرُ قُرَيْشاً، فَلَحِقُوا بهِمْ، وَأَخَذُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ بن أُبَيّ بْن سَلُولٍ قَدْ أَنْكَرَ مِنْ قَبْلُ، حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ ٱلأمْرِ شَيْئاً.

بنو عبد الأشهل




بنو ظفر
كعب (ظفر)
سواد
رازح
عامر
رافع
مالك
عبد
زيد
أمية
أوس
النعمان
خاطب
عبيد (مقرن)
قتادة
يزيد
معتب
الحارث

عُنصُرُ الخَيْر

إنَّ في ٱلنَّفْس ٱلْبَشَرِيَّةِ عُنْصرَ خَيْرٍ كَمَا فِيها عُنْصُرُ شَرٍّ « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا »[1] فَمَنْ زَكَّىٰ ٱلْخَيْرَ فِيهَا قَوِيَ ، وَأَصْبَحَ ظَاهِراً عَلَيْهَا ، بَلْ وَسِمَةً رَئِيسِيَّةً مِنْ سِمَاتِهَا وَكَانَ صَاحِبُهَا خَيِّراً ، وَمَنْ قَوَّىٰ عُنْصُرَ ٱلشَّرِّ، غَلَبَهُ ٱلْهَوَىٰ ، وَٱسْتَبَدَّتْ بِهِ ٱلشَّهْوَةُ، وَأَصْبَحَ ٱلشَّرُّ مِنْ عَلاَمَاتِ تِلْكَ ٱلنَّفْسِ وَصِفَاتِهَا ، وَكَانَ ٱلاْنْسَانُ شِرِّيراً ، وَمَنْ كَانَ لِلْخَيْرِ فَاعِلاً ، وَلِلْحَقِّ مُتَّبِعاً ، وَنَمَّىٰ هٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ في أَبْنَائِهِ، وَأَوْرَثَهَا لأَحْفَادِهِ، غَلَبَتْ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلأُسْرَةِ ظَاهِرَةُ ٱلْخَيْرِ ،وَٱتِبَاعُ ٱلْمَعْرُوفِ، وَيَسْهُلُ عَلَى ٱلنَّفْسِ مِنْهَا ٱلْوُصُولُ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ بِشَكْلٍ سَرِيعٍ وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَحِيدَ عَنْهُ مَا دَامَتْ قَدْ عَرَفَتْهُ ، وَتَضْرِبُ بِكُلِّمَا يَقِفُ أَمَامَ سَيْرِهَا فِي سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ تَقِفَ مَعَ ٱلْبَاطِلِ أَبَداً ؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَتَعَوَّدْ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ عَلَىٰ ٱلاْنْسَان مَا لَمْ يُعَوَّدْ .

---

(١) الشمس الآيات: ٧ ـ ٨ ـ ٩ .

وَقَدْ تكُونُ أُسْرَةُ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ، مِنْ هٰذِهِ ٱلأُسَرِ ٱلَّتِي تَسْعَىٰ وَرَاءَ ٱلْحَقِّ، وَتَتْبَعُ لَهُ، وتَتَبَنَّاهُ بِقُوَّةٍ، وَتُدَافِعُ عَنْهُ بشِدَّةٍ، وَبصِفَةٍ خَاصَّةٍ أُسْرَةُ مُعَاذِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ وَالِدِ سَعْدٍ، فَقَدْ رَأَيْنَا ٱتِّبَاعَ سَعْدٍ لِلْحَقِّ وَدُخُولَهُ فِي ٱلإِسْلاَمِ مُجَرَّدَ سَمَاعِهِ حَدِيثَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، ثُمَّ ٱلدَّعْوَةَ لَهُ بِحَرَارَةٍ وَقُوَّةٍ مَا دَامَ قَدِ ٱعْتَقَدَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، وَكَيْفَ أَنَّ أُسْرَتَهُ قَدْ وَافَقَتْهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَٱعْتَنَقَتْ جَمِيعُهَا ٱلإِسْلاَمَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يُعْرَفْ فِيهَا مُنَافِقٌ، أَوْ إِنْسَانٌ غَيْرُ مُسْلِمٍ، رَجُلاً كَانَ أَوِ ٱمْرَأَةً، وَهٰذا مَا لاَ تَخْلُو مِنْهُ أُسْرَةٌ ثَانِيَةٌ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ إِنَّ مَوْقِفَ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ هٰذَا كَانَ بَعْدَ ٱنْتِشَارِ ٱلإِسْلاَمِ فِي يَثْرِبَ فَلْنَنْظُرْ إِلَىٰ أَخِيهِ إِيَاسٍ ٱلَّذِي قَبِلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ صِغَرِهِ وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ رَفْضِهِ مِنْ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ ٱلْوَفْدِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَهُمْ، وَثَبَتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَهُوَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْدِيَ شَيْئاً، أَوْ يَضْغَطَ عَلَىٰ أَعْضَاءِ ٱلْوَفْدِ، فَقَدْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ كَمَا أَنَّ أَهْلَ يَثْرِبَ لَمْ يَكُنْ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ خَبَرُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلْجَدِيدَةِ بَعْدُ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو ٱلْحَيْسَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ [1] مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ ٱلْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ،

---

(١) أنس بن رافع: هو ابن عم معاذ والد سعد.

عَلَىٰ قَوْمِهِمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، فَسَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، فَأَتَاهُمْ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنا رَسُولُ ٱللهِ، بَعَثَنِي إِلَىٰ ٱلْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَعْبُدُوا ٱللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ٱلْكِتَابَ، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ ٱلإِسْلاَمَ، وَتَلاَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنَ فَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ وَكَانَ غُلاَماً حَدَثاً: أَيْ قَوْمُ هٰذَا وَٱللهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ، فَأَخَذَ أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ ٱلْبَطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَاسٍ، وَقَالَ: دَعْنَا مِنْكَ فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِغَيْرِ هٰذَا، فَصَمَتَ إِيَاسٌ، وَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ إِيَاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ، وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ حَضَرَ مَوْتَهُ، أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهَلِّلُ وَيُكَبِّرُ وَيَحْمَدُ ٱللهَ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّىٰ مَاتَ، فَمَا كَانُوا يَشُكُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ مُسْلِماً، لَقَدْ كَانَ ٱسْتَشْعَرَ ٱلإِسْلاَمَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَجْلِسِ.

وَلْنَنْظُرْ إِلَىٰ أَخِيهِ ٱلآخَرِ عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ وَهُوَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلْحَقِّ فِي أُحُدٍ حَتَّىٰ ٱسْتُشْهِدَ، وَٱبْنِ أَخِيهِ ٱلْحَارِثِ بْنِ أَوْسِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَهُوَ يَجُولُ فِي بَدْرٍ ثُمَّ فِي أُحُدٍ يُقَاتِلُ دُونَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ حَتَّىٰ ٱسْتُشْهِدَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

وَمَرَّةً أُخْرَىٰ نَقِفَ أَمَامَ أُمِّ سَعْدٍ وَقَدْ خَرَجَتْ تَسْتَقْبِلُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ. رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُعَزِّيهَا بِٱبْنِهَا عَمْرٍو فَتُجِيبُ أَمَا وَقَدْ رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ فَقَدِ ٱشْتُوِيَتْ عِنْدِي ٱلْمُصِيبَةُ أَيْ قَلَّتْ وَهَانَتْ، وَكَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَأْخُذُ بِلِجَامِ فَرَسِ رَسُولِ ٱللَّهِ، لاَ يُبَالِي هُوَ وَأُمُّهُ أَمَاتَ أَهْلُهُ أَمْ عَاشُوا مَا دامَتِ ٱلدَّعْوَةُ بَاقِيَةً بِبَقَاءِ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَهُوَ صَاحِبُ ٱلدَّعْوَةِ ٱلَّتِي عَنْهَا يُدافِعُونَ، وَمِنْ أَجْلِهَا يَحْيَوْنَ، وَفِي سَبِيلِهَا يَمُوتُونَ، وَعَلَيْهَا يَلْقَوْنَ وَجْهَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ. وَهَٰذِهِ طَبِيعَةُ أَهْلِ ٱلدَّعَوَاتِ وَٱلْمَبَادِىءِ ٱلصَّادِقِينَ فِي دَعْوَتِهِمُ ٱلْمُخْلِصِينَ فِي سَيْرِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ إِذَا مَاتَ لَهُمْ مُحَبٌّ نَسَوْا مَا حَوْلَهُمْ وَأَضَاعُوا طَرِيقَهُمْ، وَفَقَدُوا رُشْدَهُمْ، أَمَّا ٱلْمُسْلِمُ ٱلصَّادِقُ فَلاَ يَعْرِفُ إِلاَّ دَعْوَتَهُ وَمَنْ يُمَثِّلُهَا وَهَٰكَذَا كَانَتْ أُسْرَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَغْلِبُ عَلَيْهَا عُنْصُرُ ٱلْخَيْرِ وَٱلْحَقِّ.

وَكَمَا كَانَتْ أُمُّ سَعْدٍ كَانَتْ زَوْجُهُ وَهِيَ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَعَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيرٍ. فَقَدْ بايَعَتْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ، وَصَدَقَتْ، وَصَبَرَتْ عَلَىٰ ٱلْبَلاَءِ. وَكَذَٰلِكَ كَانَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي مُعْتَرَكِ ٱلْحَيَاةِ ٱلسِّيَاسِيَّةِ عِنْدَمَا ٱخْتَلَطَ ٱلأَمْرُ

وَضَاعَتْ مَعَالِمُ ٱلْحَقِّ فَٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ وَجِهَادِهِمْ جُنُوداً مَجْهُولِينَ فِي سَبِيلِ ٱلْوُصُولِ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي يَعْتَقِدُونَهُ، فَإِنْ جَهِلُوهُ ٱعْتَزَلُوا.

نَسَبُ سَعْدٍ وَحَيَاتُهُ

هُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ ٱلنُّعْمَانِ بْنِ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ ابْنِ عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ، وَيُكْنَىٰ أَبا عَمْرٍو ، وَأُمُّهُ كَبْشَةُ[1] بِنْتُ رَافِعِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ٱلأَبْجَرِ[2] وَزَوْجُهُ هِنْدُ[3] بِنْتُ سِمَاكِ ابْنِ عَتِيكِ بْنِ رَافِعِ بْنِ ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَهِيَ عَمَّةُ (أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ) ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْمَعْروفِ وَأَحَدِ سَادَاتِ ٱلأَوْسِ . وُلِدَ سَعْدٌ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ قَبْلَ ٱلْبِعْثَةِ، وَبِذَا يَكُونُ أَصْغَرَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ سَنَةً .

أَسْلَمَ عَلَىٰ يَدِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَبْلَ ٱلْهِجَرَةِ بِعَامَيْنِ ، وَطَلَبَ مِنْ مُصْعَبٍ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ يَنْزِلُ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ ٱبْنِ خَالَتِهِ وَمِنْ قَبِيلَةِ ٱلْخَزْرَجِ ،

---

(١) وهي من اللواتي بايعن رسول الله ﷺ .

(٢) الأبجر: هو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

(٣) هند: وقد بايعت رسول الله .

وَذٰلِكَ لأَنَّ أُسْرَتَهُ قَدْ أَسْلَمَتْ جَمِيعاً، فَكَانَ ٱلْعَمَلُ لِمُصْعَبٍ أَسْهَلَ كَمَا أَنَّ هٰذِهِ ٱلأُسْرَةَ ٱلْمُسْلِمَةَ حَدِيثاً بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَفَقُّهٍ فِي ٱلدِّينِ وَقِرَاءَةِ ٱلقُرْآن، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُقْرِىءُ قَرِيباً مِنْهَا، كَمَا أَنَّ سَعْداً يُرِيدُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَىٰ هٰذَا ٱلدَّاعِيَةِ بِنَفْسِهِ.

ٱسْتَقْبَلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَوْمَ ٱلْهِجْرَةِ، وَآخَىٰ ٱلرَّسُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاحِ، حَضَرَ بَدْراً، وَشَهِدَ أُحُداً، وَأُصِيبَ فِي ٱلْخَنْدَقِ، وَحَكَمَ عَلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاءُ ٱلأَوْسِ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ، وَمَاتَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مُتَأَثِّراً بِجُرْحِهِ ٱلَّذِي أَصَابَهُ يَوْمَ ٱلْخَنْدَقِ، فَقَضَىٰ شَهِيداً عَامَ خَمْسَةٍ لِلْهِجْرَةِ. وَكَانَ عُمُرُهُ سَبْعَةً وَثَلاَثِينَ عَاماً، تَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ تَسْعَةَ أَوْلاَدٍ، عُرِفَ مِنْهُمْ وَٱشْتَهَرَ: عَمْرٌو، وَعَبْدُ ٱللهِ.

صِفَاتُ سَعْدٍ

كَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً طَوِيلاً، أَبْيَضَ ٱللَّوْنِ، مُحَبَّباً إِلَىٰ ٱلنَّفْسِ، وَكَانَ هَادِئاً قَلِيلَ ٱلْكَلَامِ حَتَّىٰ إِذَا وَجَدَ أَنَّ وَعْداً قَدْ أُخْلِفَ أَوْ حَقّاً قَدْ هُضِمَ أَوْ أَنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلْمُوَجَّهَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهِ هُوَ أَوْ قَوْمُهُ تَكَلَّمَ بِحَرَارَةٍ، فَيَخْرُجُ كَلَامُهُ قَوِيّاً فِيهِ جَمَالُ ٱللَّفْظِ وَقُوَّةُ ٱلتَّعْبِيرِ وَصِدْقُ ٱلْعَاطِفَةِ، كَمَا يَظْهَرُ فِيهِ إِخْلَاصُهُ وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ مَا يَدْعُو لَهُ، وَفِي سَبِيلِ مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، فَكَانَتْ فِي طَبْعِهِ حِدَّةٌ، كَمَا كَانَتْ فِيهِ غَيْرَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، شَدِيدَةٌ عَلَىٰ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلَامِيَّةِ وَصَاحِبِهَا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةً لَا تَضَعُ ٱلْحَقَّ فِي نِصَابِهِ أَوْ لَا تُعْطِي لِلدَّعْوَةِ قِيمَتَهَا، وَهٰذَا مَا يَظْهَرُ جَلِيّاً وَاضِحاً فِي كُلِّ مَوَاقِفِهِ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليه وسلم.

كَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَيِّدَ ٱلأَوْسِ مُنْذُ بِدَايَةِ شَبَابِهِ لَا يُنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ سِنِّهِ، وَوُجُودِ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَمِنَ ٱلْمَعْلُومِ أَنَّهُ فِي ٱلْمُجْتَمَعَاتِ ٱلْقَبَلِيَّةِ يَلْعَبُ

ٱلسِّنِّ دَوْراً كَبيراً ، وَمَا هٰذِهِ ٱلسِّيَادَةُ إلاَّ بِسَبَبِ مَا أُوتِيَ مِنْ رَجَاحَةِ ٱلْعَقْل ، وَقُوَّةِ ٱلتَّفْكِيرِ ، وَسَدَادِ ٱلرَّأْيِ وَثَبَاتِ ٱلْقَلْبِ ، وَٱلشَّجَاعَةِ فِي ٱلْمَعْرَكَةِ وَعِنْدَ ٱلنَّوائِبِ .

وَهُوَ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ جَمِيعاً وَمُقَامُهُ بَيْنَهُمْ كَمُقَامِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِيق بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ .

الهِجْـرَةُ وَالْمؤاخَـاةُ

لَمْ يَجِدْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ في مَكَّةَ ٱلَّتِي تَحْكُمُهَا ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْحِمَايَةَ ٱلَّتِي يَنْشُدُهَا لأَصْحَابِهِ خَوْفاً مِنْ أَنْ تَطَالُهُمْ يَدُ قُرَيْشٍ في ٱلْعَذَابِ أو ٱلْفِتْنَةِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ ﷺ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ يَثْرِبَ ٱلَّتِي بَايَعَهُ أَهْلُهَا عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ، فَٱمْتَثَلَ ٱلصَّحَابَةُ، وَهَاجَرُوا في سَبِيلِ ٱللهِ، وَتَرَكُوا في مَكَّةَ أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ في سَبِيلِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا في ظِلِّ حَيَاةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ وَهُوَ أَسْمَىٰ شَيْءٍ في ٱلْحَيَاةِ بَلْ هُوَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْفَاضِلَةُ، وَأَنْ يَعْبُدُوا هُنَاكَ ٱللهَ دُونَ أَنْ يَقِفَ مَانِعٌ يَحُولُ دُونَ ذٰلِكَ؛ فَإِنَّ سَاعَةً للَّهِ خَيْرٌ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

وَأَخِيراً هَاجَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَٱسْتَقْبَلَهُ أَهلُ يَثْرِبَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ بِٱسْتِقْبَالِ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ بِجَانِبِ رَسُولِهِمْ ٱلْكَرِيمِ، طَالَمَا كَانُوا يَحْلُمُونَ بِهَا، وَعُرِفَتْ مَدِينَتُهُمْ يَثْرِبُ بِٱسْمِ (ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ) أَيْ ٱلَّتِي أُنِيرَتْ بِٱلْخَيْرِ بِقُدُومِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ رَسُولُ ٱللهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَىٰ

ٱلْمَدِينَةِ أَنْ بَنَىٰ ٱلْمَسْجِدَ ٱلَّذِي أَضْحَى نَادِياً لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً بَعْدَ أَنْ كَانَ لِكُلِّ قَبِيلَةٍ أَوْ بَطْنٍ أَوْ فَخِذٍ أَوْ فَرْعٍ نَادٍ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَسْمُرُونَ بِهِ، وَيَتَبَادَلُونَ ٱلرَّأْيَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَهٰكَذا فَقَدْ تَوَحَّدَتِ ٱلْقَبَائِلُ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً.

وَبَعْدَ ذٰلِكَ آخَىٰ ٱلرَّسُولُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ وَمُهَاجِرِينَ، وَقَدْ تَكُونُ ٱلْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرِينَ أَوْ أَنْصَارٍ، أَوْ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ وَلِذَا فَلَيْسَتْ هٰذِهِ ٱلْمُؤَاخَاةُ لِأَسْبَابٍ ٱقْتِصَادِيَّةٍ كَمَا يَحْلُو لِلْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَجْعَلُوهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِتَوْحِيدِ قُلُوبِ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ ٱلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ يَهُودَ جِيرَانِهِمْ فِي ٱلسَّكَنِ، وَلِيَكُونَ ٱلْمُسْلِمُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ.

وَلٰكِنْ بَدَتْ بَعْضُ ٱلْجَوَانِبِ ٱلاقْتِصَادِيَّةِ مِنْ بَابِ ٱلأُخُوَّةِ لاَ مِنْ بَابِ ٱلْمَادَّةِ وَذٰلِكَ عِنْدَمَا تَكُونُ ٱلْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ آخَىٰ بَيْنَ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدٌ لِعَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ: إِنِّي أَكْثَرُ ٱلأَنْصَارِ مَالاً فَٱقْسِمْ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِيَ

ٱمْرَأَتَان ، فَٱنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا ، فَإِذَا ٱنْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ : بَارَكَ ٱللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلٰكِنْ دُلَّنِي عَلَىٰ ٱلسُّوق .

وَآخَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَيْنَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ ٱلْجَرَّاح [1] فَكَانَتِ ٱلْعَلاَقَةُ بَيْنَهُمَا عَلاَقَةَ ٱلأَخِ مَعَ أَخِيهِ ٱلأَخِ فِي ٱللهِ لاَ فِي ٱلدَّمِ أَو ٱلْجِنْسِ أَو ٱللُّغَةِ أَو ٱلأَرْضِ أَوِ ٱلْمَصْلَحَةِ وَٱلْمَنْفَعَةِ، أَوْ أَيَّةِ أُخُوَّةٍ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا أَوْ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي ٱلْمَاضِي أَو ٱلْحَاضِرِ أَو ٱلْمُسْتَقْبَلِ ٱلْبَعِيدِ، فَإِنَّ ٱلأُخُوَّةَ فِي ٱللهِ تَسْمُو عَلَىٰ كُلِّ رَابِطَةٍ أَوْ صِلَةٍ أَوْ نَسَبٍ، وَلَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلْمُؤَاخَاةُ بِنَاءً عَلَىٰ ٱلظُّرُوفِ ٱلَّتِي ٱقْتَضَتْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا مُؤَاخَاةٌ أَمَرَ ٱللهُ بِهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ، وَجَعَلَهَا ٱلأُخُوَّةَ ٱلْوَحِيدَةَ لاَ أُخُوَّةَ غَيْرَهَا بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .

وَبَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَتِ ٱلْقُلُوبُ قُلُوبُ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَادَعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَهُودَ لِتَكُونَ ٱلْمَدِينَةُ كُلُّهَا

---

(١) ويروى أن رسول الله ﷺ قد آخى بين سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص والله أعلم.

كِتْلَةً وَاحِدَةً تَسْتَطِيعُ ٱلْوُقُوفَ أَمَامَ قُرَيْشٍ أَوْ غَيْرِهَا فِيمَا إِذَا فَكَّرَتْ فِي مُدَاهَمَتِهَا، وَحَتَّىٰ لاَ تَبْقَىٰ ثُغْرَةٌ يَسْتَطِيعُ ٱلْعَدُوُّ أَنْ يَنْفُذَ مِنْ خِلاَلِهَا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ .

سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ

سَعِدَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِٱلْحَيَاةِ ٱلْفَاضِلَةِ مَعَ رَسُولِهِمُ ٱلْكَرِيمِ ﷺ، وَلٰكِنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَىٰ هَدَفِهِمْ بَعْدُ، فَلاَ ٱلْحُصُولُ عَلَىٰ ٱلْمَالِ هُوَ غَايَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحَيَاةِ، وَلاَ ٱلرَّاحَةُ ٱلْبَدَنِيَّةُ، وَلاَ تَمَلُّكُ ٱلْمَتَاعِ وَٱلْوُصُولُ إِلَىٰ ٱلرَّغَبَاتِ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُمْ تَطْبِيقُ حُكْمِ ٱللهِ فِي أَرْضِهِ، وَهٰذَا لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِٱلْجِهَادِ، وَلَنْ تَكُونَ دَعْوَةٌ آنَذَاكَ إِلاَّ بِإِزَالَةِ أَكْبَرِ قُوَّةٍ تَقِفُ فِي وَجْهِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهِيَ قُرَيْشٌ، وَلَمْ يَكُنِ ٱلْقِتَالُ قَدْ شُرِعَ بَعْدُ.

شُرِعَ ٱلْقِتَالُ بِقَوْلِ ٱللهِ: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ ٱللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللهِ كَثِيراً، وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ ٱللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلاَةَ، وَآتَوُا ٱلزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ. وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ

ٱلأُمُورِ[1] » ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللهُ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ[2] » أَيّ حَتَّىٰ لاَ يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، وَلاَ يُعْبَدَ غَيْرُ ٱللهِ، وَيَكُونَ ٱلدِّينُ مَنْهَجَ ٱلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ لاَ صِلَةً فَقَطْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَرَبِّهِ فَجَهَّزَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَهُوَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱلْغَزَوَاتِ وَٱلسَّرَايَا ٱلْوَاحِدَةَ تِلْوَ ٱلأُخْرَىٰ لِهٰذَا ٱلْغَرَضِ وَهُوَ مُنَازَلَةُ قَوَافِلِ قُرَيْشٍ ٱلَّتِي تَغْدُو وَتَرُوحُ إِلَىٰ ٱلشَّامِ وَفِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ لإِثْبَاتِ ٱلْكِيَانِ ٱلإِسْلاَمِيِّ، وَإِجْبَارِ قُرَيْشٍ عَلَىٰ ٱلاعْتِرَافِ بِهٰذَا ٱلْكِيَانِ، وَلِتَسْمَعَ ٱلْقَبَائِلُ بِٱلإِسْلامِ وَتَعْلَمَ مَرْكَزَ دَوْلَتِهِ، فَتَسْأَلَ، وَتَصِلَ إِلَىٰ ٱلْحَقِيقَةِ فَيَنْتَشِرَ ٱلإِسْلاَمُ، فَإِنَّ أَيَّةَ فِكْرَةٍ لَيْسَتْ لَهَا قُوَّةٌ تَدْعَمُهَا، فَإِنَّ ذِكْرَهَا لَنْ يَرْتَفِعَ وَلَنْ يُقْبِلَ ٱلنَّاسُ عَلَيْهَا.

وَقَدْ عَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْمَنَاطِقَ ٱلَّتِي حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ وَبِخَاصَّةٍ ٱلْجِهَاتِ ٱلْقَرِيبَةِ مِنْهَا حَيْثُ تَمُرُّ قَوَافِلُ قُرَيْشٍ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ نُقْطَةَ ٱلتَّمَاسِّ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَسَتَدُورُ فِيهَا رَحَىٰ ٱلْحَرْبِ ٱلْمُنْتَظَرَةِ، لِذَا لاَ بُدَّ مِنْ دِرَاسَتِهَا وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهَا، وَٱلاتِّصَالِ بِقَبَائِلِهَا وَمُحَاوَلَةِ

---

(١) الحج الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.
(٢) البقرة الآية: ١٩٣.

كَسْبِهِمْ إِلَىٰ ٱلدَّعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِيَّةِ أَوْ إِلَىٰ صَفِّهِمْ أَوْ عَلَىٰ ٱلأَقَلِّ وُقُوفِهِمْ عَلَىٰ ٱلْحِيَادِ فِيمَا إِذَا جَرَتِ ٱلْحَرْبُ فِي دِيَارِهِمْ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، وَلِهٰذَا كَانَتْ غَايَاتٌ كَثِيرَةٌ لِهٰذِهِ ٱلْغَزَوَاتِ وَٱلسَّرَايَا ٱلَّتِي سَبَقَتْ غَزْوَةَ بَدْرٍ. وَكَانَتْ إِحْدَىٰ هٰذِهِ ٱلْقَوَافِلِ بِقِيَادَةِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، فَسَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مَعَ مِائَتَيْ رَاكِبٍ لِلتَّعَرُّضِ لَهَا، وَلٰكِنْ مَا إِنْ وَصَلَ ٱلْعَشِيرَةَ حَتَّىٰ عَلِمَ أَنَّهَا مَرَّتْ قَبْلَ يَوْمٍ، وَلاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُدْرِكَهَا، فَعَادَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ أَبْقَىٰ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ ٱللهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا يَرْصُدَانِهَا حَتَّىٰ تَعُودَ، فَقَامَا بِٱلأَمْرِ، وَلَمَّا أَدْرَكَا عَوْدَتَهَا، أَخْبَرَا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ.

دَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمُسْلِمِينَ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ ٱلْقَافِلَةِ بِقَوْلِهِ:

« هٰذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَٱخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ ٱللهَ يَنْفُلُكُمُوهَا » وَهٰذِهِ ٱلدَّعْوَةُ لَمْ تَكُنْ إِجْبَاراً لِيَخْرُجَ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً وَلاَ ٱسْتِنْفَاراً لِيَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَخْيِيراً فَإِنَّ عَدَدَ ٱلرُّكْبَانِ فِي ٱلْقَافِلَةِ لاَ يَزِيدُ عَلَىٰ ٱلأَرْبَعِينَ، وَلاَ يَحْتَاجُ ٱلتَّغَلُّبُ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ قُوَّةٍ كَبِيرَةٍ، كُلُّ ذٰلِكَ لأَمْرٍ أَرَادَهُ ٱللهُ حَتَّىٰ لاَ يَخْرُجَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَجْمَعِهِمْ وَعِنْدَهَا

تَتَكَافَأَ ٱلْقُوَّتَان ، وَلاَ يَكُونُ لِلنَّصرِ أَهَمِّيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَصَدىً عَظِيمٌ حَيْثُ تُحْتَمَلُ ٱلْغَلَبَةُ وَلاَ يَظْهَرُ تَأْيِيدُ ٱللهِ وَمَدَدُهُ، وَأَثَرُ ٱلاْيمَانِ وَقُوَّتُهُ .

خَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَقُودُهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، وَلاَ يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ ثَلاثِمِائَةٍ إلاَّ قَلِيلاً ، وَٱعْتَقَدُوا أَنَّ ٱلْخُرُوجَ لَيْسَ إلاَّ لِلْقَافِلَةِ . وَشَعَرَتِ ٱلْقَافِلَةُ بِخُرُوجِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَٱسْتَنْجَدَتْ بِقُرَيْشٍ ، وَغَيَّرَتْ طَرِيقَهَا فَنَجَتْ، بَيْنَمَا جَاءَتْ قُرَيْشٌ بِقُوَّتِهَا وَجَبَرُوتِهَا وَخُيَلاَئِهَا لِتُنْقِذَ ٱلْقَافِلَةَ، وَتُؤَدِّبَ ٱلْمُسْلِمِينَ ـ عَلَىٰ زَعْمِهَا ـ .

أَتَىٰ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ خَبَرُ سَيْرِ قُرَيْشٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا ٱلْحَرْبُ، وَكَانَ يُرِيدُهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ صَحْبِهِ .

فَٱسْتَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلنَّاسَ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ، وَأَحْسَنَ. ثُمَّ قَامَ ٱلْمِقْدادُ بْنُ عَمْرٍو[1] فَقَالَ: يا

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامري. ويقال له: المقداد بن الاسود الكندي الحضرمي، لأن أباه أصاب دماً في قومه، فلحق بحضرموت، وحالف كندة، وتزوج منهم أمرأة، فولدت له المقداد، ولما كبر المقداد تشاجر مع أبي شمر بن حجر الكندي فضرب المقداد رجله بالسيف، وهرب إلى مكة، وحالف =

رَسُولَ ٱللهِ ٱمْضِ لِمَا أَرَاكَ ٱللهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَٱللهِ لاَ نَقُولُ لَكَ مَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ: ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَا هٰاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلٰكِنِ: ٱذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَىٰ بَرْكِ ٱلْغِمَادِ[1] لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّىٰ تَبْلُغَهُ[2].

فَقَالَ لَهُ ٱلرَّسُولُ ﷺ خَيْراً، وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ - وَإِنَّمَا يُرِيدُ ٱلأَنْصَارَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ، وَأَنَّهُمْ حِينَ بَايَعُوهُ بِٱلْعَقَبَةِ قَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّىٰ تَصِلَ إِلَىٰ دِيَارِنَا. فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا، فَأَنْتَ ذِمَّتُنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فَخَشِيَ رَسُولُ ٱللهِ أَنْ يَفْهَمَ ٱلأَنْصَارُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْحَرْبَ خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ، وَلَيْسُوا مُلْزَمِينَ بِٱلْقِتَالِ، أَوْ يَرَوْا أَنَّهُمْ خَرَجُوا لِلْعِيرِ، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ ٱسْتِعْدَادٍ لِهٰذِهِ ٱلْمَعْرَكَةِ غَيْرِ ٱلْمُتَكَافِئَةِ، فَلَمَّا قَالَ

= الاسود بن عبد يغوث فتبناه الاسود ولذلك قيل له ابن الاسود وغلب عليه ذلك ولما نزلت (ادعوهم لآبائهم) سمي المقداد بن عمرو. هاجر الهجرتين وكان مقداماً رضي الله عنه، توفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة.

(١) برك الغماد: مكان في آخر الجزيرة في بلاد اليمن.

(٢) وفي رواية أخرى، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك.

ذٰلِكَ قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَٱللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يا رَسُولَ ٱللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلْ، فَقَالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ ٱللَّهِ قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ ٱلْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَىٰ ذٰلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَىٰ ٱلسَّمْعِ وَٱلطَّاعَةِ لَكَ، فَٱمْضِ يا رَسُولَ ٱللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ، لَوِ ٱسْتَعْرَضْتَ بِنَا ٱلْبَحْرَ فَخُضْتَهُ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَىٰ بِنَا عَدُوَّنَا غداً، إِنَّا لَصُبُرٌ في الحرب، صُدْقٌ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ، لَعَلَّ آللهَ يُرِيكَ مِنَّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ آللهِ[1].

فَسُرَّ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذٰلِكَ ثُمَّ قَالَ: سِيْرُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَىٰ ٱلطَّائِفَتَيْنِ، وَٱللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَصَارِعِ ٱلْقَوْمِ[2].

وَقَفَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ قَبْلَ

---

(١) وفي رواية أخرى: لعلك أن تكون يا رسول الله قد خرجت لأمر، وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض. فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت، وسالم من شئت خذ من أموالنا ما شئت، واعطنا ما شئت، وما أخذت منا، كان أحب إلينا مما تركت.

(٢) روى مسلم أن رسول الله ﷺ كان يقول هذا مصرع فلان ويضع يده هاهنا وهاهنا، قال فما مات أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ.

ٱلْمَعْرَكَةِ مُخَاطِباً رَسُولَ ٱللهِ ﷺ : يا نَبِيَّ ٱللهِ، أَلاَ نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً[1] تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رَكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَىٰ عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا ٱللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا كَانَ ذٰلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ ٱلأُخْرَىٰ، جَلَسْتَ عَلَىٰ رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يا نَبِيَّ ٱللهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبّاً لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَىٰ حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ ٱللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ[2]. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ خَيْراً، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ.

يَظْهَرُ مِنْ قَوْلِ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ طَاعَتُهُ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَعَدَمُ تَخَوُّفِهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ، وَأَنَّهُ قَادِمٌ عَلَيْهِ لاَ مَحَالَةَ وَذٰلِكَ فِي سَبِيلِ ٱلدَّعْوَةِ، وَلٰكِنَّهُ إِنْ خَافَ فَإِنَّمَا

---

(١) العريش: شبه خيمة يستظل به.

(٢) كان ممن تخلف عن بدر أحد سادات الاوس وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه، وقد اسرع للقاء الرسول ﷺ في الروحاء يهنئه بالنصر، وقد قال له معتذراً: والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً. ولكن ظننت أنها عير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال له الرسول ﷺ: صدقت وكان رضي الله عنه مقداماً، فقد شهد أحداً وثبت، وجرح سبع جراحات وتوفي سنة إحدى وعشرين للهجرة.

يَخَافُ عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ ٱلإِسْلَامِ ، فَيَحْرِصُ كُلَّ ٱلْحِرْصِ عَلَىٰ حَيَاةِ رَسُولِهِ ٱلْكَرِيمِ ، فَيَرْغَبُ فِي إِنْقَاذِهِ وَٱلْقِتَالِ دُونَهُ حَتَّىٰ تَسْتَمِرَّ ٱلدَّعْوَةُ وَيَنْفُذَ أَمْرُ ٱللهِ .

وَبِنَاءً عَلَىٰ ٱقْتِرَاحِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بُنِيَ ٱلْعَرِيشُ، وَتَمَّ إِنْشَاءُ حَرَسٍ لِقِيَادَةِ ٱلرَّسُولِ ﷺ ، وَهِيَ فِرْقَةٌ تَمَّ ٱخْتِيَارُهَا مِنْ فِتْيَانِ ٱلأَنْصَارِ، وَتَوَلَّىٰ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قِيَادَتَهَا بِنَفْسِهِ لِيَطْمَئِنَّ عَلَىٰ سَلَامَةِ ٱلْحِمَايَةِ .

وَدَارَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ وَحَمِيَ ٱلْوَطِيسُ، وَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَأَيَّدَهُمْ بِنَصْرِهِ، وَأَمَدَّهُمْ بِجُنْدٍ لَمْ يَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱللهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ، وَكَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ ، وَفَرَّتْ قُرَيْشٌ وَوَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَيْدِيَهِمْ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي ٱلْعَرِيشِ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَائِمٌ عَلَىٰ بَابِ ٱلْعَرِيشِ ، مُتَوَشِّحُ ٱلسَّيْفِ، فِي نَفَرٍ مِنَ ٱلأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ ٱلرَّسُولَ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ ٱلْعَدُوِّ، وَرَأَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي وَجْهِ سَعْدٍ ٱلْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ ٱلنَّاسُ مِنْ أَسْرِ ٱلرِّجَالِ ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ : وَٱللهِ لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ ٱلنَّاسُ، قَالَ: أَجَلْ وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا ٱللهُ بِأَهْلِ ٱلشِّرْكِ، فَكَانَ ٱلإِثْخَانُ فِي ٱلْقَتْلِ بِأَهْلِ

ٱلشِّرْكِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنِ ٱسْتِبْقَاءِ ٱلرِّجَالِ .

إِنَّهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ رِجَالاً تَمَكَّنَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ، وَبَقُوا أَحْيَاءً، وَقَدْ حَارَبُوا رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَأَخْرَجُوهُ وَقَاتَلُوهُ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ إِلاَّ أَنْ يَرَىٰ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ قَتْلاً فِي ٱلدُّنْيَا وَخُسْرَاناً فِي ٱلآخِرَةِ، إِنَّ ٱلنَّفْسَ ٱلْبَشَرِيَّةَ لاَ تَرْغَبُ إِلاَّ أَنْ تَرَىٰ عَاقِبَةَ عَدُوِّهَا ٱلْمُبِينِ سَرِيعَةً أَمَامَ عَيْنَيْهَا .

وَكَانَ سَعْدٌ يَرَىٰ أَنَّ عِدَاءَ قُرَيْشٍ سَيَسْتَمِرُّ وَأَنَّ هُدَاهُمْ بَعِيدٌ بَعْدَ أَنْ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا بِرَسُولِ ٱللهِ وَأَنَّ أَمْرَ نُبُوَّتِهِ وَاضِحٌ تَمَامَ ٱلْوُضُوحِ ، وَلاَ يُنكِرُهُ إِلاَّ مَنْ كَتَبَ ٱللهُ لَهُ ٱلضَّلاَلَةَ، وَمَنْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْحَالُ حَالَهُ فَٱلْقَتْلُ أَوْلَىٰ بِهِ .

وَعَادَ ٱلْجَيْشُ ٱلإِسْلاَمِيُّ ٱلْمُنْتَصِرِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، يَحْمِلُ مَعَهُ ٱلأَسْرَىٰ، وَيَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَلَىٰ ٱلسَّبْعِينَ، وَهُمْ مِنْ وُجَهَاءِ قُرَيْشٍ وَزَعَمَائِهَا، وَمِمَّنْ عَادُوا رَسُولَ ٱللهِ وَآذَوْهُ، وَٱسْتَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ صَحْبَهُ فِي أَمْرِهِمْ: ٱلْمَنَّ أَوِ ٱلْفِدْيَةُ وَكَانَ رَأْيُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَعُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ أَنْ يُقْتَلَ ٱلأَسْرَىٰ فَلَمْ يَتَأَثَّرَا لِرُؤْيَتِهِمْ صَاغِرِينَ، وَلَمْ يَرْثِيَا لِحَالِهِمْ، وَهُمْ أَذِلاَّءُ مُقَيَّدُونَ، وَٱلْبَطَلُ يَرْثِي لِحَالِ ٱلْبَطَلِ ، وَيُشْفِقُ ٱلْوَجِيهُ عَلَىٰ حَالِ

ٱلْكَبِيرِ، وَيَرْحَمُ ٱلسَّيِّدُ عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ، وَلٰكِنْ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ٱلشَّفَقَةُ وَٱلرَّحْمَةُ وَقَدْ ٱرْتَكَبُوا أَكْبَرَ ذَنْبٍ فِي ٱلدُّنْيَا فِي نَظَرِ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ... ذَنْبِ مُحَارَبَةِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ وَإِيذَاءِ نَبِيِّهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ دَارِهِ وَمَوْطِنِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

قَبِلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلْأَسْرَىٰ ٱلْفِدْيَةَ بِنَاءً عَلَىٰ رَأْيِ أَصْحَابِهِ ٱلْآخَرِينَ بِمَا فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَمِنْ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَسْرَىٰ عَمُّهُ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ ٱلْحَارِثِ، وَزَوْجُ ٱبْنَتِهِ زَيْنَبَ أَبُو ٱلْعَاصِ بْنُ ٱلرَّبِيعِ.

مَضَىٰ ٱلْأَسْرَىٰ إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَدَّوُا ٱلْفِدْيَةَ وَجَاءَ قَوْلُ ٱللهِ تَعَالَىٰ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ مُؤَيِّداً رَأْيَ سَعْدٍ وَعُمَرَ فِي ٱلْأَسْرَىٰ «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».[1]

وَرُوِيَ عَنْ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ لَقِيَ عُمَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ: «كَادَ يُصِيبُنَا فِي خِلَافِكَ بَلَاءٌ».[2]

---

(١) الأنفال: آية: ٦٧.

(٢) أورده السيوطي في الدر ٣/٢٠٢ عن أبي نعيم في الحلية عن طريق مجاهد عن ابن عمر.

سَعْدُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
في معركة أُحُدٍ

بَعْدَ أَنْ رَجعَتْ فُلُولُ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، وَوَصلَتِ ٱلْعِيرُ، بَدَأَ ٱلتَّحْرِيضُ لِحَرْبِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱسْتَعَانَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِمَالِ ٱلْقَافِلَةِ في حَرِبِهِمْ وَٱجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَخَرَجَتْ مَعَ من ٱنْضَمَّ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْعَرَب وَٱلأَحَابِيش[1]، وَأَخْرَجُوا مَعَهُمُ ٱلنِّسَاءَ في ٱلْهَوَادجِ لِالْتِمَاسِ ٱلْحَفِيظَةِ وَلِئَلاَّ يَفِرُّوا.

وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَٱسْتَشَارَ ٱلنَّاسَ في ٱلأَمْرِ فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِٱلْمَدِينَةِ وَتَدعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فَإِنْ أَقَامُوا أقاموا بشر مُقامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنا قَاتَلْنَاهُمْ فِيها» وَكَانَ رَأْيُ بَعْضِهِمُ ٱلْبَقَاءَ في ٱلْمَدِينَة وَرَأْيُ بَعْضِهِمُ ٱلآخَرِ ٱلْخُرُوجَ وَهُمْ غَالِباً مِمَّنْ فَاتَهُمْ يَوْمُ بَدْرٍ وَمِنَ ٱلْمُتَحَمِّسِينَ وَٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُوصَفُوا بِٱلْجُبْنِ، أَمَّا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ في ٱلأَمْرِ، وَتَرَكَ ٱلرَّأْيَ

---

(١) الاحابيش قبائل تحالفت بعضها مع بعض بواد يقال له الأحبش بأسفل مكة، فنسبوا بعدها إلى ذلك الحلف وأشهر هذه القبائل بنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق.

لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ يَتَصَرَّفُ كَيْفَ يُرِيدُ، فَإِنَّمَا هُوَ جُنْدِيٌّ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَيُدَافِعُ عَنِ ٱلدَّعْوَةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ يَرَاهُ رَسُولُ ٱللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ وَعَلَىٰ أَيِّ جَبْهَةٍ يَخْتَارُهَا.

دَخَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَيْتَهُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ صَلاَةِ ٱلْجُمُعَةِ، وَلَبِسَ لأْمَتَهُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ ٱلنَّاسُ، وَقَالُوا: ٱسْتَكْرَهْنَا رَسُولَ ٱللهِ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذٰلِكَ فَلَمَا خَرَجَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ! ٱسْتَكْرَهْنَاكَ، وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَٱقْعُدْ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يُقَاتِلَ، ثُمَّ سار بِأَصْحَابِهِ، وَمَا إِنْ قَطَعَ مَسَافَةً خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ حَتَّىٰ ٱنْخَذَلَ عَنْهُمْ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيِّ ٱبْنِ سَلُولٍ بِثُلُثِ ٱلنَّاسِ، وَهُوَ يَوْمَذَاكَ رَأْسُ ٱلْمُنَافِقِينَ.

وَصَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ جَبَلِ أُحُدٍ، فَوَضَعَ خَمْسِينَ مِنَ ٱلرُّمَاةِ عَلَىٰ ٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي عُرِفَ بِٱسْمِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَلاَّ يَبْرَحُوا مَكَانَهُمْ، مَهْمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ، وَأَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْجَبَلِ، وَٱبْتَدَأَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ، وَأَنْزَلَ ٱللهُ نَصْرَهُ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ، وَكَانَتْ هَزِيمَةُ قُرَيْشٍ لاَ شَكَّ فِيهَا، وَظَنَّ ٱلرُّمَاةُ أَنَّ ٱلأَمْرَ قَدِ ٱنْتَهَىٰ، وَأَسْرَعُوا يُلاَحِقُونَ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَيَجْمَعُونَ ٱلْغَنَائِمَ، فَٱنْكَشَفَ ظَهْرُ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَٱلْتَفَّ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْفِ ٱلْجَبَلِ خَالِدُ

ابْنُ ٱلْوَلِيدِ بِخَيْلِهِ ـ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ ـ وَوَقَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْنِ وَنَادَىٰ مُنَادِي ٱلْمُشْرِكِينَ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ، وَعَادَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ لِوَائِهَا، فَٱنْكَشَفَ ٱلْمُسْلِمُونَ وَأَصَابَ فِيهِمُ ٱلْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلاَءٍ عَظِيمٍ. وَٱنْخَذَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَنْ رَسُولِهِمْ، فَشُجَّ وَجْهُهُ ٱلْكَرِيمُ، وَجُرِحَتْ شَفَتُهُ، وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَوَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ ٱلْحُفَرِ ٱلَّتِي حَفَرَهَا أَبُو عَامِرٍ ٱلْفَاسِقُ[١] قَبْلَ بَدْءِ ٱلْمَعْرَكَةِ وَلَمْ يَعْرِفْهَا ٱلْمُسْلِمُونَ. وَثَبَتَ مَنْ ثَبَتَ، وَكَانَ مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ. وَٱرْتَقَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ بِرَسُولِهِمُ ٱلْجَبَلَ، وَٱنْصَرَفَتْ قُرَيْشٌ بَعْدَ أَنْ نَادَىٰ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بَدْرٌ لِلْعَامِ ٱلْقَابِلِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: قُلْ: نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ.

وَكَانَ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلاً مِنْهُمْ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ[٢] وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ جَحْشٍ[٣] وَسَعْدُ بْنُ

---

(١) أبو عامر: هو ابن صيفي النعمان بن مالك بن أمة بن ضبيعة من الأوس وقد ذهب إلى قريش، وأخبرهم بأن الاوس إن رأوه لم يختلف عليه اثنان، وعندما ناداهم قبل أحد خذلوه وكان يدعى الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وهو والد حنظلة الذي استشهد يوم أحد رضي الله عنه.

(٢) حمزة بن عبد المطلب: عم رسول الله ﷺ وأخوه في الرضاعة من ثويبة.

(٣) عبد الله بن جحش: ابن عمة رسول الله ﷺ أمه أميمة بنت عبد =

ٱلرَّبِيعِ[١] وَعَمْرُو ٱبْنُ مُعَاذٍ أَخُو سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَٱلْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ ٱبْنُ أَخِي سَعْدٍ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ.[٢]

وَكَانَ يَوْمَ أُحُدٍ يَوْمَ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ وَتَمْحِيصٍ، ٱخْتَبَرَ ٱللهُ بِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَحَقَ بِهِ ٱلْمُنَافِقِينَ مِمَّنْ كَانَ يُظْهِرُ ٱلْإِيمَانَ بِلِسَانِهِ، وَهُوَ مُخْفٍ ٱلْكُفْرَ فِي قَلْبِهِ، وَكَانَ يَوْماً أَكْرَمَ ٱللهُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتَهُ بِٱلشَّهَادَةِ مِنْ أَهْلِ وِلَايَتِهِ.

وَعَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا جَاءَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ تَعْدُو نَحْوَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَسَعْدٌ آخِذٌ بِلِجَامِهَا فَقَالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ ٱللهِ أمّي... فَقَالَ: مَرْحَباً بِهَا، فَوَقَفَ لَهَا، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَزَّاهَا بِٱبْنِها عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ.

فَقَالَتْ: أَمَا إِذْ رَأَيْتُكَ سَالِماً فَقَدِ ٱشْتُوِيَتْ[٣] عِنْدِي ٱلْمُصِيبَةُ.

= المطلب من السابقين في الاسلام وهو أيضاً أخ لرسول الله في الرضاعة من ثويبة.

(١) سعد بن الربيع: أحد سادات الخزرج. وأحد النقباء الاثني عشر.

(٢) مصعب بن عمير: كانت زوجة حمنة بنت جحش أخت عبد الله بن جحش، وأبنة عمة رسول الله ﷺ وتزوجها طلحة بن عبيد الله بعده.

(٣) اشتويت: قلت وهانت.

ثُمَّ دَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لأَهْلِ مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ، وَقَالَ لأُمِّ سَعْدٍ: يا أُمَّ سَعْدٍ أَبْشِرِي، وَبَشِّرِي أَهْلَهُمْ أَنَّ قَتْلاَهُمْ تَرَافَقُوا فِي ٱلْجَنَّةِ جَمِيعاً، وقد شَفَعُوا في أَهْلِهِمْ جَمِيعاً.

قَالَتْ: رَضِينَا يا رَسُولَ ٱللهِ، وَمَنْ يَبْكِي عَلَيهِمْ بَعْدَ هٰذَا؟ ثُمَّ قَالَتْ: يا رَسُولَ ٱللهِ، ٱدْعُ لِمَنْ خُلِّفُوا مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: ٱللَّهُمَّ أَذْهِبْ حُزْنَ قُلُوبِهِمْ، وَٱجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ، وَأَحْسِنْ عَلَىٰ مَنْ خَلَّفُوا.

وَمَرَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ ٱلأَنْصَارِ مِنْ بَنِي (عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ) وَ (ظَفَرٍ)، فَسَمِعَ ٱلْبُكَاءَ وَٱلنُّوَائِحَ عَلَىٰ قَتْلاَهُمْ، فَذَرَّفَتْ عَيْنَا رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَبَكَىٰ ثُمَّ قَالَ: لٰكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَىٰ دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ، أَمَرَ نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ عَلَىٰ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱلله عليهِ وسلم.

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بُكَاءَهُنَّ عَلَىٰ حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ وَهُنَّ عَلَىٰ بَابِ مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ٱرْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ ٱللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ، وَنَهَىٰ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّوْحِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بُكَاءَهُنَّ، قَالَ: رَحِمَ ٱللهُ ٱلأَنْصَارَ،

فَإِنَّ ٱلْمُوَاسَاةَ ـ ما عتمت[1] ـ لَقَدِيمَةٌ، مُرُوهُنَّ فَلْيَنْصَرِفْنَ وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ قَدْ لَحِقُوا قُرَيْشاً إِلَىٰ حَمْرَاءِ ٱلأَسَدِ[2] لِيُرْهِبُوا ٱلْعَدُوَّ وَلِتَعْرِفَ قُرَيْشٌ أَنَّ بِهِمْ قُوَّةً، وَأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ مَا ظَنَّتْ وَأَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَفُتَّ فِي عَضُدِهِمْ، إِلاَّ أَنَّ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ حَادِثاً أَلِيماً أَضْعَفَ قُوَّةَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي نَظَرِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْعَرَبِيَّةِ وَمَنْ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ مِنَ ٱلأَعْرَابِ، فَطَمِعُوا فِي غَزْوِ ٱلْمَدِينَةِ.

وَكَانَتْ حَادِثَةُ ٱلرَّجِيعِ حَيْثُ غَدَرَتْ عَضَلٌ وَٱلْقَارَةُ[3] بِسِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ مَعَهُمْ لِيُفَقِّهُوهُمْ فِي ٱلدِّينِ.

ثُمَّ كَانَتْ حَادِثَةُ بِئْرِ مَعُونَةَ حَيْثُ غَدَرَتْ بَنُو سُلَيْمٍ بِسَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَرْسَلَهُمْ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ.

وَحَاوَلَ بَنُو ٱلنَّضِيرِ مِنَ ٱلْيَهُودِ قَتْلَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ غَدْراً، فَحَاصَرَهُمْ، وَأَجْلاَهُمْ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا إِلَىٰ خَيْبَرَ،

---

(١) ما علمت.

(٢) حمراء الاسد: موقع جنوب غربي المدينة على بعد ١٠٠ كم منها ويقع شمال شرق بدر.

(٣) عضل والقارة: اسم قبيلتين.

وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ .

وَقَدْ قَسَمَ غَنَائِمَ بَنِي ٱلنَّضِيرِ عَلَىٰ ٱلْمُهَاجِرِينَ دُونَ ٱلأَنصَارِ بَعْدَ ٱسْتِشَارَةِ ٱلأَنْصَارِ وَمُوَافَقَتِهِمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَلَمْ يُعْطِ أَحَداً مِنَ ٱلأَنْصَارِ مِنْ غَنَائِمِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ إِلاَّ رَجُلَيْنِ فَقِيرَيْنِ ، هُمَا : سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَأَبُو دُجَانَةَ ، وَقَدْ أَعْطَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ سَيْفَ سَيِّدِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ سَلاَّمِ بْنِ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ إِلَىٰ سَيِّدِ ٱلأَوْسِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ لِذٰلِكَ ٱلسَّيْفِ ذِكْرٌ عِنْدَ ٱلْعَرَبِ [1] .

---

(١) انظر للتوسع بشأن هاتين الغزوتين: أحد وبني النضير ، كتابنا : السيرة النبوية ، صدر عن المكتب الاسلامي .

سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ

وَصَلَ خَبَرٌ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَنَّ سَيِّدَ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ ٱلْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ قَدْ أَخَذَ يَحْشُدُ قَوْمَهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَبَائِلِ ٱلعَرَبِ لِغَزْوِ ٱلمَدِينَةِ، وَقَدْ جَمَعَ لِذٰلِكَ جُمُوعاً كَثِيرَةً.

وَلَمَّا تَأَكَدَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلْخَبَرِ، أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلرَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا ٱلْتَقَىٰ بِهِمْ أَحَاطَ بِهِمْ، فَمَا أَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ عَشَرَةُ قَتْلَىٰ، ثُمَّ ٱسْتَوْلَىٰ ٱلْجَيْشُ ٱلإِسْلامِيُّ عَلَىٰ مَنَازِلِهِمْ وَعَلَىٰ كُلِّ مَا فِيهَا، وَٱسْتَاقَ كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَٱلشَّاءِ وَٱلإِبِلِ، وَسَبَىٰ نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيهِمْ.

وَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِنْتَ ٱلْحَارِثِ زَعِيمِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَنِ ٱفْتَدَاهَا أَبُوهَا، وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَأَبُوهَا.

ثُمَّ أَطْلَقَ سَرَاحَ ٱلأَسْرَىٰ وَٱلسَّبَايَا، وَأَثْنَاءَ عَوْدَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ حَدَثَتْ حَادِثَةُ ٱلإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ ٱلنِفَاقِ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيٍّ.

وَخَطَبَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ، وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ عَلَىٰ ٱلْمِنْبَرِ: مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَ ٱللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلاَّ مَعِي، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يا رَسُولَ ٱللهِ أَنَا وَٱللهِ أُعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ ٱلأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَهُوَ سَيِّدُ ٱلْخَزْرَجِ وَقَدْ أَخَذَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ، لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ ذٰلِكَ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ ٱللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ.(١)

---

(١) انظر كتابنا «السيرة النبوية».

سَعْدُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ في معركة الخندق

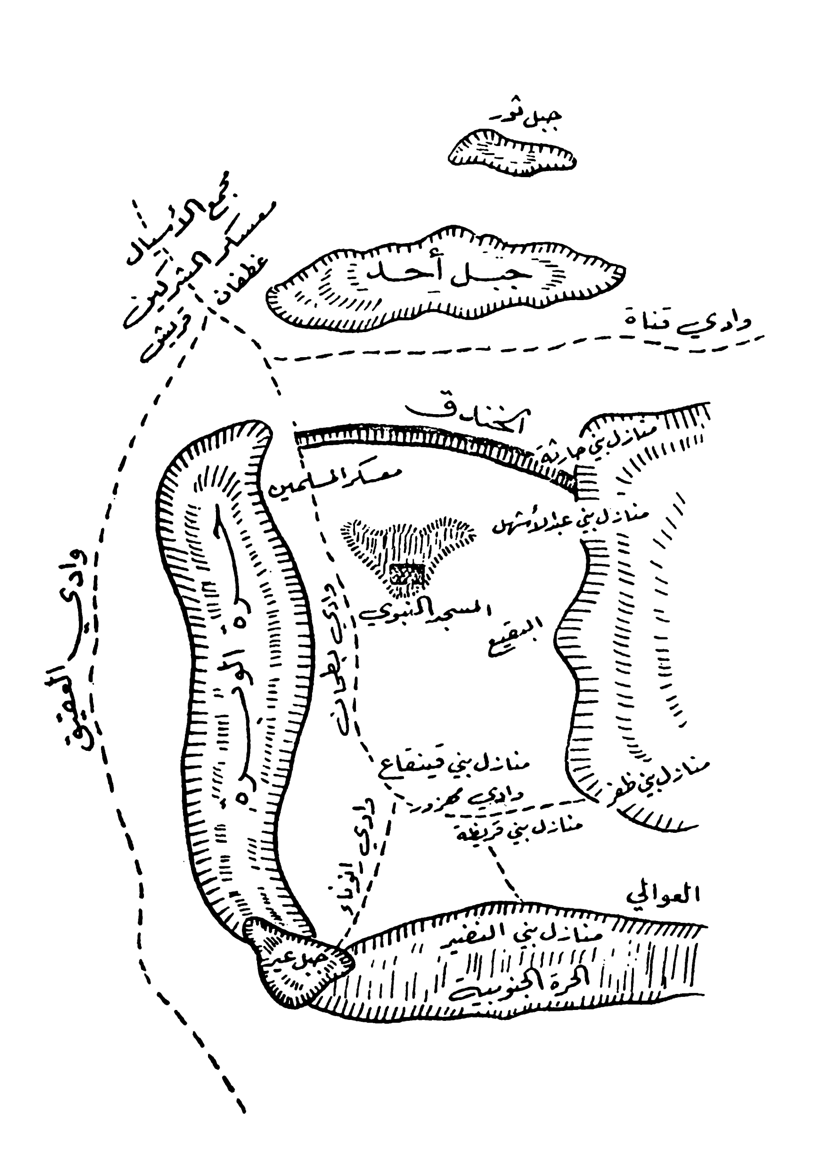
ٱسْتَطَاعَ ٱلْيَهُودُ ٱلَّذِينَ أُجْلُوا عَنِ ٱلْمَدِينَةِ، وَٱتَّجَهُوا نَحْوَ خَيْبَرَ، أَنْ يُخْضِعُوا أَهْلَ خَيْبَرَ لِنُفُوذِهِمْ، كَمَا ٱسْتَطَاعَ بَعْضُ زُعَمَائِهِمْ أَمْثَال : سَلاَّمِ بْنِ أَبي ٱلْحُقَيْق وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ أَنْ يُحَرِّضُوا قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَأَنْ يُحَزِّبُوا ٱلأَحْزَابَ ضِدَّهُ.

خَرَجَتْ هٰذِهِ ٱلأَحْزَابُ لِتُقَاتِلَ رَسُولَ ٱللهِ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ يَقُودُ قُرَيْشاً، وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ابْنِ بَدْرٍ[1] وَٱلْحَارِثُ[2] بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبي حَارِثَةَ ٱلْمُرِّيِّ يَقُودَانِ غَطَفَانَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ ﷺ جَعَلَ ٱلْخَنْدَقَ حَوْلَ ٱلْمَدِينَةِ بِٱقْتِرَاحٍ مِنْ سَلْمَانَ ٱلْفَارِسِيِّ.

---

(١) عيينة لقب واسمه الصحيح حذيفة، وإنما لقب بـ (عيينة) لشتر كان في إحدى عينيه، وكان زعيم بني فزارة، أسلم، ثم ارتد، وكان مع طليحة المتنبيء، أخذ أسيراً أثناء حروب الردة، ومنّ عليه أبو بكر رضي الله عنه فأظهر الإسلام وكان رسول الله ﷺ يسميه الأحمق المطاع.

(٢) الحارث زعيم بني مرة.


جبل ثور
جبل أحد
وادي قناة
مجمع الأسيال
معسكر المشركين
غطفان
قريش
الخندق
معسكر المسلمين
منازل بني حارثة
منازل بني عبد الأشهل
المسجد النبوي
البقيع
وادي بطحان
حرة الوبرة
وادي العقيق
منازل بني قينقاع
وادي مهزور
منازل بني قريظة
منازل بني ظفر
العوالي
منازل بني النضير
الحرة الجنوبية
جبل عير

وَصَلَتِ ٱلأَحْزَابُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَبَلَغَ تَعْدَادُ جُنْدِهَا عَشَرَةَ آلاَفِ مُقَاتِلٍ وَتَمَرْكَزُوا جَنُوبَ غَرْبِيّ جَبَلِ أُحُدٍ في مَجْمَعِ ٱلأَسْيَالِ وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللهِ في ثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَتَمَرْكَزُوا شِمَالَ جَبَلِ سَلْعٍ، وَيَفصِلُ ٱلْخَنْدَقُ بَيْنَ ٱلْمُعَسْكَرَيْنِ.

نَزَلَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ دَارَ بَنِي قُرَيْظَةَ في ٱلْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ زَعِيمِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَصَاحِبِ عَقْدِهِمْ وَعَهْدِهِمْ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّىٰ نَقَضَ ٱلْعَهْدَ وَبَرِىءَ مِمّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ، وَنَزَلَ حُيَيٌّ مَعَهُ في حِصْنِهِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ خَبَرُ نَقْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ ٱلْعَهْدَ؛ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَعَبْدَ ٱللهِ بْنَ رَوَّاحَةَ وَخَوَّاتَ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: ٱنْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ أَمْ لاَ؟ فَإِنْ كَانَ حَقّاً، فَٱلْحَنُوا لِي لَحْناً أَعْرِفُهُ،[1] وَلاَ تَفُتُّوا في أَعْضَادِ ٱلنَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ ٱلْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ، فَخَرَجُوا حَتَّىٰ أَتَوْهُمْ،

---

(١) لَحَنَ له: قال له قولاً يفهمه ويخفى على غيره.

فَوَجَدُوهُمْ عَلَىٰ أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُمْ عَنْهُمْ، فِيمَا نَالُوا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَقَالُوا: مَنْ رَسُولُ ٱللهِ؟ لاَ عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلاَ عَقْدَ، فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِيهِ حِدَّةٌ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: دَعْ عَنْكَ مَشَاتِمَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَىٰ مِنَ ٱلْمُشَاتَمَةِ وَنَصَحَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بَنِي قُرَيْظَةَ وَهُمْ حُلَفَاؤُهُ فِي مُحَاوَلَةٍ أَخِيرَةٍ يَدْعُوهُمْ بِٱلرُّجُوعِ عَنْ غَيِّهِمْ، وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ نَقْضِ ٱلْعَهْدِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يا بَنِي قُرَيْظَةَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ أَوْ أَشَدَّ مِنْهُ وَلٰكِنَّهُمْ سَخِرُوا مِنْ سَيِّدِ ٱلأَوْسِ وَتَكَلَّمُوا مَعَهُ كَلِمَاتٍ قَذِرَةً.

فَقَالَ لَهُمْ سَعْدٌ: «غَيْرُ هٰذَا ٱلْقَوْلِ كَانَ أَجْمَلَ بِكُمْ وَأَحْسَنَ يا بَنِي قُرَيْظَةَ» فَتَمَادَىٰ يَهُودُ فِي غَيِّهِمْ، وَنَالُوا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صلى الله عليهِ وسلم.

فَلَمَّا يَئِسَ سَعْدٌ، وَيَئِسَ ٱلْوَفْدُ ٱلَّذِي مَعَهُ تَرَكُوهُمْ، وَعَادُوا إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَضَلٌ وَٱلْقَارَةُ[1] فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: ٱللهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يا مَعْشَرَ ٱلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه.

وَعَظُمَ عِنْدَ ذٰلِكَ ٱلْبَلاَءُ وَٱشْتَدَّ ٱلْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ، وَنَجَمَ ٱلنِّفَاقُ مِنْ بَعْضِ ٱلْمُنَافِقِينَ حَتَّىٰ قَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ:(١) كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرٍ وَأَحَدُنَا ٱلْيَوْمَ لاَ يَأْمَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ ٱلْغَائِطِ، وَحَتَّىٰ قَالَ أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ: يا رَسُولَ ٱللهِ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ عَلَىٰ ٱلْعَدُوِّ، وَذٰلِكَ عَلَىٰ مَلإٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ، فَنَرْجِعَ، إِلَىٰ دَارِنَا، فَإِنَّهَا خَارِجَ ٱلْمَدِينَةِ.. فَأَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ:

« يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً، إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَ: هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً، وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنَ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ

---

(١) معتب بن قشير من الانصار من قبيلة الاوس من بني عمرو بن عوف، ولم يكن من المنافقين وقد شهدا بدراً.

بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً» فَأَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَأَقَامَ ٱلْمُشْرِكُونَ بِضْعاً وَعِشرِينَ لَيْلَةً، وَلَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلاَّ ٱلرَّمْيَ بِٱلنَّبْلِ وَٱلْحِصَارَ. فَلَمَّا ٱشْتَدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلْبَلاَءُ بَعَثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَإِلَى ٱلْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ٱلْمُرِّيِّ، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ، فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ ٱلْمَدِينَةِ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ٱلصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا ٱلْكِتَابَ وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلشَّهَادَةُ وَلاَ عَزِيمَةُ ٱلصُّلْحِ إِلاَّ ٱلْمُرَاوَحَةَ فِي ذٰلِكَ، وَٱسْتِشَارَةَ زُعَمَاءِ ٱلأَنْصَارِ. فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُمَا وَٱسْتَشَارَهُمَا فِيهِ فَقَالاَ لَهُ: يا رَسُولَ ٱللهِ أَمْراً تُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئاً أَمَرَكَ ٱللهُ بِهِ، لاَ بُدَّ لَنَا مِنَ ٱلْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَٱللهِ مَا أَصْنَعُ ذٰلِكَ إِلاَّ لأَنَّنِي رَأَيْتُ ٱلْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ: يا رَسُولَ ٱللهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِٱللهِ وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، لاَ نَعْبُدُ ٱللهَ وَلاَ نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لاَ

يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً وَاحِدَةً إِلاَّ قِرىً أَوْ بَيْعاً، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا ٱللهُ بِٱلْإِسْلاَمِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنا؟ وَٱللهِ مَالَنَا بِهٰذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَٱللهِ لاَ نُعْطِيهِمْ إِلاَّ ٱلسَّيْفَ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: فَأَنْتَ وَذَاكَ، فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا ما فِيهَا مِنَ ٱلْكِتَابِ ثُمَّ وَجَّهَ كَلاَمَهُ إِلَىٰ سَيِّدَيْ غَطَفَانَ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وَٱلْحَارِثِ بْنِ عَوْفٍ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ ٱرْجِعَا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ سِوَىٰ ٱلسَّيْفِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا وَكَانَ لِهٰذَا ٱلْكَلاَمِ أَثَرُهُ ٱلْحَسَنُ فِي إِضْعَافِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلْخَصْمِ، وَزِيَادَةِ مَعْنَوِيَّاتِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ ٱلْعَقِيدَةِ وَشِحَنَاتِ ٱلإِيْمَان ٱلشَّدِيدَةِ.

وَأَقَامَ ٱلْمُسْلِمُونَ خَلْفَ ٱلْخَنْدَق، وَٱلأَحْزَابُ يُحَاصِرُونَ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ خَلْفِهِ، وَحَاوَلَ بَعْضُ أَبْطَال ٱلأَحْزَاب ٱقْتِحَامَ ٱلْخَنْدَقِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ ٱلعَامِرِيُّ وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرُهُمْ وَبَرَزَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِعَمْرِو ابْنِ عَبْدِوُدٍّٱلْعَامِرِيِّٱلَّذِي دَعَا إِلَىٰ ٱلْمُبَارَزَةِ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فَوَلَّتْ خَيْلُ ٱلأَحْزَابِ ٱلأَدْبَارَ وَٱقْتَحَمَتِ ٱلْخَنْدَقَ مُنْهَزِمَةً إِلَىٰ خَلْفِهِ.

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ ٱلطَّرَفَيْنِ غَيْرِ ذٰلِكَ إِلاَّ ٱلرَّمْيَ بِٱلنِّبَالِ وَٱلْحِصَارَ وَأَثْنَاءَ هٰذَا ٱلْحِصَارِ كَانَتْ نِسَاءُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْحُصُونِ، كَمَا كَانَ بعْضُ ٱلرِّجَالِ يَحْمُونَ ٱلْحُصُونَ، وَيُدَافِعُونَ عَنِ ٱلنِّسَاءِ فِيمَا إِذَا تَعَرَّضْنَ لِغَارَةٍ أَوْ لِمَكِيدَةٍ مِنَ ٱلْخَلَفِ مِنْ قِبَلِ بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ، وَكَانَ مِنْ أَحْرَزِ حُصُونِ ٱلْمَدِينَةِ. وَكَانَتْ أُمُّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مَعَهَا فِي ٱلْحِصْنِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يا أُمَّ سَعْدٍ وَٱللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ[1] مِمَّا هِيَ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي نَفْسِهَا وَخِفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ ٱلسَّهْمُ مِنْهُ، وَكَانَ قَدْ مَرَّ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ مُقَلَّصَةٌ[2]، قَدْ خَرَجَتْ مِنْها ذِرَاعُهُ كُلُّهَا، وَفِي يَدِهِ حَرْبَتُهُ يَرْقَدُّ[3] بها وَيَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ ٱلْهَيْجَا جَمَلْ
لاَ بَأْسَ بِٱلْمَوْتِ إِذَا حَانَ ٱلأَجَلْ[4]

---

(١) أسبغ: أكمل وأطول.

(٢) قصيرة، تقلص الشيء ارتفع وانقبض.

(٣) يَرْقَدّ، يسرع. ٱرْقَدَّ: أسرع في السير. لَبِّثْ: ٱنْتَصِر.

(٤) البيت ليس لسعد بن معاذ وإنما كان يتمثل به.

وَمَا إِنْ وَصَلَ سَعْدٌ إِلَىٰ جَانِبِ ٱلْخَنْدَقِ حَتَّىٰ رُمِيَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ فِي ٱلأَكْحَلِ،[1] وَيُقَالُ إِنَّ ٱلَّذِي رَمَاهُ هُوَ حِبَّانُ بْنُ قَيْسٍ ٱبْنِ ٱلْعَرِقَةِ.[2] فَلَمَّا أَصَابَهُ، قَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ٱبْنُ ٱلْعَرِقَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: عَرَّقَ ٱللهُ وَجْهَكَ فِي ٱلنَّارِ، ٱللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئاً، فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لاَ قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، ٱللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ ٱلْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَٱجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلاَ تُمِتْنِي حَتَّىٰ تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ[3].

(١) الأَكْحَلُ: عِرْقٌ فِي ٱلْيَدِ.

(٢) هو ابن قيس بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص ابن عامر بن لؤي والعرقة هي قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة، وسميت العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة، أم أمها هالة.

ويروى أن الذي أصحاب سعداً رضي الله عنه هو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم، كما ويروى أن الذي رمى سعداً هو خفاجة بن عاصم بن حبان.

(٣) انظر كتابنا «السيرة النبوية».

سَعْدُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ
في غزوة بني قُرَيظَة

أَقَامَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ٱلْخَوْفِ وَٱلشِّدَّةِ، لِتَظَاهُرِ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ: وَإِتْيَانِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ وَهُوَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَالَ لَهُ: يا رَسُولَ ٱللهِ، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، وإِنَّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمي فَمُرْني بمَا شِئْتَ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا إِنِ ٱسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ ٱلْحَرْبَ خُدْعَةٌ، فَخَرَجَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعودٍ حَتَّىٰ أَتَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيماً في ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: يا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي إِيَّاكُمْ، وَخَاصَّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: صَدَقْتَ، لَسْتَ عِنْدَنَا بِمُتَّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ لَيسُوا كَأَنْتُمْ، ٱلْبَلَدُ بَلَدُكُمْ، فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ، لاَ تَقْدِرُونَ عَلَىٰ أَنْ تَتَحَوَّلُوا مِنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ، وَإِنَّ قُرَيْشاً وَغَطَفَانَ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ. وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذٰلِكَ لَحِقُوا بِبِلاَدِهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلرَّجُلِ بِبَلَدِكُمْ، وَلاَ

طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلاَ بِكُمْ، فَلاَ تُقَاتِلُوا مَعَ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْناً مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ ثِقَةً لَكُمْ، عَلَىٰ أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمَّداً حَتَّىٰ تُنَاجِزُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ قُرَيْشاً، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدِّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمَّداً، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْتُ عَلَيَّ حَقّاً أَنْ أُبَلِّغَكُمُوهُ، نُصْحاً لَكُمْ، فَٱكْتُمُوا عَنِّي، إِنَّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَقَدِ ٱتَّفَقُوا أَنْ يَأْخُذُوا رَهَائِنَ مِنْكُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَأَنْ يُقَاتِلُوا مَعَ مُحَمَّدٍ، فَإِنْ بَعَثُوا إِلَيْكُمْ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْناً مِنْ رِجَالِكُمْ فَلاَ تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلاً وَاحِداً .

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ غَطَفَانَ فَقَالَ: يا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إِنَّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبُّ ٱلنَّاسِ إِلَيَّ، وَلاَ أَرَاكُمْ تَتَّهِمُونِي، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ ، وَحَذَّرَهُمْ مَا حَذَّرَهُمْ .

وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ بَيْنَ ٱلأَحْزَابِ، وَبَعَثَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ رِيحاً عَاتِيَةً فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ ٱلْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تُطْفِىءُ قُدُورَهُمْ، وَتَقْلَعُ خِيَامَهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ

قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَٱللهِ مَـا أَصْبَحْتُـمْ بِـدَارِ مُقَـامٍ ، لَقَـدْ هَلَـكَ ٱلْكُرَاعُ وَٱلْخُفُّ، وَأَخْلَفَتْنَا بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَلَغَنَـا عَنْهُـمُ ٱلَّـذِي نَكْرَهُ، وَلَقِينَا مِنْ شِدَّةِ ٱلرِّيحِ مَا تَرَوْنَ، مَا تَطْمَئِنُّ لَنَا قِدْرٌ، وَلاَ تَقُومُ لَنَا نَارٌ، وَلاَ يَسْتَمْسِكُ لَنَـا بِنَـاءٌ، فَـٱرْتَحِلُـوا إِنِّـي مُرْتَحِلٌ.

وَسَمِعَتْ غَطَفَانُ بِمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ فَٱنْشَمَرُوا رَاجِعِينَ إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ. ٱرْتَحَلَتِ ٱلأَحْزَابُ، وَٱنْصَرَفَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَنِ ٱلْخَنْدَقِ رَاجِعاً إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَوَضَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلسِّلاَحَ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلظُّهْرُ، أَتَىٰ جِبْرِيلُ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ ٱلسِّلاَحَ يا رَسُولَ ٱللهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ، فَمَا وَضَعَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ ٱلسِّلاَحَ بَعْدُ. إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ يا مُحَمَّدُ بِٱلْمَسِيرِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُؤَذِناً فِي ٱلنَّاسِ: مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً، فَلاَ يُصَلِّيَنَّ ٱلْعَصْرَ إِلاَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ.

وَقَدَّمَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِرَايَتِهِ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَسَارَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ. وَتَحَصَّنَ ٱلْيَهُودُ دَاخِلَ حُصُونِهِمْ وَطَالَ ٱلأَمْرُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَجِدُوا بُدّاً مِنَ

ٱلنُّزُول عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ خَمْساً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، فَتَوَاثَبَتِ ٱلأَوْسُ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ إِنَّهُمْ مَوالِينَا دُونَ ٱلْخَزْرَجِ ، وَقَدْ فَعَلْتَ في مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِٱلأَمْسِ مَا قَدْ فَعَلْتَ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ ٱلْخَزْرَجِ ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِهِ. فَسَأَلَهُ إِيّاهُم عَبْدُ ٱللهِ ٱبْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ ٱلأَوْسُ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : أَلاَ تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ ٱلأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فَذَاكَ إِلَىٰ سَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ، وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ في خَيْمَةٍ لاَمْرَأَةٍ مِنْ (أَسْلَمَ)، يُقَالُ لَهَا (رُفَيْدَةُ)، وَفي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُداوِي ٱلْجَرْحَى، وَتَحْتِسبُ بِنَفْسِهَا عَلَىٰ خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ ٱلسَّهْمُ بِٱلْخَنْدَقِ ٱجْعَلُوهُ في خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ، حَتَّىٰ أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا حَكَّمَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ في بَنِي قُرَيْظَةَ، أَتاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَىٰ حِمَارٍ وَقَدْ وَضَعُوا لَهُ وِسَادَةً مِنْ أَدمٍ ، وَكَانَ رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ عَلَىٰ

رَسُولِ ٱللهِ ﷺ .

وَهُمْ يَقُولُونَ: يا أَبا عَمْرٍو، أَحْسِنْ في مَوَالِيكَ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ إِنَّمَا وَلاَّكَ ذٰلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيهِ قَالَ: لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلاَّ تَأْخُذَهُ في ٱللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ . فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَىٰ دَارِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ، فَنَعَىٰ لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ ٱلَّتِي سمعها مِنْهُ فَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ سَعْدٌ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ. فَأَمَّا ٱلْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَيَقُولُون: إِنَّما أَرَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلأَنْصَارَ، وَأَمَّا ٱلأَنْصَارُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَدْ وَلاَّكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدٌ: أَخْشَىٰ أَلاَّ أُصِيبَ فِيهِمْ حُكْمَ ٱللهِ ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : آحْكُمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ـ وَقَدْ ٱتَّجَهَ نَحْوَ ٱلأَوْسِ ـ عَلَيْكُمْ بِذٰلِكَ عَهْدُ ٱللهِ وَمِيثَاقُهُ، أَنَّ ٱلْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَعَلَىٰ مَنْ هٰهُنا؟ في ٱلنَّاحِيَةِ ٱلَّتِي كَانَ فِيهَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ إِجْلاَلاً، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ: نَعَمْ، قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ ٱلرِّجَالُ، وَتُقْسَمَ ٱلأَمْوَالُ، وَتُسْبَىٰ

ٱلذَّرَارِي وَٱلنِّسَاءُ. قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ ٱللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ[1] ثُمَّ ٱسْتُنْزِلُوا، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ ٱلْحَارِثِ[2] مِنْ بَنِي ٱلنَّجَّارِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ سُوقِ ٱلْمَدِينَةِ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ ٱلْخَنَادِقِ، يُخْرَجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالاً[3] وَفِيهِمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ رَأْسُ ٱلْقَوْمِ، وَحُيَيُّ بْنُ أَخطَبَ مِنْ بَنِي ٱلنَّضِيرِ، وَهُوَ ٱلَّذِي حَرَّضَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَىٰ نَقْضِ عَهْدِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَكَانَ قَدْ نَزَلَ مَعَهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، وَكَانَ عَدَدُ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّمِائَةٍ أَوْ سَبعَمِائَةٍ، وَتَقُولُ بَعْضُ ٱلرِّوَايَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ ٱلثَّمَانِمِائَةٍ وَٱلتِّسْعِمِائَةِ.

---

(١) أرقعة: جمع رقيع وهو السماء.

(٢) رملة بنت الحارث: قد اختلف في نسبها وهي من بني النجار.

(٣) أرسالا: طائفة بعد أخرى.

وَفَاةُ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

فَلَمَّا ٱنْقَضَىٰ شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ ٱنْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ جُرْحُهُ، وَقَدْ كَانَ بَرَأَ حَتَّىٰ مَا يُرَىٰ مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ مِثْلَ الخُرْصِ . وَٱسْتَجَابَ ٱللَّهُ دَعْوَتَهُ. وَقَدْ شَهِدَ مَصِيرَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَجَعَلَهَا ٱللَّهُ لَهُ شَهَادَةً، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ وَقَدْ ذَكَرَ ٱلْحُمَّىٰ: مَنْ كَانَتْ بِهِ فَهِيَ حَظُّهُ مِنَ ٱلنَّارِ، فَسَأَلَهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ رَبَّهُ، فَلَزِمَتْهُ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّىٰ فَارَقَ ٱلدُّنْيَا، وَأَجَابَهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ سُؤَالِهِ، وَسَمِعَ دُعَاءَهُ.

أُعِيدَ سَعْدٌ إِلَىٰ قُبَّتِهِ ٱلَّتِي ضَرَبَهَا لَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ، فَحَضَرَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فَوَٱلَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَعْرِفُ بُكَاءَ أَبِي مِنْ بُكَاءِ عُمَرَ وَأَنَا فِي حُجْرَتِي، وَأَخَذَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ رَأْسَ سَعْدٍ وَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، وَسُجِّيَ بِثَوْبٍ أَبْيَضَ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ: ٱللَّهُمَّ إِنَّ سَعْداً قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، وَصَدَّقَ رَسُولَكَ، وَقَضَىٰ ٱلَّذِي عَلَيْهِ، فَتَقَبَّلْ رُوحَهُ بِخَيْرِ مَا تَقَبَّلْتَ بِهِ رُوحاً. فَلَمَّا سَمِعَ سَعْدٌ كَلاَمَ رَسُولِ ٱللَّهِ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ٱلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا

رَسُولَ ٱللهِ، أَمَا إِنِي أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ ٱللهِ، وَلَمَّا رَأَىٰ أَهْلُ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ قَدْ وَضَعَ رَأْسَهُ في حِجْرِهِ ذُعِرُوا وَٱعْتَقَدُوا أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ حَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: جَزَاكَ ٱللهُ خَيْراً يا رَسُولَ ٱللهِ مِنْ سَيِّدِ قَوْمٍ، فَقَدْ أَنْجَزْتَ ٱللهَ مَا وَعَدْتَهُ، ولَيُنْجِزَنَّكَ ٱللهُ مَا وَعَدَكَ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ أَتَـىٰ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ حِينَ قُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ جَوْفِ ٱللَّيْلِ مُعْتَمِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ مَنْ هٰذَا ٱلْمَيْتُ ٱلَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ، وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ؟ فَقَامَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ إِلَىٰ سَعْدٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ.

وَجَاءَ بَنُو عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَٱحْتَمَلُوا سَعْداً إِلَـىٰ دِيـارِهِـمْ. وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَقُولُ: هَنِيئاً لَكَ أَبا عَمْرٍو، هَنيئاً لَكَ أَبا عَمْرٍو ثُمَّ غُسِّلَ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَبْكِي وَتَقُولُ:

وَيْـلَ ٱمِّ سَعْـدٍ سَعْـدا صَـرَامَـةً وَحَـدّا
وَسُـؤْدُداً وَمَجْـدا وَفَـارِسَـاً مُعَـدّا
سُـدَّ بِـهِ مَسَـدّا يَقُـدُّ هَـامـاً قَـدّا

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: مَهْلاً أُمَّ سَعْدٍ لاَ

تَذْكِري سَعْداً، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

وَحَمَلَ ٱلنَّاسُ جِنَازَتَهُ، فَوَجَدُوا لَهُ خِفَّةً، مَعَ أَنَّهُ كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ رَجُلاً جَسِيماً، فَقَالُوا ذٰلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: إِنَّ لَهُ حَمَلَةً غَيْرَكُمْ، وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ ٱسْتَبْشَرَتِ ٱلْمَلاَئِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ، وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ، وَلَمَّا دُفِنَ سَعْدٌ تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، فَسَبَّحَ، فَسَبَّحَ ٱلنَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرَ ٱلنَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ ٱللهِ، مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قَالَ: لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَىٰ هٰذَا ٱلْعَبْدِ ٱلصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّىٰ فَرَّجَهُ ٱللهُ عَنْهُ.

وَرَوَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِياً لَكَانَ سَعْدَ ابْنَ مَعَاذٍ. وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لأُمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَلاَ يَرْقَأُ دَمْعَكِ وَيُذْهِبُ حُزْنَكِ أَنَّ ٱبْنَكِ أَوَّلُ مَنْ ضَحِكَ ٱللهُ لَهُ وَٱهْتَزَّ لَهُ ٱلْعَرْشُ؟. وَأَتَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ لِينِهِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي ٱلْجَنَّةِ أَلْيَنُ مِنْ هٰذَا.

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ جِنَازَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ نَزَلُوا إِلَىٰ ٱلأَرْضِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَذَكَرَ مَنْ حَضَرَ قَبْرَهُ أَنَّ رَائِحَةَ ٱلْمِسْكِ كَانَتْ تَفُوحُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلتُّرَابِ .

وَدُفِنَ بِٱلْبَقِيعِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبعاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَشَدُّ فَقْداً عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا مِنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ .

وَقَضَىٰ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ شَهِيداً وَقَدْ صَدَقَ ٱللهَ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ فَأَثَابَهُ ٱللهُ جَنَّةً عَرْضُهَا ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .

وَنَرْجُو مِنَ ٱللهِ أَنْ تَكُونَ دِرَاسَةُ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ أُسْوَةً حَسَنَةً لَنَا فِي أَعْمَالِنَا وَسُلُوكِنَا وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

الخاتمة

إِنَّ حَيَاةَ ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لَتُبَيِّنُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ صَحَابَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ٱلَّذِينَ ٱمْتَازُوا بِرَجَاحَةِ عَقْلِهِمْ وَعَظِيمِ إِيمَانِهِمْ وَكَبِيرِ ثِقَتِهِمْ بِرَبِهِمْ، وَلَمْ تَكُنْ أَقْوَالُهُ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ يُلْقِيهَا وَإِنَّمَا كَانَتْ تُتَرْجَمُ إِلَىٰ أَعْمَالٍ وَأَفْعَالٍ تَنِمُّ عَنْ إِخْلَاصٍ كَبِيرٍ وَإِيمَانٍ عَمِيقٍ، فَإِنَّ ٱلْفِكْرَةَ لاَ تُؤْخَذُ بِٱلنَّظَرِيَّاتِ وَمِنْ صَفَحَاتِ ٱلْكُتُبِ وَإِنَّمَا مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلَّذِينَ يَتَمَثَّلُونَهَا.

وَإِنَّ قُوَّةَ إِيمَانِهِ قَدْ جَعَلَتْهُ يَخْلَعُ كُلَّ رَوَاسِبِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَيَأْخُذُ ٱلإِسْلَامَ جُمْلَةً وَاحِدَةً عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَتَشْرِيعاً. وَقَدْ صَقَلَهُ هٰذَا الإِسْلَامُ بِتَرْبِيَتِهِ فَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ٱلَّذِي عَرَفْنَا حَيَاتَهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

وَلَقَدْ كَانَ قَائِدَ حَرَسِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضُ أَبْطَالِ ٱلأَوْسِ أَمْثَالُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا.

بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٨ -



بسم الله الرحمن الرحيم

ـ قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يسمو عليهم فضلاً سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر » .

ـ وقالت رضي الله عنها : تهجَّد رسول الله فسمع صوت عبَّاد فقال اللهم اغفر له .

ـ روى البخاري في صحيحه « ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلةٍ مظلمة ، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرّقا فتفرق النور معهما » .

ـ « كان أسيد بن حضير وعبَّاد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عصا عبَّاد تضيء له إذا خرج من عند رسول الله في ظلمة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْـدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَـالَمِينَ وَٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ عَلَـىٰ سَيِّـدِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ ٱلصَّحَابَةَ ذٰلِكَ ٱلْجِيلَ ٱلَّذِي تَرَبَّىٰ عَلَىٰ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ كَثْرَتِهِ كَـانَ جِيلاً مِثَـالِيّـاً، وَكُـلَّ فَـرْدٍ مِنْهُـمْ يُمْكِـنُ أَنْ يَكُـونَ قُدْوَةً يُقْتَدَىٰ بِهَا وَأُسْوَةً يُهْتَدَىٰ بِهَا، وَإِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ عُرِفَ لَدَىٰ ٱلنَّاسِ جَمِيعاً، وَيَذْكُرُهُ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ لِمَا لَهُ فِي نُفُوسِهِمْ مِنِ ٱحْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ؛ فَمَا ذٰلِكَ إِلاَّ لأَنَّهُ قَدْ تَسَلَّمَ مَسْؤُولِيَّةً، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي جَعَلَهُ عَلَىٰ صِلَةٍ بِٱلنَّاسِ جَمِيعاً، أَوْ جَعَلَ وَضْعَهُ ٱلاَجْتِمَاعِيَّ عَلَىٰ تَمَاسٍّ بِٱلآخَرِينَ، يَحُلُّ لَهُمُ ٱلْمُشْكِلاَتِ، وَيَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ، فَأَصْبَحَ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ يَعْرِفُونَهُ، وَيَأْخُذُونَ مِن حُكْمِهِ قَوَاعِدَ يَسِيرُونَ عَلَيْهَا وَمَنْهَجاً يَتَّخِذُونَهُ نِبْرَاساً يَسْتَقُونَ مِنْهُ، وَيَقِيسُونَ فِيهِ سُلُوكَ ٱلْحَاكِمِ وَٱلْمَحْكُومِ عَلَىٰ حَدٍّ سَوَاءٍ، وَيُقَارِنُونَ بِهِ مَعَ أَنْفُسِهِمْ صِفَةَ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْمُسْتَسْلِمِ لأَوَامِرِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَـىٰ، ٱلـرَّاضِـي

بحُكْمِهِ، ٱلْمُنْقَادِ لِتَعَالِيمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، هٰذَا بِٱلإِضَافَةِ إِلَىٰ ٱلتَّارِيخِ ٱلَّذِي يُسَجِّلُ تَارِيخَ ٱلْحُكَّامِ وَٱلْمَسْؤُولِينَ، وَيَتَخَطَّىٰ ٱلْعُظَمَاءَ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِيُدَوِّنَهَا عُلَمَاءُ ٱلاجْتِمَاعِ وَغَيْرُهُمْ، وَيَهْتَمَّ بِهَا ٱلأَتْبَاعُ وَٱلْمُقَلِّدُونَ. وَلَرُبَّمَا كَانَ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ مَنْ يُوَازِي إِخْوَانَهُمُ ٱلْمَعْرُوفِينَ، وَيَفُوقُ بِلاَ شَكٍّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مَهْمَا سَمَا بِهِ ٱلْوَضْعُ، وَمَعَ هٰذَا فَقَدْ بَقِيَ مَجْهُولاً، فَهُوَ لا يُرِيدُ ٱلظُّهُورَ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ مَرْكَزاً مَشْهُوراً بَيْنَ ٱلنَّاسِ.

وَكُلُّ صَحَابِيٍّ سَوَاءٌ تَسَلَّمَ مَرْكَزاً أَمْ لاَ هُوَ عَظِيمٌ بِإِيمَانِهِ، عَظِيمٌ بِسُلُوكِهِ، يَأْخُذُ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْهُ جِهَادَهُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أُنْمُوذَجاً لِقِتَالِهِمْ، وَمِنْ حَيَاتِهِ ٱلْفَرْدِيَّةِ صُورَةً لأَنْفُسِهِمْ، وَمِنْ أَعْمَالِهِ قُدْوَةً لَهُمْ، وَمِنْ تَضْحِيَاتِهِ طَرِيقَةً لِلتَّضْحِيَةِ، وَمِنْ إِخْلاَصِهِ صُورَةً حَيَّةً عَنِ ٱلإِخْلاَصِ، وَمِنْ هٰؤُلاَءِ ٱلْعُظَمَاءِ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

وَلَمَّا كُنَّا نَحْنُ - أَتْبَاعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ - نَقْتَدِي بِهِ وَبِصَحَابَتِهِ ٱلْكِرَامِ كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَىٰ هٰؤُلاَءِ ٱلْعُظَمَاءِ، وَيَكْفِي أَنْ نَذْكُرَ مَا قَالَهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي شَأْنِ هٰؤُلاَءِ ٱلْكِرَامِ.

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : « إِنَّ خَيْرَ أُمَّتِي قِرْنِي، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يَسْتَشْهِدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ ٱلسِّمَنُ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ » . متفق عليه .

وَنَرْجُو مِنَ ٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْقَدِيرِ أَنْ نَكُونَ قَدْ وَفِّيْنَا فِي إِظْهَارِ شَخْصِيَّةِ هٰذَا ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ عَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . وَأَنْ تَكُونَ أَعْمَالُنَا خَالِصَةً للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَأَنْ يُمِدَّنَا بِٱلْعَوْنِ مِنْ عِنْدِهِ، فَهُوَ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ .

عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ

عَبَّادُ بْنُ بشْر بْنِ وَقْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ ذِرْوَةِ بُطُونِ ٱلأَوْسِ ، وَأَكْثَرِهَا جِهَاداً ، وَأَعلاَهَا مَرْتَبَةً، سَيِّدُهَا سَيِّدُ ٱلأَوْسِ كُلِّهِمْ، وَكَانَ يَوْمَذَاكَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَهُوَ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ جَمِيعِهِمْ، وَمَنْزِلَتُهُ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ كَمَنْزِلَةِ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ. وَلَمْ يُعْرَفِ ٱلنِّفَاقُ بَيْنَ أَفْرَادِ هٰذِهِ ٱلْقَبِيلَةِ أَبَداً .

كَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مَرْبُوعَ ٱلْقَامَةِ، أَبْيَضَ ٱللَّوْنِ ، وَضِيءَ ٱلْوَجْهِ، أَمْيَلَ إِلَىٰ ٱلْعَافِيَةِ، قَلِيلَ ٱلْكَلامِ ، كَثِيرَ ٱلْكَرَمِ ، دَائِمَ ٱلْعِبَادَةِ، مُسْرِعاً لِتَلْبِيَةِ ٱلنِّدَاءِ ، شَدِيدَ ٱلْحُبِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ، مُوَاظِباً عَلَىٰ ٱلتَّأَمُّلِ وَٱلتَّفْكِيرِ، كَثِيرَ ٱلْخُشُوعِ ، وَكَانَ سَيْفَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، تَرَاهُ فِي ٱلصُّفُوفِ ٱلأُولَىٰ أَثْنَاءَ ٱلْقِتَالِ ، تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي مَيْدَانِ ٱلْجِهَادِ فَتَجِدُهُ فِي كُلِّ سَاحَةٍ حَمِيَ فِيهَا ٱلْوَطِيسُ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ أَثْنَاءَ تَقْسِيمِ ٱلْغَنَائِمِ فَلاَ تَجِدُهُ إِلاَّ بِصُعُوبَةٍ .

١

أَرْسَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ دَاعِيَةً وَمُقْرِئاً لِلْقُرْآن في ٱلْمَدِينَةِ مَعَ أَصْحَابِ ٱلْعَقَبَةِ ٱلأُولَىٰ بَعْدَ بَيْعَتِهِمَ لِرَسُول ٱللهِ ﷺ، فَكَانَ مُصْعَبٌ يَلْتَقِي مَعَ ٱلنَّفَرِ في ٱلْمَدِينَةِ فَيُسْلِمُونَ، وَقَدْ عَاشُوا مِنْ قَبْلُ في تِيهِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَحَمْأَتِهَا، عَاشُوا في ضَيَاعٍ لاَ يَعْرِفُونَ شَيْئاً عَنْ حَيَاتِهِمُ ٱلأُخْرَوِيَّةِ، وَلاَ يَدْرُونَ إِلاَّ عَمَّا يَأْكُلُونَ وَكَأَنَّ ذٰلِكَ هَمُّهُمُ ٱلأَوَّلُ، وَلاَ يَعْلَمُونَ إِلاَّ مَا يَتَنَاكَحُونَ وَكَأَنَّ ذٰلِكَ مُبْتَغَاهُمْ، وَتِلْكَ هِيَ ٱلْحَيَاةُ ٱلْبَهِيمِيَّةُ، وَلاَ يَشْعُرُونَ إِلاَّ بِمَا يَكِيدُونَ خُصُومَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ يَرْتَبِطُونَ مَعَهُمْ بِٱلْعَصَبِيَّةِ، وَيَحْيَوْنَ مَعَهُمْ بِٱلْجِوَارِ، فَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ ظَمْأَىٰ إِلَىٰ ٱلإِيمَانِ، عَطْشَىٰ إِلَىٰ ٱلنِّظَامِ، وَبِحَاجَةٍ إِلَىٰ ٱلنَّاحِيَةِ ٱلرُّوحِيَّةِ لِتَجِدَ ٱلنَّفْسُ فِيهَا غَايَتَهَا مِنَ ٱلسَّكِينَةِ وَٱلرَّاحَةِ وَٱلطُّمَأْنِينَةِ، فَعِنْدَمَا بَدَؤُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَىٰ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْآنَ بِصَوْتِهِ ٱلنَّدِيِّ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ ٱللهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَهْدَافَ ٱلْحَيَاةِ، وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ، وَنُفُوسَهُمْ تَتُوقُ إِلَىٰ مَزِيدِ ٱلتَّلَقِّي مِنْ ذٰلِكَ ٱلنَّبْعِ ٱلصَّافِي، فَأَقْبَلُوا عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ.

وَٱلْتَقَىٰ سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ وَهُمَا: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَقَدْ رَأَيَاهُ فِي أَحَدِ بَساتِينِهِمْ مَعَ مُضِيفِهِ أَبِي أُمَامَةَ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَهَمَّا بطَرْدِهِ، وَسَارَ إِلَيْهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَسْلَمَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ سَعْداً فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَسْلَمَ. وَعَادَ سَعْدٌ إِلَىٰ قَبِيلَتِهِ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ فِي نادِيهَا، فَسَأَلَهُمْ عَنْ وَضْعِهِ بَيْنَهُمْ فَقَالُوا لَهُ: سَيِّدُنَا، وَٱبْنُ سَيِّدِنَا، وَأَكْثَرُنَا حِلْماً، وَأَكْبَرُنَا عَقْلاً، وَلاَ نَصْدُرُ عَنْ رَأْيٍ إِلاَّ بِرَأْيِكَ، فَقَالَ: فَإِنَّ كَلاَمَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّىٰ تُسْلِمُوا، فَأَسْلَمُوا تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ جَمِيعاً لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَثَبَتُوا عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ، وَكَانَ عَبَّادُ ابْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ.

إِذِ ٱلْتَقَىٰ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وَسَمِعَ مِنْهُ ٱلْقُرْآنَ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلاَّ أَنَّهُ أَحَسَّ بِوُقُوعِهِ عَلَىٰ ٱلْحَقِيقَةِ ٱلَّتِي يَسْعَىٰ إِلَيْهَا، وَأَنَّ دُنْيَاهُ قَدْ تَغَيَّرَتْ كُلَّهَا، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ حَيَاتِهِ، وَمِمَّا سَمِعَ مِنْ خَشْيَةِ ٱللهِ، وَعَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ كُلُّهُ للهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ - مَا ٱسْتَطَاعَ - لاَ يَحِيدُ عَنْ ذٰلِكَ مَا عَاشَ.

٢

وَٱشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ عَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ فِي مَكَّةَ، وَكَانَ ٱلإِسْلَامُ قَدْ فَشَا فِي ٱلْمَدِينَةِ، فَأَشَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ إِخْوَانِهِمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ ٱلْمُهَاجِرُونَ يُفَارِقُونَ مَكَّةَ فَرْداً بَعْدَ فَرْدٍ وَجَمَاعَةً إِثْرَ أُخْرَىٰ، وَفُتِحَتْ دُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تَسْتَقْبِلُ ٱلْقَادِمِينَ مِنْ مَكَّةَ، وَقَدْ غَدَوْا إِخْوَةً. ٱللهُ أَكْبَرُ لَقَدْ جَمَعَ ٱلإِيمَانُ بَيْنَ ٱلْمُتَبَاعِدِينَ، وَوَحَّدَ بَيْنَ ٱلْمُتَنَافِرِينَ، وَضَمَّ ٱلْمُخْتَلِفِينَ، وَغَدَوْا جَمِيعاً إِخْوَةً يَلْتَقُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَرْتَبِطُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ بِرَابِطٍ هُوَ أَقْوَىٰ ٱلرَّوَابِطِ ٱلَّتِي عَرَفَهَا ٱلنَّاسُ مُذْ خُلِقُوا. لَقَدْ كَانَ ٱلْفَرْدُ يَتْرُكُ بَيْتَهُ فِي مَكَّةَ، وَيُغَادِرُ أَهْلَهُ، وَيُفَارِقُ عَشِيرَتَهُ، وَيَنْتَقِلُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فَيَجِدُ فِيهَا ٱلْبَيْتَ جَاهِزاً، وَيَجِدُ أَهْلاً أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَيَجْتَمِعُ بِعَشِيرَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَمَا إِنْ يَصِلُ إِلَىٰ مُهَاجَرِهِ حَتَّىٰ يَتَسَابَقَ إِخْوَانُهُ ٱلْجُدُدُ إِلَىٰ أَخْذِهِ، كُلٌّ يُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ نَزِيلَهُ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ وَصَاحِبُ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ لَمْ يَلْتَقِيَا قَطُّ، فَإِذَا بِهِمَا مَرَّةً وَاحِدَةً، كَأَنَّهُمَا قَدْ قَضَيَا ٱلْعُمْرَ مَعاً فِي هٰذَا ٱلْبَيْتِ، نَشَآ فِيهِ، وَإِذَا ٱلأَقَارِبُ أَقَارِبُهُ وَٱلصَّحْبُ صَحْبُهُ وَٱلْقَبِيلَةُ قَبِيلَتُهُ بَلْ هُمْ أَسْمَىٰ مِنْ هٰذَا بِكَثِيرٍ؛

إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ فِي ٱللهِ . وَلَعَلَّ مِنْ أَوَائِلِ ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي فُتِحَتْ فِي ٱلْمَدِينَةِ كَانَتْ دَارَ عَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، وَقَدْ ٱسْتَقْبَلَ فِيهَا أَخَاهُ عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

٣

وَهَاجَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ هُنَاكَ ٱسْتِقْبَالاً لاَ يُوصَفُ، إِذْ لاَ تُقَارَنُ ٱلأُمُورُ ٱلْمَعْنَوِيَّةُ بِٱلْمَادِيَّةِ أَبَداً، فَمَا لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِٱلْحَوَاسِّ تُعَبِّرُ عَنْهُ فَقَطِ ٱلْحَوَاسُّ، وَمَا يَعْلُو عَنْهَا يَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ ٱلْقَلَمُ مَهْمَا جَدَّ، وَٱلْفِكْرُ مَهْمَا كَدَّ وَيَصْعُبُ ٱلتَّعْبِيرُ عَنْهُ، وَآخَىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ هٰذَا أَنَّ ٱلأَنْصَارَ قَبْلَ هٰذَا قَدْ قَصَّرُوا فِي وَاجِبِهِمْ، وَأَهْمَلُوا حَقَّ ٱلأُخُوَّةِ ٱلَّذِي يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ دِينُهُمْ، وَلَمْ يَقُومُوا بِٱلْوَاجِبِ إِلاَّ عِنْدَمَا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ وَتَمَّتِ ٱلْمُؤَاخَاةُ، أَبَداً . بَلْ قَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ، وَٱلْمُؤَاخَاةُ كَانَتْ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ، وَمَا هٰذِهِ ٱلْمُؤَاخَاةُ إِلاَّ لِيَكُونَ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً كُتْلَةً وَاحِدَةً أَمَامَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَهُمْ مِنِ ٱتِّفَاقِ ٱلْيَهُودِ ٱلْمَوْجُودِينَ فِي ٱلْمَدِينَةِ بِجَانِبِهِمْ. فَقَدْ كَانَ ٱلأَنْصَارُ مِنْ قَبْلُ بُطُوناً وَقَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْيَهُودِ أَحْلاَفٌ، إِذْ كَانَ

ٱلأَوْسُ عَلَىٰ ٱتِّفَاقٍ مَعَ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ ٱلْخَزْرَجُ وَيَهُودُ بَنِي قَيْنُقَاعَ وَبَنِي ٱلنَّضِيرِ حِلْفاً وَاحِداً، وَكَانَ بَيْنَ ٱلأَوْسِ وَٱلْخَزْرَجِ أَيَّامٌ في ٱلجَاهِلِيَّةِ وَأَيَّامٌ، حَتَّىٰ بَيْنَ بُطُونِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْوَاحِدَةِ كَانَتْ إِحَنٌ وَخِلاَفَاتٌ، وَإِذَا كَانَ قَدْ قَامَ كُلُّ فَرْدٍ مِنَ ٱلأَنْصَارِ بِدَوْرِهِ ٱلْكَامِلِ وَبِوَاجِبِهِ ٱلْكَامِلِ تِجَاهَ إِخْوَانِهِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ قَبْلَ هِجْرَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلاَّ أَنَّ تَكَتُّلاَتِ فِئَاتِ ٱلأَنْصَارِ كَانَتْ لاَ تَزَالُ قَائِمَةً، وَلِكُلِ فِئَةٍ نَادِيهَا ٱلْخَاصُّ وَمَكَانُ لِقَائِهَا ٱلْخَاصُّ، فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ بَنَىٰ مَسجِدَهُ هُنَاكَ، فَكَانَ أَنْ حَلَّ هٰذَا ٱلْمَسْجِدُ بَدَلَ ٱلأَنْدِيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ قَائِمَةً، وَغَدَا مَكَانَ ٱجْتِمَاعِ ٱلْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً، ثُمَّ كَانَتِ ٱلْمُؤَاخَاةُ فَغَدَتِ ٱلْبُطُونُ وَٱلْقَبَائِلُ مِنَ ٱلأَنْصَارِ أَوْسِهَا وَخَزْرَجِهَا مَعَ ٱلْمُهَاجِرِينَ كُلِّهِمْ كِتْلَةً وَاحِدَةً وَيَداً وَاحِدَةً يُمْكِنُ أَنْ تَحْمِلَ سَيْفاً وَاحداً أَمَامَ أَيِّ عَدُوٍّ يُمْكِنُ أَنْ يَقِفَ في وَجْهِهَا، وَيُحَاوِلَ أَنْ يَنَالَ أَيَّ جُزْءٍ مِنْهَا. وَكَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ أَخَوَيْنِ في ٱللهِ، وَكِلاَهُمَا لاَ يَقِلُّ عَنْ أَخِيهِ في جِهَادِهِ وَنُبْلِهِ وَتَضْحِيَتِهِ وَإِخْلاَصِهِ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا.

٤

وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَـامُ. وَٱنْطَلَقَـتْ غَــزَوَاتُ رَسُــول اللهِ ﷺ بِٱلْمُهَاجِرِينَ فِي كُلِّ جِهَةٍ يَتَّفِقُ مَعَ ٱلْقَبَائِلِ، وَيَدْرُسُ أَرْضَ ٱلْمَعْرَكَـةِ ٱلْمُرْتَقَبَةِ، وَيَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ فِي ذَهَابِهَا وَإِيَابِهَا فِي تِجَارَتِهَا إِلَىٰ ٱلشَّـامِ، وَيُحَـاوِلُ لِقَـاءهَـا، وَسَـارَتْ سَـرَايَـا ٱلْمُهَاجِرِينَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ لِلْغَرَضِ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَشْتَرِكِ ٱلأَنْصَارُ فِي بِدَايَةِ ٱلأَمْرِ فِيهَا حَسْبَ تَعْلِيمَاتِ رَسُولِهِمُ ٱلكَـرِيـم ﷺ، إِلاَّ أَنَّ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ - ذٰلِكَ ٱلْفَتَىٰ ٱلوَسِيـمَ ٱلْمُمْتَلِىءَ حَيَوِيَّةً وَٱلْمُتَعَطِّشَ لِلْجِّهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ، كَانَ يَنْتَظِرُ ٱلأَوَامرَ لِلاَنْخِرَاطِ فِي صُفُوفِ ٱلْمُجَاهِدِينَ، عَسَىٰ أَنْ يُعَوِّضَ عَمَّا مَضَىٰ مِنْ حَيَاتِهِ، فَيَحْصَلَ عَلَىٰ ٱلشَّهَادَةِ، أَوْ يَتِمَّ لِلْمُسْلِمِينَ ٱلنَّصْرُ، وَيَكُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ لَهُ قَدْ أَرْضَىٰ ٱللهَ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، إِذْ نَدَبَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِمُلاَقَاةِ عِيرِ قُرَيْشٍ، فَخَـرجَ عَبَّادُ بْـن بِشْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي أَوَائِلِ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا، وَلَمْ تَكُنِ ٱلْعِيرُ، وَإِنَّمَا كَانَ ٱلْقِتَالُ لأَمْرٍ أَرَادَهُ ٱللهُ، وَكَانَ عَبَّادُ مِنْ أَكْثَرِ ٱلْمُتَحَمِّسِينَ لِلاَشْتِبَاكِ مَعَ ٱلْعَدُوِّ، وَمَا إِنْ نَشِبَ ٱلقِتَـالُ؛ حَتَّىٰ كَانَ فِي بِدَايَةِ ٱلصُّفُوفِ يُقَاتِلُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً أَيْنَمَا ٱتَّجَهْتَ تَرَهُ أَمَامَكَ بِوَجْهِهِ ٱلْمُشْرِقِ وَطَلْعَتِهِ

ٱلْوَسِيمَةِ وَشَجَاعَتِهِ ٱلْفَائِقَةِ وَإِقْدَامِهِ ٱلْمُنْقَطِعِ ٱلنَّظِيرِ، وَٱنْتَهَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ، وَبَدَأَ تَقْسِيمُ ٱلْغَنَائِمِ، فَكَانَ شَأْنَهُ فِي نِهَايَةِ كُلِّ مَعْرَكَةٍ أَنْ يُفَتِّشَ عَنْهُ إِخْوَانُهُ فَلاَ يَكَادُوا يَجِدُونَهُ إِلاَّ بِمَشَقَّةٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ أَمَلٍ سِوَى إِرْضَاءِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ.

٥

وَٱنْتَهَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ، وَكَانَتْ فُرْقَاناً بَيْنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَعْرَكَةٍ نَصَرَ ٱللهُ فِيهَا عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ قِلَّتِهِمْ، وَهَزَمَ أَعْدَاءَهُ ٱلْمُشْرِكِينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ، وَكَانَتْ نَصْراً مُؤَزَّراً قَتَلَ فِيهِ ٱلْمُسْلِمُونَ سَبْعِينَ قَتِيلاً مِنْ أَشِدَّاءِ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ اسْتَاقُوهُمْ أَمَامَهُمْ. وَأَرْسَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ رَسُولَيْنِ مِنْ قِبَلِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ يُخْبِرَانِ أَهْلَهَا، وَيُبَشِّرَانِ سَاكِنِيهَا مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرُوا ٱلْمَعْرَكَةَ بِنَصْرِ ٱللهِ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ هُوَ ٱلَّذِي ٱنْطَلَقَ إِلَىٰ ٱلْمَنَاطِقِ ٱلسُّفْلَىٰ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ، وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ هُوَ ٱلَّذِي سَارَ إِلَىٰ أَعَالِيهَا. وَوَصَلَ ٱلنِّدَاءُ إِلَى مَسَامِعِ يَهُودَ، فَصُعِقُوْا مِنْ هَوْلِ ٱلْخَبَرِ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ تَكُنْ يَهُودُ لِتَرْضَىٰ عَنْ خَبَرٍ يَسُرُّ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَكَيْفَ بِٱلنَّصْرِ مِنَ ٱللهِ، وَٱلتَّمْكِينِ لَهُمْ فِي ٱلأَرْضِ بَعْدَ أَنْ عَبَدُوا ٱللهَ وَنَصَرُوهُ، فَبَدَّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَوْفِهِمْ أَمْناً، وَكَانَ أَشَدَّ يَهُودَ حِقْداً، وَأَكْثَرَهُمْ غَيْظاً مِنْ هٰذَا ٱلنَّصرْ كَعْبُ بْنُ ٱلأَشْرَفِ ٱلَّذِي قَالَ: إِنْ صَحَّ ٱلْخَبَرُ لَبَطْنُ ٱلأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا. لَقَدْ حَكَمَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِٱلْمَوْتِ فَنَالَهُ بِإِذْنِ ٱللهِ. فَلَمَّا تَيَقَّنَ مِنَ ٱلْخَبَرِ، وَرَأَىٰ بِأُمِّ عَيْنِهِ رِجَالَ قُرَيْشٍ مُكَبَّلَةً أَيْدِيهِمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، يَمْشُونَ أَذِلاَّءَ بَعْدَ أَنْ هَزَمَهُمُ ٱللهُ، خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ يُحَرِّضُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَيَبْكِي قَتْلَىٰ قُرَيْشٍ، وَعِنْدَمَا شَعَرَ أَنَّ ٱلنُّفُوسَ لَدَىٰ ٱلْمُشْرِكِينَ قَدْ تَعَبَّأَتْ بِٱلْحِقْدِ، وَشُحِنَتْ بِٱلْغَيْظِ رَجَعَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَبَدَأَ يُشَبِّبُ بِنِسَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَيَتَغَزَّلُ بِفَتَيَاتِهِمْ، وَهُوَ شَاعِرٌ ـ قَبَّحَهُ ٱللهُ ـ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ مَا ٱعْتَادَتْ أَلْسِنَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ تَتَفَوَّهَ بِمِثْلِهَا، وَتَأَذَّىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ ذٰلِك أَشَدَّ ٱلأَذَىٰ، وَتَأَذَّىٰ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ حَتىٰ قَالَ: مَنْ لِي بِٱبْنِ ٱلأَشْرَفِ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ ٱللهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ: أَنْتَ لَهُ. وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ هُوَ مِنْ حُلَفَاءِ ٱلأَوْسِ وَمِنْ رِجَالِهِمُ ٱلْمَعْدُودِينَ وَعَادَ ٱبْنُ مَسْلَمَةَ يُفَكِّرُ بِٱلأَمْرِ، وَيَدْرُسُهُ، وَٱخْتَارَ عَدَداً مِنْ قَوْمِهِ، كُلُّهُمْ مِنَ ٱلأَوْسِ، كَانَ فِي طَلِيعَتِهِمْ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْهُمُ ٱلْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ ٱبْنِ أَخِي سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَأَبُو نَائِلَةَ سِلْكَانُ بْنُ سَلاَمَةَ بْنُ وَقْشٍ ٱلَّذِي كَانَ أَخَ كَعْبِ

ٱبْنِ ٱلأَشْرَفِ مِنَ ٱلرَّضَاعَةِ، وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّ عَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ.

كَانَ كَعْبُ بْنُ ٱلأَشْرَفِ يَبِيتُ فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ لَهُ، فَقَدَّمَ ٱلْمُسْلِمُونُ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَخَاهُ أَبَا نَائِلَةَ إِلَيْهِ، فَسَبَقَهُمْ بِسَاعَةٍ جَلَسَ فِيهَا عِنْدَهُ يُنَاشِدُهُ ٱلشِّعْرَ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبِيعَهُ ٱلطَّعَامَ وَٱلتَّمْرَ، وَقَالَ لَهُ: رَمَتْنَا ٱلْقَبَائِلُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَطَعَتْ عَنَّا ٱلسُّبُلَ حَتَّىٰ ضَاعَ ٱلْعِيَالُ، وَجَهِدَتِ ٱلأَنْفُسُ.

قَالَ كَعْبٌ: أَتَرْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ؟ - عَلَىٰ عَادَةِ يَهُودَ فِي ٱلاَحْتِكَارِ، وَمُحَاوَلَةِ تَأْمِينِ ٱلْمَالِ، وَتَحْقِيقِ ٱلشَّهَوَاتِ، وَإِلْقَاءِ ٱلنَّاسِ بِٱلْمَفَاسِدِ وَحَمْأَةِ ٱلرَّذِيلَةِ، وَإِذْلاَلِهِمْ.

قَالَ أَبُو نَائِلَةَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنتَ أَشَبُّ أَهْلِ يَثْرِبَ وَأَعْطَرُهُمْ؟.

قَالَ كَعْبٌ: أَتَرْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ؟.

قَالَ أَبُو نَائِلَةَ: أَتُرِيدُ أَنْ تَفْضَحَنَا؟ وَإِنَّ مَعِي أَصْحَاباً لِي عَلَىٰ مِثْلِ رَأْيِي، وَلَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ آتِيَكَ بِهِمْ، فَتَبِيعَهُمْ، وَتُحْسِنَ ذٰلِكَ، وَنَرْهَنَكَ ٱلسِّلاَحَ.

قَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ، إِنَّ فِي ٱلسِّلاَحِ لَوَفَاءً.

خَرَجَ أَبُو نَائِلَةَ مِنْ عِنْدِ كَعْبٍ، وَجَاءَ بِأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ قُرْبِ ٱلْحِصْنِ نَادَاهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَحَاوَلَتْ زَوْجُهُ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنَ ٱلْخُرُوجِ فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ، وَلٰكِنَّهُ أَصَرَّ عَلَىٰ ٱلْخُرُوجِ وَإِجَابَةِ ٱلنِّدَاءِ إِذْ سَالَ لُعَابُهُ عَلَىٰ ٱلرِّبْحِ، وَلَمَّا خَرَجَ ٱسْتَدْرَجُوهُ بَعِيداً عَنْ حِصْنِهِ، وَأَمَلُهُ كَبِيرٌ بِرَنِينِ ٱلذَّهَبِ يَلْعَبُ بِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلٰكِنَّهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ، إِذْ كَثِيراً ما يَجُرُّ ٱلْمَالُ صَاحِبَهُ إِلَىٰ ٱلْهَلَاكِ إِذَا كَانَ يَجْرِي وَرَاءَهُ. ثُمَّ أَمْسَكَ أَبُو نَائِلَةَ شَعْرَ رَأْسِ ذٰلِكَ ٱلْيَهُودِيِّ، وَقَالَ: ٱقْتُلُوا عَدُوَّ ٱللهِ، فَٱنْهَالَتْ سُيُوفُهُمْ عَلَيْهِ، إِلاَّ أَنَّهَا ٱعْتَرَضَتْ عَلَيْهِمْ، فَلَمْ تَقْتُلْهُ، وَجُرِحَ مِنْهَا ٱلْحَارِثُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مُعَاذٍ فِي رَأْسِهِ، فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ سِكِّيناً فَوَضَعَهَا فِي ثُنِيَّتِهِ، وَضَغَطَ عَلَيْهَا بِكُلِّ ثِقْلِهِ حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَىٰ عَانَتِهِ، فَوَقَعَ عَدُوُّ ٱللهِ قَتِيلاً.

٦

وَغَزَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ نَجْداً فِي غَزْوَةٍ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ ٱلرِّقَاعِ، وَلَمْ يَحْدُثْ قِتَالٌ فِيهَا، إِذْ رَهِبَ كِلاَ ٱلطَّرَفَيْنِ خَصْمَهُ، وَهَرَبَ ٱلْمُشْرِكُونَ، إِلاَّ أَنَّ مُسْلِماً قَدْ أَصَابَ ٱمْرَأَةَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ كَانَ غَائِباً آنَذَاكَ عَنْ قَوْمِهِ، فَعِنْدَمَا

حَضَرَ زَوْجُهَا، لَحِقَ بِٱلْمُسْلِمِينَ يُرِيدُ ٱلنَّيْلَ مِنْهُمْ، وَكَانُوا قَدْ رَجَعُوا بِٱتِجَاهِ ٱلْمَدِينَةِ، وَبَاتُوا في مَكَانٍ في شِعْبِ وَادٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هٰذِهِ؟ فَقَامَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ ٱللهِ.

قَالَ: فَكُونَا بِفَمِ ٱلشِّعْبِ. فَخَرَجَا إِلَىٰ فَمِ ٱلشِّعْبِ.

قَالَ عَبَّادٌ لِعَمَّارٍ: أَيُّ ٱللَّيْلِ تُحِبُّ أَنْ أَكْفُلَهُ. أَوَّلُهُ أَمْ آخِرُهُ؟.

قال عَمَّارٌ: بَلِ ٱكْفِنِي أَوَّلَهُ. وَٱضْطَجَعَ عَمَّارٌ فَنَامَ.

وَشَعَرَ عَبّادُ بْنُ بِشْرٍ بِٱلأَمَانِ، وَأَحَسَّ بِنَسِيمِ ٱلجَبَلِ ٱلعَلِيلِ فَٱسْتَرْوَحَ نَسَمَاتِ ٱلْجَنَّةِ، وَقَامَ يُصَلِّي، فَٱسْتَغْرَقَ في صَلاَتِهِ مُسْتَشْعِراً عُذُوبَةَ ٱلْقِرَاءَةِ في هُدُوءِ ذٰلِكَ ٱللَّيْلِ، وَٱسْتَسْلَمَتْ جَوَارِحُهُ لِبَارِئِهَا، وَٱرْتَفَعَتْ نَفْسُهُ عَمَّا في هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا، فَلَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ حَوْلَهُ. وَجَاءَ زَوْجُ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُشْرِكُ، فَلَمَّا رَأَىٰ عَبَّاداً يُصَلِّي عَرَفَ أَنَّهُ طَلِيعَةُ ٱلْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَأَصَابَهُ، فَنَزَعَهُ عَبَّادُ مِنْ جِسْمِهِ، وَثَبَتَ قَائِماً، وَلَمْ يَرْغَبْ في قَطْعِ صَلاَتِهِ؛ فَكَأَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ دُنْيَاهُ سَاعَتَئِذٍ. فَعَادَ ٱلرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ثَانٍ فَلَمْ يُخْطِئْهُ، فَنَزَعَ عَبَّادٌ ٱلسَّهْمَ تَارَةً

أُخْرَىٰ وَثَبَتَ قَائِماً، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يَقْطَعَ عِبَادَتَهُ، فَهُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِيهَا، وَأَلَذُّ سَاعَةٍ عِنْدَهُ هِيَ تِلْكَ، وَأَحَبُّ وَقْتٍ إِلَيْهِ ٱلَّذِي هُوَ فِيه. فَعَادَ ٱلرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ ثَالِثٍ، فَوَقَعَ فِيهِ، فَتَأَثَّرَ عَبَّادٌ، فَرَكَعَ وَسَجَدَ، وَأَيْقَظَ صَاحِبَهُ، وَقَالَ لَهُ قَدْ أُصِبْتُ.

قَالَ عَمَّارٌ وَقَدْ رَأَىٰ ٱلدِّمَاءَ تَسِيلُ مِنْ عَبَّادٍ: سُبْحَان ٱللهِ، أَفَلاَ أَيْقَظْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ.

قَال عَبَّادٌ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَأُهَا، فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّىٰ أُنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ ٱلرَّمْيَ رَكَعْتُ وَأَيْقَظْتُكَ، وَٱيْمُ ٱللهِ، لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْراً أَمَرَنِي رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقُطِعَ نَفَسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا.

وَشَعَرَ ٱلرَّجُلُ أَنَّ ٱلرَّكْبَ قَدْ تَيَقَّظَ عَلَيْهِ فَفَرَّ.

٧

وَكَانَ إِذَا دَعَا دَاعِي ٱلْجِهَادِ كَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ أَوَّلَ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُلَبُّونَ ٱلنِّدَاءَ وَيُسْرِعُونَ فِي تَأْدِيَةِ ٱلْوَاجِبِ وَمَا أَسْرَعَ ٱلصَّحَابَةَ رِضْوَانُ ٱللهِ عَنْهُمْ فِي هٰذَا، رَغْبَةً فِي إِرْضَاءِ ٱللهِ وَرَسُولِهِ. وَأَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ٱلْفَزَارِيُّ فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَىٰ إِبلٍ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ كَانَتْ تَرْعَىٰ عَلَىٰ مَقْرَبَةٍ مِنَ

ٱلْمَدِينَةِ، فَقَتَلُوا رَاعِيهَا، وَحَمَلُوا ٱمْرَأَتَهُ، وَٱسْتَاقُوا ٱلإِبِلَ، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُول ٱللهِ ﷺ، فَنَادَىٰ فِي ٱلْمَدِينَةِ: ٱلْفَزَعَ ٱلْفَزَعَ، فَتَرَامَتْ خَيْلُ ٱللهِ إِلَىٰ رَسُول اللهِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَن ٱنْتَهَىٰ إِلَىٰ رَسُول ٱللهِ ﷺ ٱلمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ثُمَّ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، حَتَّىٰ إِذَا ٱجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ: ٱخْرُجْ فِي طَلَبِ ٱلْقَوْمِ، حَتَّىٰ أَلْحَقَكَ فِي ٱلنَّاسِ. وَمَا هِيَ إِلاَّ لَحَظَاتٌ حَتَّىٰ كَانَتْ خُيُولُ ٱلْمُسْلِمِينَ تُطَارِدُ ٱلْمُعْتَدِينَ، وَقَدْ شَاغَلَهَا مُسْلِمٌ وَاحِدٌ، وَلَمْ يَمْضِ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنَ ٱلْوَقْتِ حَتَّىٰ كَانَ ٱلْجَيْشُ ٱلإِسْلاَمِيُّ فِي أَثَرِ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ فَرُّوا لاَ يَلْوُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَمْ يَتَوَقَّعِ ٱمْرُؤٌ أَنْ يَكُونَ إِعْدَادُ جَيْشٍ وَتَجَمُّعُهُ فِي هٰذِهِ ٱلصُّورَةِ وَفِي هٰذِهِ ٱلسُّرْعَةِ... إِنَّهُمْ صَحَابَةُ رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱلله عليهِ وسلم.

٨

لَقَدْ كَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ سَيْفَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، يَضْرِبُ بِهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلضَّرْبَ، وَيُنَفِّذُ حُكْمَ ٱللهِ بِهِ لِمَنْ تَلْزَمُهُ ٱلْعُقُوبَةُ، إِذْ عُرِفَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِٱلشِّدَّةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَٱلرَّغْبَةِ فِي تَنْفِيذِ أَوَامِرِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِسُرْعَةٍ، لاَ يَخَافُ فِي ٱللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، يُنَفِّذُ أَوَامِرَ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ دُونَ

تَرَدُّدٍ ومَهمَا كَانَتِ ٱلنَّتَائِجُ، وَلَمّا عُرِفَ عَنْهُ ذٰلِكَ، كَانَ ٱلصَّحَابَةُ رِضْوَانُ ٱللهِ عَنْهُمْ إِذَا رَأَوْا شَيْئاً أَوْ أَمراً يَسْتَحِقُّ ٱلْقِصَاصَ قَالُوا لِرَسُولِهِمُ ٱلْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلامِ : مُرْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَفْعَلْ كَذَا، مُرْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ، فَلْيَضْرِبْ عُنُقَ فُلاَنٍ ... وَبخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يَحْتَاجُ إِلَىٰ قِصَاصٍ مِنَ ٱلأَنْصَارِ.

ٱخْتَلَفَ رَجُلاَن أَحَدُهُمَا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلآخَرُ مِنَ ٱلأَنْصَارِ عَلَىٰ مَاءٍ أَثْنَاءَ غَزْوَةِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَأْسِ ٱلْمُنَافِقِينَ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ، فَوَجَدَهَا فُرْصَةً مُنَاسِبَةً يُظْهِرُ فِيهَا حِقْدَهُ، وَيَشْفِي غَيْظَ صَدْرِهِ ٱلدَّفِينَ، فَيُوقِعُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَيَرْمِي ٱلْفُرْقَةَ بَيْنَهُمْ، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ بحَقِّ رَسُول ٱللهِ ﷺ، وَقَالَ مِمَّا قَالَ «أَمَا وَٱللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلأَعَزُّ مِنْهَا ٱلأَذَلَّ»، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُول ٱللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، مُرْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ.

٩

لَقَدْ كَانَ صَحَابَةُ رَسُول ٱللهِ ﷺ جَمِيعاً أُمَنَاءَ فِي ٱلْحَقِّ أُمَنَاءَ عَلَىٰ ٱلنَّفْسِ وَعَلَىٰ ٱلْمَال، لاَ يَسْتَطِيعُ رَجُلٌ مَهْمَا أُوتِيَ

أَنْ يَطْعَنَ بِأَقَلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، وَلَمَّا عُرِفَ ذٰلِكَ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ فَإِنَّ أَيَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ بِأَيَّةِ عَمَلِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِٱلأَمْوَالِ، وَيَنْجَحُ فِيهَا ٱلنَّجَاحَ كُلَّهُ، وَقَدْ أَرْسَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَجْمَعُ صَدَقَاتِ ٱلْقَبَائِلِ.

وَيَوْمَ خَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ تَجَمُّعِ هَوَازِنَ وَثَقِيفَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ غَزْوَ مَكَّةَ وَقِتَالَ ٱلْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ سَاعِدُهُمْ ـ عَلَىٰ زَعْمِ ٱلْمُشْرِكِينَ ـ، وَفَاجَأَتْ هَوَازِنُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي حُنَيْنٍ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي أَجْبَرَهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُوَلُّوا ٱلأَدْبَارَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ، وَثَبَتَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَقِلَّةٌ مَعَهُ حَتَّىٰ ثَابَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ رُشْدِهِمْ، وَعَادُوا فَتَجَمَّعُوا حَوْلَ نَبِيِّهِمُ ٱلْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ، وَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً أَزَالُوا بِهَا ٱلْمُشْرِكِينَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ، فَفَرُّوا مِنْ أَمَامِهِمْ لاَ يَلْوُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَدْ خَلَّفُوا وَرَاءَهُمْ شِيَاهَهُمْ وَإِبِلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَهُمْ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ جِدّاً «لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ

ٱلْكَافِرِينَ »[1] ، وَجُمِعَتْ تِلْكَ ٱلْغَنَائِمُ ٱلْكَثِيرَةُ فِي مِنْطَقَةِ ٱلْجِعْرَانَةِ، وَسَارَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ ٱلطَّائِفِ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، وَخَلَّفَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ ٱلْغَنَائِمِ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَلَىٰ رَأْسِ جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ يَحْمُونَهَا مِنْ أَيِّ أَذًىٰ .

١٠

وَخَرَجَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ تَبُوكٍ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ؛ يُخِيفُونَ ٱلرُّومَ ٱلَّذِينَ حَاوَلُوا أَنْ يُهَدِّدُوا ٱلْمُسْلِمِينَ، وَيُرْهِبُونَ ٱلْقَبَائِلَ ٱلْعَرَبِيَّةَ ٱلْمُنْتَصِرَةَ ٱلَّتِي قَاتَلَتْ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِمْ وَبِٱسْتِمْرَارٍ تَحْتَ رَابِطَةِ ٱلْعَقِيدَةِ، وَكَانَتْ هٰذِهِ ٱلْقَبَائِلُ بِتَحْرِيضٍ مِنَ ٱلرُّومِ تُحَاوِلُ ٱلإِغَارَةَ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱلْغَزْوَةُ مِنْ أَصْعَبِ ٱلْغَزَوَاتِ ٱلَّتِي سَبَقَتْهَا أَنَّ ٱلْمَسَافَةَ طَوِيلَةٌ تَزِيدُ عَلَىٰ ٦٧٥ كم، وَفِيهَا مَشَقَّةٌ، وَفِي وَقْتٍ مِنَ ٱلْحَرِّ ٱللاَّفِحِ ، وَٱلنَّاسُ فِي ضِيقٍ شَدِيدٍ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي جَعَلَهُمْ يُطْلِقُونَ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلْغَزْوَةِ ٱسْمَ غَزْوَةِ ٱلْعُسْرَةِ .

وَٱنْطَلَقَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلْمُسْلِمِينَ، وَٱلْقَائِدُ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ

---

(١) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦ .

حَرَسٍ يَحْمِيهِ، إِذْ أَنَّ ٱلْعَدُوَّ يَعُدُّ ٱلْقَائِدَ ٱلْخَصْمَ ٱلْهَدَفَ ٱلأَوَّلَ لَهُ، وَبِٱلْقَضَاءِ عَلَيْهِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصَلَ عَلَىٰ أَكْبَرِ نَصْرٍ. وَٱلْقَائِدُ لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَخْتَارَ أَقْوَىٰ ٱلْجُنْدِ حَرَساً لَهُ، وَأَفْضَلَهُمْ حِرْصاً عَلَيْهِ، وَأَكْثَرَهُمْ يَقَظَةً، وَأَحْسَنَهُمْ طَاعَةً. وَٱخْتَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ؛ لِيَكُونَ قَائِدَ حَرَسِهِ فِي تِلْكَ ٱلْغَزْوَةِ، فَكَانَ نِعْمَ ٱلْقَائِدُ.

١١

وَٱنْتَقَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ، وَٱخْتَارَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ خَلِيفَةً لِرَسُولِ ٱللهِ، وَٱسْتَغَلَّتْ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ وَفَاةَ رَسُولِ ٱللهِ فَٱرْتَدَّتْ عَنِ ٱلإِسْلاَمِ، وَسَيَّرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لَهَا ٱلْجُيُوشَ، وَٱنْضَوَىٰ ٱلصَّحَابَةُ فِي تِلْكَ ٱلْبُعُوثِ، سِوَىٰ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْهُمْ بَقِيَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يُسَاعِدُ ٱلْخَلِيفَةَ فِي تَدْبِيرِ شُؤُونِ ٱلْمَدِينَةِ وَحِفْظِ ٱلأَمْنِ فِيهَا خَوْفاً مِنْ مُدَاهَمَةِ ٱلْقَبَائِلِ ٱلْمُرْتَدَّةِ وَٱلْمُمْتَنِعَةِ عَنْ دَفْعِ ٱلزَّكَاةِ، إِذْ لَمْ يَبْقَ عَلَىٰ ٱلإِسْلاَمِ فِي جَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ سِوَىٰ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ وَٱلطَّائِفِ، وَمَا عَدَا ذٰلِكَ مِنَ ٱلْعَرَبِ فَقَدِ ٱرْتَدَّ، أَوِ ٱمْتَنَعَ عَنْ دَفْعِ ٱلزَّكَاةِ، وَحَاوَلَ ٱلْهُجُومَ عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ.

وَسَارَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مَعَ تِلْكَ ٱلْبُعُوثِ بِإِمْرَةِ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ - رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ - بِٱتِّجَاهِ وَادِي حَنِيفَةَ حَيْثُ يَقُودُ مُسَيْلَمَةُ ٱلْكَذَّابُ قَوْمَهُ بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدِ ٱتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَمْرُهُ بِرَشِيدٍ، «يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ»(١) وَعَدَّ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ نَفْسَهُ مَسْؤُولاً عَنْ مُقَاوَمَةِ هٰذِهِ ٱلرِّدَّةِ، وَإِعَادَةِ قُوَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهَيْبَتِهِمْ وَنَشْرِ عَقِيدَتِهِمْ. وَهُنَاكَ فِي ٱلْيَمَامَةِ فِي مِنْطَقَةٍ يُقَالُ لَهَا عَقْرَبَاءُ(١) ٱشْتَدَّتِ ٱلْمَعْرَكَةُ وَحَمِيَ ٱلْوَطِيسُ حَيْثُ كَانَ جَيْشُ مُسَيْلَمَةَ ٱلْكَذَّابِ يَضُمُّ ٱلْعَدَدَ ٱلْكَبِيرَ مِمَّنِ ٱتَّبَعُوهُ.

لَقَدْ كَانَتْ بِدَايَةُ ٱلْمَعْرَكَةِ لِمَصْلَحَةِ ٱلْمُرْتَدِّينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ذٰلِكَ؛ بَدَأَ يُنَادِي ٱلْأَنْصَارَ وَيَصِيحُ بِهِمْ، فَٱتَّجَهُوا نَحْوَهُ، فَقَادَهُمْ هُوَ وَأَبُو دُجَانَةَ وَٱلْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهِمْ، وَكَانَ عَبَّادُ يَكُرّ عَلَىٰ ٱلْأَعْدَاءِ كَرّاً فَيَحْصُدُهُمْ حَصْداً، وَيَفِرُّونَ مِنْهُ، وَهُوَ يَدْفَعُهُمْ، وَيَخِرُّ ٱلشُّهَدَاءُ مِنْ جَانِبَيْهِ خَرّاً، وَيَسْقُطُ ٱلْمَوْتَىٰ مِنْ أَعْدَائِهِ أَمَامَهُ صَرْعَىٰ، وَبَقِيَ ذٰلِكَ دَيْدَنَهُ،

---

(١) سورة هود الآية ٦٨.

(١) عقرباء: تعرف اليوم بالجبيلة، وتقع في أعلى وادي حنيفة على بعد ٤٠ كم إلى الشمال من الرياض.

وَعَمِلَ إِخْوَانُهُ مِثْلَهُ حَتَّىٰ سَاقُوا ٱلأَعْدَاءَ إِلَىٰ حَدِيقَةِ ٱلْمَوْتِ حَيْثُ يَتَحَصَّنُ مُسَيْلَمَةُ ٱلْكَذَّابُ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ جَاءَتْهُ ضَرْبَةٌ غَادِرَةٌ صَدَمَتْ مِغْفَرَهُ، فَٱنْطَلَقَتْ شَرَارَةٌ أَشْرَقَ بِهَا ٱلْجَوُّ، وَٱنْشَقَّتْ لَهَا ٱلْحُجُبُ، وَشَدَخَتِ ٱلضَّرْبَةُ وَجْهَ عَبَّادٍ وَرَأْسَهُ، فَأَثَّرَتْ مَعَ ضَرَبَاتٍ سَابِقَةٍ أَخَفَّ مِنْهَا، وَسَقَطَ شَهِيداً إِلَىٰ ٱلأَرْضِ، وَٱرْتَفَعَتْ رُوحُهُ إِلَىٰ بَارِئِهَا فِي ٱلأَعْلَىٰ، وَسَادَ صَمْتٌ رَهِيبٌ لَحْظَةً مِنْ زَمَنٍ أَغْمَضَ إِثْرَهَا عَبَّادٌ عَيْنَيْهِ، وَوَدَّعَ هٰذِهِ الدُّنْيَا ٱلْفَانِيَةَ؛ لِيَعِيشَ فِي جَنَّاتِ ٱلْخُلْدِ ٱلْبَاقِيَةِ، وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَاهُ بِٱلنَّصْرِ، إِذْ دَخَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ حَدِيقَةَ ٱلْمَوْتِ، وَقَتَلُوا مَسَيْلَمَةَ ٱلْكَذَّابَ، وَقَضَوْا عَلَىٰ ٱلرِّدَّةِ، وَتَحَقَّقَ أَمَلُ عَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ.

كَانَ عَبَّادٌ يَتَمَنَّىٰ ٱلشَّهَادَةَ، وَلِرَغْبَتِهِ بِهَا، فَقَدْ رَأَىٰ رُؤْيَا قَبْلَ تِلْكَ ٱلْمَعْرَكَةِ ٱلْحَامِيَةِ، وَقَدْ قَصَّهَا فِي ٱلصَّبَاحِ لأَخِيهِ ٱلصَّحَابِيِّ ٱلْجَلِيلِ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ـ ٱلَّذِي يَقُولُ: «قَالَ لِي ـ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ـ يَا أَبَا سَعِيدٍ: رَأَيْتُ ٱللَّيْلَةَ، كَأَنَّ ٱلسَّمَاءَ قَدْ فُرِجَتْ لِي، ثُمَّ أُطْبِقَتْ عَلَيَّ، وَإِنِّي لأَرَاهَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ ٱلشَّهَادَةَ، فَقُلْتُ لَهُ: خَيْراً وَٱللهِ رَأَيْتَ. وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ ٱلْيَمَامَةِ، وَإِنَّهُ لَيَصِيحُ بِٱلأَنْصَارِ: ٱحْطِمُوا

جُفُونَ ٱلسُّيُوفِ، وَتَمَيَّزُوا عَنِ ٱلنَّاسِ ، فَسَارَعَ إِلَيْهِ أَرْبَعُمِائَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، كُلُّهُمْ مِنَ ٱلأَنْصَارِ حَتَّىٰ ٱنْتَهَوْا إِلَىٰ بَابِ ٱلْحَدِيقَةِ، فَقَاتَلُوا أَشَدَّ ٱلْقِتَالِ ، وَٱسْتَشْهَدَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رَحِمَهُ ٱللهُ . . . وَرَأَيْتُ فِي وَجْهِهِ ضَرْباً كَثِيراً، وَمَا عَرَفْتُهُ إِلاَّ بِعَلاَمَةٍ كَانَتْ فِي جَسَدِهِ » .

لَقَدْ نَالَ ٱلشَّهَادَةَ وَهِيَ أُمْنِيَتُهُ عَنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

- عبد الأشهل
  - جشم
    - وعوراء
      - عبد الأعلم
        - عمرو
          - عتيك
            - أوس
              - اياس
  - زيد
    - أسعد
      - كعب
        - ثابت
          - الضحاك
    - امرؤ القيس
      - رافع
        - السكن
          - زياد
            - عمارة
        - أنس
          - الحارث
        - عتيك
          - سماك
            - حضير
              - أسيد
      - النعمان
        - معاذ
          - سعد
          - عمرو
          - اياس
          - أوس
            - الحارث
  - زعوراء
    - زغبة
      - وقش
        - ثابت
          - عمرو
          - سلمة
        - بشر
          - عبّاد
        - رفاعة
        - سلامة
          - سلمة
          - سلكان (ابو نائلة)
    - سكن
      - كرز
        - يزيد
          - رافع
  - كعب
    - عبيد
      - مالك
        - زيد
          - سعد

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام

- ٩ -

مُحَمَّد بن مَسْلَمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلاَمُ عَلَىٰ سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ نَهَجَ مَنْهَجَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ٱبْنِ خَالِدٍ كَانَ مِنْ أُولٰئِكَ ٱلأَنْصَار مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ بِٱلإِيمَانِ فَنَصَرُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَنَصَرَهُمُ ٱللهُ وَأَعَزَّهُمْ، وَكَانَ يَوْمَ هَاجَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ فِي ٱلْخَامِسَةِ وَٱلثَّلاثِينَ مِنَ ٱلْعُمُرِ، أَيْ أَصْغَرَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِي سِنِّ ٱلنُّضْجِ ، فَأَسْلَمَ عَنْ عَقِيدَةٍ وَيَقِينٍ ، وَبَذَلَ كُلَّ مَا فِي طَاقَتِهِ لِنُصْرَةِ هٰذَا ٱلدِّينِ ، وَعَمِلَ بِكُلِّ إِمْكَانَاتِهِ لِرَفْعِ رَايَةِ ٱلإِسْلاَمِ .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنَ ٱلأَوْسِ وَهُمُ ٱلأَقَلُّ عَدَداً مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ ، وَلٰكِنْ لَيْسَتِ ٱلْقُوَّةُ بِٱلأَعْدَادِ، وَلَيْسَتِ ٱلْجُيُوشُ بِٱلْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا ٱلْقَضَايَا كُلُّهَا بِٱلإِيمَانِ وَٱرْتِفَاعِ

ٱلْمَعْنَوِيَّاتِ، وَيَبْدُو أَنَّ ٱلرِّجَالَ ٱلأَكْثَرَ جِهَاداً كَانُوا بَيْنَ ٱلأَوْسِ ، وَكَذٰلِكَ ٱلأَبْطَالُ ٱلأَكْثَرُ تَضْحِيَةً كَانَتْ بَيْنَهُمْ أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ بَيْنَ أَشِقَّائِهِمُ ٱلْخَزْرَجِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ ٱلأَوْسِ هُوَ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ جَمِيعاً، كَمَا أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَهُمْ مِنْ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ مِنَ ٱلأَنْصَارِ أَمْثَالِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ ٱلرَّبِيعِ ، وَأَبِي دُجَانَةَ، وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَوَاحَةَ، وَٱلْحَبَابِ ٱبْنِ ٱلْمُنْذِرِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ .

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ ٱلْحَارِثِ، وَهُمْ حُلَفَاءُ بَنِي عُبَيْدٍ أَحَدِ بُطُونِ ٱلأَوْسِ ، وَلَيْسَ مَعْنَىٰ ٱلْحَلِيفِ ـ كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ ـ أَقَلَّ رُتْبَةً أَوْ أَضْعَفَ شَأْناً مِنْ بَقِيَّةِ ٱلْبُطُونِ ٱلْمَشْهُورَةِ وَٱلْقَبَائِلِ ٱلْمَعْرُوفَةِ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ حَلِيفِهِ نَفْسِهِ، تَحَالَفَ مَعَ نِدٍّ لَهُ لِظُرُوفٍ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْ لأَسْبَابٍ طَرَأَتْ عَلَىٰ وَضْعِهِ، ومُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَحَدُ هٰؤُلاَءِ ٱلْحُلَفَاءِ لِبَنِي عُبَيْدٍ، وَعَلَىٰ مُسْتَوَىٰ رِجَالاَتِهِمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ شُهْرَةً وَأَعْلاَهُمْ رُتْبَةً .

لَمْ تَكُنِ ٱلْعَرَبُ لِتُسَمِّيَ مُحَمَّداً قَبْلَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلاَّ نَادِراً ، وَلَعَلَّهُ لا يُعْرَفُ غَيْرُ ٱسْمِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي مِثْلِ

سِنِّهِ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ لِتَتَجَاوَزَ ٱلْخَامِسَةَ وَٱلثَّلاَثِينَ قَبْلَ هِجْرَةِ ٱلْمُصْطَفَىٰ عَلَيهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلاَةِ وَٱلسَّلاَمِ .

لَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِيَطْلُبَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ طَلَباً إِلاَّ وَيَكُونُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ـ إِنْ كَانَ حَاضِراً ـ أَوَّلَ مَنْ يَسْتَعِدُّ لِتَلْبِيَةِ طَلَبِ رَسُولِهِ ٱلْكَرِيمِ وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ عَلَىٰ ٱلْفَوْرِ .

شَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بَدْراً وَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فِيهَا . وَكَانَ لِهَزِيمَةِ قُرَيْشٍ وَمَقْتَلِ زُعَمَائِهَا ٱلأَثَرُ السَّيِّءُ فِي نُفُوسِ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ شَعَرُوا بِقُوَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ يَحْقِدُونَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ فَوْقَهُمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُ ٱلضَّعْفَ وَٱلذُّلَّ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنُوا مِنَ ٱلسَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ، وَٱبْتِزَازِ مَالِهِ، وَٱمْتِصَاصِ دَمِهِ، لِذَا قَالَ أَحَدُ زُعَمَائِهِمْ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ ٱلأَشْرَفِ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ نَبَأُ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ: لَئِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هٰؤُلاَءِ ٱلْقَوْمَ لَبَطْنُ ٱلأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا، فَلَمَّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ ٱللهِ ٱلْخَبَرَ ٱنْتَقَلَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَبَدَأَ يُحَرِّضُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَيَبْكِي قَتْلَىٰ بَدْرٍ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ـ وَكَانَ شَاعِراً ـ. وَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنَ ٱلتَّحْرِيضِ وَإِثَارَةِ ٱلْحِقْدِ رَجَعَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ وَصَارَ يُشَبِّبُ بِنِسَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ آذَاهُمْ . . .

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: مَنْ لِي بِٱبْنِ ٱلأَشْرَفِ؟.

فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَكَ بِهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ، أَنَا أَقْتُلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: فَٱفْعَلْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ.

وَمَكَثَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ عِدَّةَ أَيَّامٍ فِي ٱلْبَيْتِ لاَ يَتَنَاوَلُ ٱلطَّعَامَ، وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي ٱلْمَوْضُوعِ، وَيَخْشَى أَلاَّ يَسْتَطِيعَ أَنْ يُحَقِّقَ مَا وَعَدَ بِهِ، وعَلِمَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ الخَبَرَ فَسَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَنْ عَدَمِ تَنَاوُلِهِ ٱلطَّعَامَ، فَأَخْبَرَهُ مَا بِهِ، فَدَعَا لَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُ ٱلْعَمَلَ. أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلأَوْسِ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ مِنْهُمْ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخٌ لِكَعْبِ ابْنِ ٱلأَشْرَفِ فِي ٱلرَّضَاعَةِ، وَٱنْطَلَقَ ٱلْجَمْعُ إِلَىٰ حِصْنِ كَعْبٍ، وَنَادَاهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَحَدَّثَهُ وَحْدَهُ فِي شِرَاءِ بَعْضِ ٱلْمَوَادِ مِنْهُ دَيْناً هُوَ وَأَصْدِقَاءُ لَهُ، وَسَالَ لُعَابُ ٱلْيَهُودِيِّ عَلَىٰ ٱلرِّبْحِ، وَٱسْتَشْعَرَ بِرَنِينِ ٱلْمَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ كَعَادَةِ يَهُودَ دَائِماً وَفِي كُلِّ وَقْتٍ، وَوَافَقَ مُقَابِلَ رَهَائِنَ يُقَدِّمُونَهَا لَهُ، وَطَلَبَ أَنْ يَأْتِيَ لَهُ بِأَصْدِقَائِهِ، فَعَادَ وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَخَرَجَ كَعْبُ بْنُ ٱلأَشْرَفِ مِنْ

حِصْنِه لِلالْتِقَاءِ بِهِمْ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْوَقْتَ كَانَ لَيْلاً، وَفِي سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنْهُ، وَٱلْيَهُودُ يَخْشَوْنَ ٱلْخُرُوجَ لَيْلاً، إلاّ أَنَّ حُبَّ ٱلْمَالِ وَٱلطَّمَعَ فِي ٱلأَرْبَاحِ قَدْ أَخْرَجَهُ وَغَطَّىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. وَعَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ تَحذِيرِ زَوْجِهِ لَهُ، وَٱسْتَدْرَجَهُ ٱلصَّحَابَةُ بَعِيداً عَنِ ٱلْحِصْنِ، وَسَارُوا بِهِ مَسَافَةً يَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ عَنْ نَوْعِيَّةِ ٱلرَّهَائِنِ، حَتَّىٰ ٱتَّفَقُوا عَلَىٰ رَهْنِ ٱلسِّلاَحِ. وَكَانَ كَعْبٌ مُتَعَطِّراً، فَقَالَ لَهُ أَبُو نَائِلَةَ: مَا أَجْمَلَ هَذِهِ ٱلرَّائِحَةَ! وَقَرَّبَ رَأْسَهُ مِنْهُ كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ مِنْ شَمِّ رَائِحَةِ ٱلْعِطْرِ، إلاَّ أَنَّهُ جَذَبَهُ مِنْ شَعْرِهِ، وَقَالَ لإِخْوَانِهِ: ٱضْرِبُوا عَدُوَّ ٱللهِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ أَسْيَافُهُمْ، وَلٰكِنْ خَوْفاً عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ لَمْ يَسْقُطْ، إذ لَمْ تَنُشْهُ ٱلسُّيُوفُ، فَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ سِكِّيناً، وَوَضَعَهَا فِي ثُنَّتِهِ[1]، وَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَىٰ عَانَتِهِ، فَوَقَعَ عَدُوُّ ٱللهِ، وَرَجَعَ ٱلصَّحَابَةُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ، وَأَخْبَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ أَنَّ كَعْبَ بْنَ ٱلأَشْرَفِ قَدْ قُتِلَ.

وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ كَانَتْ غَزْوَةُ

---

(١) ٱلثُّنَّةُ: ٱلْعَانَةُ.

أُحُدٍ ٱلَّتِي أَرَادَتْ قُرَيْشٌ مِنْهَا أَنْ تَثْأَرَ لِنَفْسِهَا، فَأُصِيبَ فِيهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَلٰكِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ قُرَيْشٌ ٱلْوُصُولَ إِلَىٰ مَا أَرَادَتْ إِذْ بَقِيَتْ مَعْنَوِيَّاتُ ٱلْمُسْلِمِينَ عَالِيَةً، وَإِمْكَانَاتُهُمْ فِي مُتَابَعَةِ ٱلْقِتَالِ وَٱلذَّوْدِ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ قَائِمَةً، وَسَقَطَ مِنْهُمْ عَدَدٌ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ ٱلْبَرَرَةِ. وَٱشْتَغَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِثْرَ ٱلْمَعْرَكَةِ بِقَتْلاَهُمْ، وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ ٱلرَّبِيعِ؟ أَفِي ٱلأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي ٱلأَمْوَاتِ؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا فَعَلَ سَعْدٌ. وَٱنْطَلَقَ فَنَظَرَ فَوَجَدَهُ جَرِيحاً فِي ٱلْقَتْلَىٰ وَبِهِ رَمَقٌ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ أَمَرَنِي أَنْظُرُ، أَفِي ٱلأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي ٱلأَمْوَاتِ؟ قَالَ: أَنَا فِي ٱلأَمْوَاتِ، فَأَبْلِغْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ عَنِّي ٱلسَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ ٱلرَّبِيعِ يَقُولُ لَكَ: جَزَاكَ ٱللهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَىٰ نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَأَبْلِغْ قَوْمَكَ عَنِّي ٱلسَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ ٱلرَّبِيعِ يَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ، إِنْ خُلِصَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ وَمِنْكُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. وَلَمْ يَبْرَحْ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّىٰ مَاتَ سَعْدُ بْنُ ٱلرَّبِيعِ.

وَبَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ سُرَّ ٱلْيَهُودُ فِي ٱلْمَدِينَةِ بِمَا أَصَابَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَفَكَّرُوا بِٱلتَّخَلُّصِ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنِ ٱسْتَضْعَفُوهُمْ

وَطَمِعُوا فِيهِمْ، لِذَا قَرَّرَ بَنُو ٱلنَّضِيرِ مِنْ يَهُودَ ٱغْتِيَالَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَسَمَحَتْ لَهُمُ ٱلْفُرْصَةُ - حَسْبَ زَعْمِهِمْ - إِذْ زَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ دِيَارَهُمْ لِيَطْلُبَ مِنْهُمُ ٱلْمُشَارَكَةَ فِي دَفْعِ ٱلدِّيَةِ لِرَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ ٱلضَّمْرِيُّ، وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ قَدْ أَعْطَاهُمَا عَهْداً. وَرَحَّبَ يَهُودُ بَنِي ٱلنَّضِيرِ بِرَسُولِ ٱللهِ، وَوَعَدُوهُ بِدَفْعِ مَا يُرِيدُ، وَمَكَثَ يَنْتَظِرُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِنْجَازَ مَا وَعَدَتْ يَهُودُ، وَقَدْ جَلَسُوا فِي ظِلِّ جِدَارٍ، فَقَرَّرَتْ يَهُودُ إِلْقَاءَ صَخْرَةٍ عَلَيْهِ، وَأُخْبِرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا هَمَّتْ بِهِ يَهُودُ، وَهٰذَا مَا جَعَلَهُ يَتْرُكُ مَكَانَهُ، وَيَرْجِعُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ. وَعَدَّ رَسُولُ ٱللهِ مَا هَمَّ بِهِ ٱلْيَهُودُ مِنَ ٱلْغَدْرِ نَقْضاً لِلْعَهْدِ لِذَا قَرَّرَ إِجْلاَءَهُمْ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ إِنْذَاراً حَمَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، إِذِ ٱسْتَدْعَاهُ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ: ٱذْهَبْ إِلَىٰ يَهُودِ بَنِي ٱلنَّضِيرِ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أَنِ ٱخْرُجُوا مِنْ بِلاَدِي، لَقَدْ نَقَضْتُمُ ٱلْعَهْدَ ٱلَّذِي جَعَلْتُ لَكُمْ بِمَا هَمَمْتُمْ بِهِ مِنَ ٱلْغَدْرِ، لَقَدْ أَجَّلْتُكُمْ عَشْراً فَمَنْ رُؤِيَ بَعْدَ ذٰلِكَ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وَذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُنْكِرُوا مَا هَمُّوا بِهِ، وَٱنْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُهُمْ، إِلاَّ أَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ قَدْ طَلَبُوا مِنْهُمْ رَفْضَ ٱلإِنْذَارِ ٱلنَّبَوِيِّ، فَفَعَلُوا، فَسَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ

فَحَاصَرَهُمْ، وَضَعُفُوا بَعْدَ قَطْعِ نَخِيلِهِمْ، وَفَاوَضُوا رَسُولَ ٱللهِ فِي ٱلصُّلْحِ وَٱلْجَلاَءِ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ تَدَخَّلَ الْمُنَافِقُونَ فِي ٱلأَمْرِ وَعَلَىٰ رَأْسِهِمْ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيّ بْنِ سَلُولٍ .

وَظَنَّتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَمْرَ ٱلْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَعُفَ بَعْدَ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَمَا تَلاَهَا فِي يَوْمِ ٱلرَّجِيعِ وَبِئْرِ مَعُونَةَ وَغَيْرِهَا، فَأَرَادَتْ قُرَيْشٌ أَنْ تَشُنَّ حَرْباً وَاسِعَةً تَقْضِي فِيهَا عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَحَزَّبَتِ ٱلأَحْزَابَ، وَجَمَعَتْ أَعْدَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي حِلْفٍ، وَمِنْهُمْ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ ٱلَّذِينَ بَقُوا وَحْدَهُمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ بَيْنَمَا أُجْلِيَتْ بَقِيَّةُ يَهُودَ لِتآمُرِهِمْ وَخِيَانَتِهِمْ، وَخَطَّطَ ٱلأَحْزَابُ وَمَكَرُوا، وَلٰكِنَّ ٱللهَ رَدَّ كَيْدَهُمْ فِي نَحْرِهِمْ، فَتَرَكُوا حِصَارَ ٱلْمَدِينَةِ، وَبَقِيَ بَنُو قُرَيْظَةَ فِي مَوَاقِعِهِمْ دَاخِلَهَا. فَسَارَ إِلَيْهِمُ ٱلْمُسْلِمُونَ وَحَاصَرُوهُمْ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَئِيساً لِلْحَرَسِ ٱلنَّبَوِيِّ، وَكَثِيراً مَا تَوَلَّىٰ هٰذِهِ ٱلْمُهِمَّةَ بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ سَيِّدُ ٱلأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي غَزْوَةِ ٱلأَحْزَابِ، وَقَدْ مَاتَ شَهِيداً إِثْرَ غَزْوَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ مُتَأَثِّراً بِجِرَاحِهِ، وَغَالِباً مَا كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْمُهِمَّةُ فِي ٱلأَوْسِ ، وَلاَ شَكَّ فَإِنَّ تَوَلِّيَ قِيَادَةِ ٱلْحَرَسِ ٱلنَّبَوِيِّ لَيَدُلُّ عَلَىٰ مَدَىٰ ثِقَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِهِ، وَثِقَتِهِ بِشَجَاعَتِهِ وَإِمْكَانَاتِهِ .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بِٱلرِّجَالِ وخِبْرَةٍ بِٱلْكِرَامِ ، وَقَدْ مَرَّ بِهِ عَمْرُو بْنُ سُعْدَىٰ ٱلْقُرَظِيُّ يَوْمَ نَزَلَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ: عَمْرُو بْنُ سُعْدَىٰ، وَكَانَ عَمْرٌو قَدْ أَبَىٰ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ ٱللهِ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: ٱللهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي عَثَرَاتِ ٱلْكِرَامِ ، ثُمَّ خَلَّىٰ سَبِيلَهُ . وَلاَ شَكَّ فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلْكَلِمَةَ لَتَدُلُّ عَلَىٰ مَدَىٰ تَقْدِيرِهِ لِعَمْرٍو ٱلَّذِي حَافَظَ عَلَىٰ ٱلْعَهْدِ وَرَفَضَ ٱلْغَدْرَ كَمَا فَعَلَ بَقِيَّةُ يَهُودَ .

وَكَانَتَ إِذَا ٱنْطَلَقَتْ سَرِيَّةٌ مِنَ ٱلسَّرَايَا إِلَىٰ جِهَةٍ مِنَ ٱلْجِهَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ ٱللهِ فِيهَا ، أَعْطَىٰ قِيَادَتَهَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِينَ بِٱلشَّجَاعَةِ ٱلْمُتَمَيِّزِينَ بِٱلْعَبْقَرِيَّةِ ٱلْمَشْهُورِينَ بِٱلْقُدْرَةِ ٱلْعَسْكَرِيَّةِ وَٱلإِمْكَانَاتِ ٱلْحَرْبِيةِ، وَلَقَدْ تَوَلَّىٰ مُحَمَّدُ ٱبْنُ مَسْلَمَة قِيَادَةَ عَدَدٍ مِنْ هٰذِهِ السَّرَايَا ٱلَّتِي خَرَجَتْ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ ٱللهِ .

فِي مَطْلَعِ ٱلسَّنَةِ ٱلسَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ أَرْسَلَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فِي ثَلاَثِينَ رَاكِباً لِشَنِّ غَارَةٍ عَلَىٰ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلاَبٍ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ شِمَالَ شَرْقِيِّ ٱلْمَدِينَةِ عَلَىٰ بُعْدِ ١٥٠ كيلو متراً مِنْها عَلَىٰ طَرِيقِ ٱلْبَصْرَةِ، فَسَارَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ

إِلَيْهِمْ، وَكَانَ يَكْمُنُ فِي ٱلنَّهَارِ، وَيَتَحَرَّكُ فِي ٱللَّيْلِ حَتَّىٰ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يُبَاغِتَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عَشَرَةَ أَشْخَاصٍ، وَفَرَّ ٱلْبَاقُونَ، فَسَاقَ إِبلَ وشِيَاهَ ٱلْعَدُوِّ أَمَامَهُ، وَعَادَ بِسَرِيَّتِهِ دُونَ أَنْ يُصَابَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَذًى. وَأَثْنَاءَ طَرِيقِ ٱلْعَوْدَةِ ٱلْتَقَىٰ بِثُمَامَةَ ٱبْنِ أَثَالٍ ٱلْحَنَفِيِّ، أَحَدِ زُعَمَاءِ بَنِي حَنِيفَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لَا يَعْرِفُ ثُمَامَةَ، كَمَا لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ سَرِيَّتِهِ، فَأَسَرَهُ، وَحَمَلَهُ مَعَهُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ. فَلَمَّا سَارَ بِهِ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَرَفَهُ ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ، فَعَامَلَهُ مُعَامَلَةً طَيِّبَةً عَلَىٰ طَبِيعَةِ مُعَامَلَةِ رَسُولِ ٱللهِ لِلأَعْيَانِ وَٱلْكِرَامِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلإِسْلَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلٰكِنَّهُ رَفَضَهُ، فَأَطْلَقَ سَرَاحَهُ، فَسَارَ ثُمَامَةُ أَشْوَاطاً ثُمَّ رَجَعَ فَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ مَا رَأَىٰ مِنَ ٱلآيَاتِ مَا رَأَىٰ وَشَعَرَ بِٱلْمُعَامَلَةِ ٱلْكَرِيمَةِ إِذْ رَفَضَ أَنْ يَتَّبِعَ هَوَاهُ، وَيُصِرَّ عَلَىٰ رَأْيِهِ، وَيَسْتَكْبِرَ بِغَيْرِ حَقٍّ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَهُ ٱلطَّرِيقُ ٱلْوَاضِحُ، وَظَهَرَ لَهُ ٱلْخَطُّ ٱلْمُسْتَقِيمُ، وَسَطَعَ أَمَامَهُ ٱلنُّورُ، وَسَارَ إِلَىٰ بِلَادِهِ عَنْ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَٱعْتَمَرَ وَأَشْهَرَ إِسْلَامَهُ، وَأَغَاظَ قُرَيْشاً، وَأَرَادَتْ بِهِ كَيْداً فَهَدَّدَهَا بِقَطْعِ ٱلْمِيرَةِ عَنْهَا، وَكَادَ يَفْعَلُ لَوْلَا تَدَخُّلُ رَسُولِ ٱللهِ صلى ٱلله عليهِ وسلم.

وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلسَّادِسَةِ نَفْسِهَا فِي شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلأَوَّلِ أَرْسَلَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيْضاً مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَلَىٰ رَأْسِ عَشَرَةٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ (ذِي ٱلْقَصَّةِ) ٱلَّتِي تَقَعُ عَلَىٰ طَرِيقِ (ٱلرَّبَذَةِ) عَلَىٰ بُعْدِ ٣٧ كيلو متراً مِنْ ٱلْمَدِينَةِ لِتَأْدِيبِ أَهْلِها مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ ٱلْإِغَارَةَ عَلَىٰ إِبلِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّتِي تَرْعَىٰ عَلَىٰ مَقْرَبَةٍ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فِي مِنْطَقَةِ (ٱلْهَيْفَاءِ)، وَوَصَلَ خَبَرُ هٰذِهِ ٱلسَّرِيَّةِ إِلَىٰ أَعْدَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَنَصَبُوا كَمِيناً لَهُمْ، وَنَامَ ٱلْمُسْلِمُونَ، وَلٰكِنْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ شَعَرُوا بِٱلْهُجُومِ عَلَيْهِم، فَقُتِلَ ٱلْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً مَا عَدَا أَمِيرَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ ٱلَّذِي أَثْخَنَتْهُ الجِرَاحُ، وَظَنَّ ٱلْأَعْدَاءُ أَنَّهُ قُتِلَ، فَرَجَعَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بِمَا حَدَثَ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ ٱلْقَوْمِ أَبا عُبَيْدَةَ بْنَ ٱلْجَرَّاحِ لِيُؤَدِّبَ أَعْدَاءَ ٱللهِ، فَسَارَ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَوَلَّوْا هَارِبِينَ، وَقَدْ تَرَكُوا إِبلَهُمْ، فَٱسْتَاقَهَا أَبُو عُبَيْدَةَ وَرَجَعَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ.

وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلسَّادِسَةِ نَفْسِهَا سَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ مَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ لِيُؤَدِّيَ ٱلْعُمْرَةَ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ، إِلاَّ أَنَّ قُرَيْشاً وَقَفَتْ فِي وَجْهِهِمْ، وَحَالَتْ دُونَهُمْ وَٱلْبَيْتِ، وَجَرَىٰ صُلْحُ ٱلْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ. وَأَصْبَحَتِ ٱلْجَبْهَةُ ٱلْجَنُوبِيَّةُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي وَقْتِ صُلْحٍ

وَمُهَادَنَةٍ، ٱلأَمْرُ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْمُسْلِمِينَ يَتَّجِهُونَ إِلَىٰ ٱلْجِهَةِ ٱلشِّمَالِيَّةِ حَيْثُ يَتَجَمَّعُ ٱلْيَهُودُ فِي خَيْبَرَ وَ(فَدَكَ) وَ(تَيْمَاءَ) وَ(وَادِي ٱلْقُرَىٰ) وَمَنْ سَارَ إِلَيْهِمْ مِمَّنْ جَلاَ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ مِنْ أَبْنَاءِ عَقِيدَتِهِمْ، كَمَا شَجَّعَ أُولَئِكَ ٱلأَعْدَاءُ ٱلأَعْرَابَ وَرِجَالَ ٱلْقَبَائِلِ ٱلَّتِي لاَ تَزَالُ عَلَىٰ وَثَنِيَّتِهَا وَشِرْكِهَا.

سَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ بِٱلْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ خَيْبَرَ فِي مَطْلَعِ ٱلسَّنَةِ ٱلسَّابِعَةِ، وَلَمْ يَقْبَلْ فِي حَمْلَتِهِ هٰذِهِ إِلاَّ مَنْ حَضَرَ ٱلْحُدَيْبِيَةَ، وَوَصَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ خَيْبَرَ ٱلَّتِي تَبْعُدُ حَوَالَيْ ١٦٠ كيلو متراً إِلَىٰ ٱلشِّمَالِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ ٱلْحُصُونِ، وَقَدْ هُزِمَ ٱلْيَهُودُ، وَهَرَبُوا أَمَامَ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَدَخَلُوا ٱلْحِصْنَ، وَأَغْلَقُوا ٱلأَبْوَابَ، وَبَدَؤُوا بِرَمْيِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِٱلْحِجَارَةِ مِنَ ٱلأَبْرَاجِ وَأَعَالِي ٱلْحِصْنِ، وَقَدْ ٱسْتُشْهِدَ مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ أَخُو مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ إِذْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ حَجَرُ رَحًى، وَنَتِيجَةَ هٰذَا ٱلرَّمْيِ تَرَاجَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَنِ ٱلْحِصْنِ، فَخَرَجَ ٱلْيَهُودُ مِنْهُ، وَقَاتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ، وَتَرَّسَ ٱلْمُسْلِمُونَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ وَذَادُوا عَنْهُ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي مُقَدَّمَةِ ٱلذَّائِدِينَ، وَٱسْتَمَرَّ ٱلْقِتَالُ حَتَّىٰ ٱلْمَسَاءِ حَيْثُ تَمَّ لَيْلاً تَغْيِير مَقَرّ قِيَادَةِ رَسُول ٱللهِ ﷺ، إِذْ بَعَثَ ٱلنَّبِيُّ ٱلْكَرِيمُ قَائِدَ حَرَسِهِ ٱلْخَاصّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ

لِيُفَتِشَ عَنْ مَقَرٍ جَدِيدٍ بِنَاءً عَلَىٰ رَأْيِ ٱلْحَبَابِ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ، وَقَدْ وَجَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَقَرّاً مُنَاسِباً فِي وَادِي ٱلرَّجِيعِ يَتَّفِقُ وَٱلْمُواصَفَاتِ ٱلَّتِي قَدَّمَهَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ.

وَلَمْ يَسْقُطْ هٰذَا ٱلْحِصْنُ وَهُوَ ٱلْحِصْنُ ٱلأَوَّلُ مِنْ حُصُونِ خَيْبَرَ حَتَّىٰ قُتِلَ قَادَةُ ٱلْمُدَافِعِينَ عَنْهُ وَهُمْ: (مَرْحَبٌ) وَأَخَوَاهُ (يَاسِرٌ) وَ(ٱلْحَارِثُ) وَقَادَةٌ آخَرُونَ، فَقَدْ قُتِلَ (ٱلْحَارِثُ)، ثُمَّ قُتِلَ (مَرْحَبٌ) عَلَىٰ يَدِ بَطَلِنَا مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ، إِذْ خَرَجَ (مَرْحَبٌ) يَطْلُبُ ٱلْمُبَارَزَةَ، وَهُوَ مِنْ أَشِدَّاءِ ٱلْيَهُودِ وَأَكْثَرِهِمْ شَجَاعَةً، فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: مَنْ لِهٰذَا؟ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ ٱللهِ، أَنَا وَٱللهِ ٱلْمَوْتُورُ الثَّائِرُ، قُتِلَ أَخِي بِٱلأَمْسِ، فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلاَةُ وَٱلسَّلاَمُ: فَقُمْ إِلَيْهِ، ٱللَّهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا دَنَا أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، دَخَلَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ عُمَرِيَّةٌ (قَدِيمَةٌ) مِنْ شَجَرِ العُشَرِ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَلُوذُ بِهَا مِنْ صَاحِبِهِ، كُلَّمَا لاَذَ بِهَا مِنْهُ ٱقْتَطَعَ صَاحِبُهُ بِسَيْفِهِ مَا دُونَهُ مِنْهَا، حَتَّىٰ بَرَزَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، وَصَارَتْ بَيْنَهُمَا كَٱلرَّجُلِ ٱلْقَائِمِ مَا فِيهَا فَنَنٌ، وَهُنَا حَمَلَ ٱلْقَائِدُ (مَرحَبٌ) عَلَىٰ ٱبْنِ مَسْلَمَةَ فَأَهْوَىٰ إِلَيْهِ بِسَيْفِهِ فَٱتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ، وَكَانَتْ مِنْ جِلْدٍ سَمِيكٍ فَوَقَعَ سَيْفُ (مَرْحَبٍ) فِيهَا، فَعَضَّتْ بِهِ فَأَمْسَكَتْهُ،

وَهُنَا ضَرَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّىٰ قَتَلَهُ.

وَيُرْوَىٰ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ لَمَّا بَرَزَ إِلَىٰ (مَرْحَبٍ) قَطَعَ رِجْلَيْهِ، وَبَعْدَ أَنْ طَرَحَهُ أَرْضاً، قَالَ لَهُ مَرْحَبٌ: أَجْهِزْ عَلَيَّ، فَقَالَ: لاَ، ذُقِ ٱلْمَوْتَ كَمَا ذَاقَهُ أَخِي مَحْمُودُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَقَطَعَ رَأْسَهُ.

وَخَرَجَ (يَاسِرٌ) أَخُو (مَرْحَبٍ) ٱلثَّانِي فَتَصَدَّىٰ لَهُ ٱلزُّبَيْرُ ابْنُ ٱلْعَوَّامِ وَقَتَلَهُ، وَبَرَزَ قَائِدٌ رَابِعٌ يُدْعَىٰ (عَامِراً) فَقَتَلَهُ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَرَجَ ٱلْقَائِدُ ٱلْخَامِسُ وَهُوَ (أُسَيْرٌ) فَخَرَجَ لَهُ قَائِدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أَرْدَاهُ قَتِيلاً.

وَبَعْدَ مَقْتَلِ قَادَةِ ٱلْيَهُودِ ٱلْخَمْسَةِ ٱنْهَارَتْ مَعْنَوِيَّاتُ ٱلْيَهُودِ دَاخِلَ ٱلْحِصْنِ، وَشَدَّدَ ٱلْمُسْلِمُونَ هُجُومَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ ٱقْتَحَمُوهُ فَفَتَحُوهُ، وَهُوَ أَوَّلُ حُصُونِ خَيْبَرَ.

وَفَتَحَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْمَجْمُوعَةَ ٱلأُوْلَىٰ مِنَ ٱلْحُصُونِ فِي خَيْبَرَ، وَٱنْتَقَلُوا إِلَىٰ ٱلْمَجْمُوعَةِ ٱلثَّانِيَةِ، وَكَانَتْ تَحْتَ إِمْرَةِ آلِ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ، وَصَمَدَتْ فِي بِدَايَةِ أَمْرِهَا، ثُمَّ ٱنْهَارَتِ ٱلْمَعْنَوِيَّاتُ، وَطَلَبَ ٱلْمُدَافِعُونَ ٱلصُّلْحَ، وَأُبْرِمَتِ ٱلاتِّفَاقِيَّةُ، وَوُقِّعَتْ مِنَ ٱلطَّرَفَيْنِ، وَلٰكِنَّ أُمَرَاءَ ٱلْيَهُودِ فِي هٰذَا ٱلْجُزْءِ،

وَهُمْ كِنَانَةُ بْنُ أَبي ٱلْحُقَيْقِ ، وَأَخُوهُ ٱلرَّبِيعُ بْنُ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ قَدْ خَانُوا ٱلْعَهْدَ، وَنَكَثُوا بِٱلْوَعْدِ، وَرَفَضَ أَوَّلُهُمَا ٱلْإِدْلَاءَ بِمَكَانِ ٱلْكُنُوزِ كَذِباً وَخِيَانَةً، فَكَانَ أَنْ أُعْدِمَا، وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ أَنْ يَقْتُلَ كِنَانَةَ بْنَ أَبِي ٱلْحُقَيْقِ بِأَخِيهِ مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ، فَفَعَلَ.

وَأَتَمَّ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فَتْحَ خَيْبَرَ وَبَقِيَّةِ مَعَاقِلِ يَهُودَ فِي (فَدَكَ) وَ(تَيْمَاءَ) وَ(وَادِي ٱلْقُرَىٰ) وَبِذَا قَضَىٰ عَلَىٰ ٱلْجَبْهَةِ ٱلشَّمَالِيَّةِ نِهَائِياً، وَٱنْتَهَىٰ دَوْرُ ٱلْيَهُودِ العَلَنِيُّ فِي مُحَارَبَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ ٱلْحِقْبَةِ مِنَ ٱلتَّارِيخِ عَلَىٰ حِينَ ٱسْتَمَرَّ ٱلدَّوْرُ ٱلسِّرِّيُّ وَٱلْمُمَوَّهُ.

وَبِنَاءً عَلَىٰ صُلْحِ ٱلْحُدَيْبِيَةِ سَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ عُمْرَةِ ٱلْقَضَاءِ فِي شَهْرِ ذِي ٱلْقَعْدَةِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ٱلسَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَسَارَتْ أَمَامَهُ كَتِيبَةُ ٱلفُرْسَانِ ٱلَّتِي يَرْأَسُهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَٱلَّتِي وَصَلَتْ إِلَىٰ (مَرِّ ٱلظَّهْرَانِ) (وَادِي فَاطِمَةَ) فَسَأَلَتْ قُرَيْشٌ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ عَنِ ٱلْخَبَرِ ـ وَقَدْ هَالَتْهَا ٱلْقُوَّةُ ـ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سَيَكُونُ غَدَاةَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ فِي (مَرِّ ٱلظَّهْرَانِ).

وَفُتِحَتْ مَكَّةُ في ٱلسَّنَةِ ٱلثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَأَسْلَمَتْ قُرَيْشٌ، وَٱنْتَهَىٰ عِدَاؤُهَا، وَٱنْتَهَتْ جَبْهَةُ ٱلْجَنُوبِ، وَعَادَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَتَّجِهُ ثَانِيَةً نَحْوَ ٱلشِّمَالِ إِذْ بَدَأَ ٱلرُّومُ يَتَحَرَّشُونَ بِٱلْمُسْلِمِينَ، وَيُحَرِّضُونَ ٱلْعَرَبَ ٱلْمُتَنَصِّرَةَ لِلإِغَارَةِ عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَبِذَا فُتِحَتْ جَبْهَةُ ٱلشِّمَالِ ثَانِيَةً، وَتَحَرَّكَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ (تَبُوكَ) في ٱلسَّنَةِ ٱلتَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ لِيُظْهِرَ قُوَّةَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَمَامَ ٱلرُّومِ وَإِمْكَانِيَّةَ حَرَكَتِهِمْ، وَقُدْرَتَهُمْ عَلَىٰ ٱلْمُجَابَهَةِ، وَقَبْلَ سَيْرِهِ ﷺ أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِتَعْيِينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَمِيراً عَلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ مُدَّةَ غِيَابِ ٱلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ .

وَبَدَأَتْ وُفُودُ ٱلْقَبَائِلِ تَصِلُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِ تُعْلِنُ ٱلإِسْلاَمَ، وَتَدِينُ بِٱلطَّاعَةِ، وَمَنِ ٱسْتَمَرَّ في تَعَنُّتِهِ وَعَلَىٰ شِرْكِهِ وَوَثَنِيَّتِهِ أَرْسَلَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ سَرَايَا تُخْضِعُهُ، وَكَانَ مِنْ هٰذِهِ ٱلسَّرَايَا سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ٱلَّتِي سَارَ بِهَا إِلَىٰ (القُرطاء) مِنْ هَوَازِنَ .

وَٱسْتَمَرَّ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ طِيلَةَ حَيَاةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ لِوَاءَ ٱلإِسْلاَمِ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ، وَيَذُودُونَ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَيَحْرُسُونَهُ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةً

لِرَسُول ٱللهِ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ كَمَا كَانَ مَعَ رَسُول ٱللهِ صلى ٱلله عليهِ وسلم.

وَجَاءَ عَهْدُ عُمَرَ بْن ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَرَأَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ كِبَارُ ٱلصَّحَابَةِ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُنَوَّرَةِيَسْتَشِيرُهُمْ فِي ٱلأُمُور، وَيُزَوِّدُونَهُ بِٱلآرَاءِ فَقَدْ كَفَاهُمْ جِهَادُهُمْ مَعَ رَسُول ٱللهِ ﷺ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِمَّنْ بَقِيَ فِي ٱلْمدِينَةِ لاَ يَخْرُجُ مِنْهَا إلاَّ بِأَمْرِ ٱلْخلِيفَةِ، وَلأَمْرِ ٱلْخَلِيفَةِ، وَغَالِباً مَا كَانَ يَقُومُ بِدَوْر مُحَاسَبَةِ ٱلْوُلاَةِ وَٱلرِّجَال ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ في ٱلأَمْصَار.

وَجَاءَتْ إِلَىٰ عُمَرَ بْن ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ شَكْوَىٰ عَلَىٰ سَعْدِ بْن أَبي وَقّاص رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَمِيرُ ٱلْعِرَاق، فَٱلرَّجُلُ لا يَخْلُو مِنْ خَصْمٍ، وَٱلنُّفُوسُ لَيْسَتْ كُلُّهَا عَلَىٰ دَرجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ ٱلإِيْمَان، وَٱلْحَسَدُ مَوْجُودٌ في ٱلنَّفْس، وَلٰكِنْ لاَ بُدَّ مِنْ تَحْقِيق، فَٱلْحَقُّ فَوْقَ ٱلرِّجَال، وَٱلْعَدْلُ أَسَاسٌ فِي ٱلْحُكْم ٱلإِسْلاَمِيِّ، وَلٰكِنْ مَنْ يُحَقِّقْ مَعَ سَعْدٍ؟ وَسَعْدٌ مِنَ ٱلْعَشَرَةِ ٱلْمُبَشَّرِينَ بِٱلْجَنَّةِ، إلاَّ أَنَّ ٱلرِّجَالَ يُعْرَفُونَ بِٱلْحَقِّ، وَٱلصَّحَابَةُ فَوْقَ هٰذِهِ ٱلأُمُور، فَأَرْسَل عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ إِلَىٰ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا، وَأَرْسَلَ مَعَهُ

رسَالَةً، وَقَالَ لَهُ: ٱعْمِدْ إِلَىٰ ٱلْقَصْرِ حَتَّىٰ تَحرِقَ بَابَهُ، ثُمَّ ٱرْجِعْ عَوْدَكَ عَلَىٰ بَدْئِكَ. فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّىٰ قَدِمَ ٱلْكُوفَةَ، فَٱشْتَرَىٰ حَطَباً.... ثُمَّ أَتَىٰ بِهِ إِلَىٰ ٱلْقَصْرِ، فَأَحْرَقَ ٱلْبَابَ، وَأُتِيَ سَعْدٌ فَأُخبرَ ٱلْخَبَرَ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولٌ أُرْسِلَ لِهَٰذَا ٱلشَّأْنِ، وَبَعَثَ لِينَظُرَ مَنْ هُوَ؟ فَإِذَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولاً أَن ٱدْخُلْ، فَأَبَىٰ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدٌ، فَأَرَادَهُ عَلَىٰ ٱلدُّخُولِ وَٱلنُّزُولِ، فَأَبَىٰ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ نَفَقَةً فَلَمْ يَأْخُذْ...... ٱللهُ أَكْبَرُ مَا أَكْرَمَ هَٰذِهِ ٱلنُّفُوسَ! ٱلأَمِيرُ يَخْرُجُ بِنَفْسِهِ لِمُقَابَلَةِ ٱلرَّسُولِ..... وَٱلرَّسُولُ يَتَمَنَّعُ..... وَبَيْنَهُمَا مِنَ ٱلْحُبِّ ٱلْقَوِيِّ ٱلَّذِي لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِفَهُ إِلاَّ أَنَّهُ حُبٌّ فِي ٱللهِ.

وَدَفَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ كِتَابَ عُمَرَ إِلَىٰ سَعْدٍ، وَفِيهِ: بَلَغَنِي أَنَّكَ بَنَيْتَ قَصْراً ٱتَّخَذْتَهُ حِصْناً، وَيُسَمَّىٰ قَصْرَ سَعْدٍ، وَجَعَلْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ بَاباً، فَلَيْسَ بِقَصْرِكَ، وَلَٰكِنْ قَصْرُ ٱلْخَبَالِ،[1] أَنْزِلْ مِنْهُ مَنْزِلاً مِمَّا يَلِي بُيُوتَ ٱلأَمْوَالِ وَأَغْلِقْهُ، وَلاَ تَجْعَلْ عَلَىٰ ٱلْقَصْرِ بَاباً تَمْنَعُ ٱلنَّاسَ مِنْ دُخُولِهِ وَتَنْفِيهِمْ بِهِ

---

(١) الخَبَالُ: النُّقْصَانُ ـ ٱلْهَلاَكُ ـ صَدِيدُ أَهْلِ ٱلنَّارِ.

عَنْ حُقُوقِهِمْ، لِيُوافِقُوا مَجْلِسَكَ وَمَخْرَجَكَ مِنْ دَارِكَ إِذَا خَرَجْتَ..... فَيَا شَتَّانَ مَا بَيْنَ ٱلأَمِيرِ ٱلْمُسْلِمِ ٱلَّذِي يَجِبُ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ حِجَابٌ، يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَعْرِفُونَ سَاعَةَ دُخُولِهِ وَمَجْلِسَهُ وَخُرُوجَهُ، وَبَيْنَ ٱلْحُكَّامِ ٱلآخَرِينَ ٱلَّذِينَ يُحَاطُونَ بِسُورٍ مِنَ ٱلْجُنْدِ، وَلاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ دُخُولَهُمْ وَطَرِيقَهُمْ.... وَحَلَفَ سَعْدٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ أَنَّهُ مَا قَالَ ٱلَّذِي قَالُوا. وَرَجَعَ ٱبْنُ مَسْلَمَةَ مِنْ فَوْرِهِ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فَنِيَ زَادُهُ، فَتَبَلَّغَ بِلِحَاءٍ مِنْ لِحَاءِ ٱلشَّجَرِ، وَأَقَاتَ نَفْسَهُ، فَقَدِمَ عَلَىٰ عُمَرَ وَقَدْ تَعِبَ وَهَزَلَ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُ كُلَّهُ، فَقَالَ: فَهَلاَّ قَبِلْتَ مِنْ سَعْدٍ! فَقَالَ: لَوْ أَرَدْتَ ذٰلِكَ كَتَبْتَ لِي بِهِ، أَوْ أَذِنْتَ لِي فِيهِ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ أَكْمَلَ ٱلرِّجَالِ رَأْياً مَنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنْ صَاحِبِهِ عَمِلَ بِٱلْحَزْمِ، أَوْ قَالَ بِهِ، وَلَمْ يَتَّكِلْ، فَأَخْبَرَهُ بِيَمِينِ سَعْدٍ وَقَوْلِهِ، فَصَدَّقَ سَعْداً، وَقَالَ: هُوَ أَصْدَقُ مِمَّا رُوِيَ عَلَيْهِ وَمَنْ أَبْلَغَنِي.

وَبَيْنَمَا كَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَسْتَعِدُّونَ لِلْمَسِيرِ إِلَىٰ نَهَاوَنْدَ لِمُنَازَلَةِ ٱلْفُرْسِ هُنَاكَ حَيْثُ تَجَمَّعُوا بِهَا، إِذْ جَاءَتْ شَكْوَىٰ عَلَىٰ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْجَرَّاحِ بْنِ سِنَانَ ٱلأَسَدِيِّ، فَأَرْسَلَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ،

فَقَدِمَ ٱبْنُ مَسْلَمَةَ عَلَىٰ سَعْدٍ لِيَطُوفَ بِهِ فِي أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ، وَٱلْبُعُوثُ تُضْرَبُ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلأَمْصَارِ إِلَىٰ نَهَاوَنْدَ، فَطَوَّفَ بِهِ عَلَىٰ مَسَاجِدِ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ، لاَ يَتَعَرَّضُ لِلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ فِي ٱلسِّرِّ، وَلَيْسَتِ ٱلْمَسْأَلَةُ فِي ٱلسِّرِ مِنْ شَأْنِهِمْ إِذْ ذَاك؛ وَكَانَ لاَ يَقِفُ عَلَىٰ مَسْجِدٍ فَيَسْأَلَهُمْ عَنْ سَعْدٍ إِلاَّ قَالُوا: لاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْراً، وَلاَ نَشْتَهِي بِهِ بَدِيلاً، وَلاَ نَقُولُ فِيهِ، وَلاَ نُعِينُ عَلَيْهِ، إِلاَّ مَنْ مَالأَ ٱلْجَرَّاحَ بْنَ سِنَانَ وَأَصْحَابَهُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُتُونَ وَلاَ يَقُولُونَ سُوءاً، وَلاَ يَسُوغُ لَهُمْ، وَيَتَعَمَّدُونَ تَرْكَ ٱلثَّنَاءِ، حَتَّىٰ ٱنْتَهَوا إِلَىٰ بَنِي عَبْسٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: أَنْشُدُ بِٱللهِ رَجُلاً يَعْلَمُ حَقّاً إِلاَّ قَالَ! قَالَ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ: ٱللَّهُمَّ إِنْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّهُ لاَ يَقْسِمُ بِٱلسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي ٱلرَّعِيَّةِ، وَلاَ يَغْزُو فِي ٱلسَّرِيَّةِ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: ٱللَّهُمَ إِنْ كَانَ قَالَهَا كَاذِباً وَرِئَاءً وَسُمْعَةً فَأَعْمِ بَصَرَهُ، وَأَكْثِرْ عِيَالَهُ، وَعَرِّضْهُ لِمَضَلاَّتِ ٱلْفِتَنِ. فَعَمِيَ، وَٱجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ، وَكَانَ يَسْمعُ بِخبرِ ٱلْمَرْأَةِ فَيَأْتِيهَا حَتَّىٰ يَجُسَّهَا، فَإِذَا عُثِرَ عَلَيْهِ، قَالَ: دَعْوَةُ سَعْدٍ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُبَارَكِ..... وَكَذَا نَفَذَتْ دَعْوَتُهُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ عَنْهُ.

وَتُوُفِّيَ ٱلْخَلِيفَةُ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَبُويِعَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ خَلِيفَةً فكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بجَانِبهِ كَمَا كَانَ بَجانِبِ ٱلْخُلُفَاءِ ٱلَّذِينَ سَبَقُوهُ، وَفِي أَوَاخِـر خِلاَفَـةِ سَيِّـدنَـا عُثْمَانَ حَدَثَتِ ٱلفِتْنَةُ ٱلْعَمْيَاءُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ أَنْ يُرْسِلَ إلَىٰ ٱلاْمْصَارِ رجَالاً يَثِقُ بِهِمْ يَأْتُوهُ بِٱلْخَبَرِ فَدَعَا مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ مَعَ مَنْ دَعَا، وَأَرْسَلَهُ إِلَىٰ ٱلْكُوفَةِ، وكَانَ أَنْ أَرْسَلَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَىٰ ٱلْبَصْرَةِ، وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ إِلَىٰ مِصْرَ، وَعَبْدَ ٱللهِ بْنَ عُمَرَ إِلَىٰ ٱلشَّامِ وَرِجَالاً آخَرِينَ سِوَاهُمْ، وَرَجَعُوا جَمِيعاً وَلَمْ يُنكِرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ شَيْئاً، وَلاَ أَنْكَرَهُ أَعْلاَمُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَوَامُهُمْ.

وَوَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَ سَيّدِنَا عُثْمَانَ أَثْنَاءَ ٱلْمِحْنَةِ ٱلَّتِي ٱبْتُلِيَ بِهَا، وَٱلْفِتْنَةِ ٱلَّتِي عمَّتِ ٱلْمُسْلِمِينَ يَوْمَذَاكَ، وَنَافَحَ عَن ٱلْحقّ بكلّ إمْكَانَاتِهِ وَدَافَعَ عَن ٱلْخَلِيفَةِ بكُلّ طَاْقَـاْتِـهِ، حَتَّىٰ كَانَ أَمْرُ ٱللهِ وَقُتِلَ سَيدُنَا عُثْمَانُ مَظْلُوماً، وَمَضَىٰ شَهِيداً.

وَبَايَعَ ٱلنَّاسُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِإِمَارَةِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ عَلَىٰ كُرْهٍ مِنْ ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَتِبَّ ٱلْوَضْعُ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَيَهْدَأَ ٱلأمْرُ ٱلَّذِي آلَتْ إِلَيْهِ ٱلْخِلاَفَةُ، وَلٰكِنَّ سَبْعَةً مِنْ كِبَارِ ٱلصَّحَابَةِ لَمْ يُبَايِعُوا وَهُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ، وَعَبْدُ ٱللهِ بْنُ

عُمَرَ، وَصُهَيْبٌ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَسَلَمَةُ بْنُ وَقْشٍ ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِيمَا عَدَا ذٰلِكَ، وَكَانَ لَهُمُ ٱجْتِهَادُهُمْ، وَلَهُمْ رَأْيُهُمْ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَطْعَنُوا فِي إِمَامَةِ عَلِيٍّ، وَلَمْ يَتَكَلَّمُوا عَنْهُ بِسُوءٍ ـ مَعَاذَ ٱللهِ ـ وَهُمْ أَدْرَىٰ ٱلنَّاسِ بِسَيِّدِنَا عَلِيّ وَدَوْرِهِ فِي ٱلإِسْلاَم .

وَبَقِيَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حَتَّىٰ ٱنْتَهَتْ خِلاَفَةُ عَلِيٍّ وَبُويِعَ ٱلْحَسَنُ، وَتَنَازَلَ لِمُعَاوِيَةَ، وَٱجْتَمَعَتْ كَلِمَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانَتْ قَدِ ٱنْتَهَتِ ٱلْخِلاَفَةُ ٱلرَّاشِدَةُ، وَتُوُفِّيَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ عَامَ ٤٣هـ فِي ٱلْمَدِينَةِ .

بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام

-١٠-

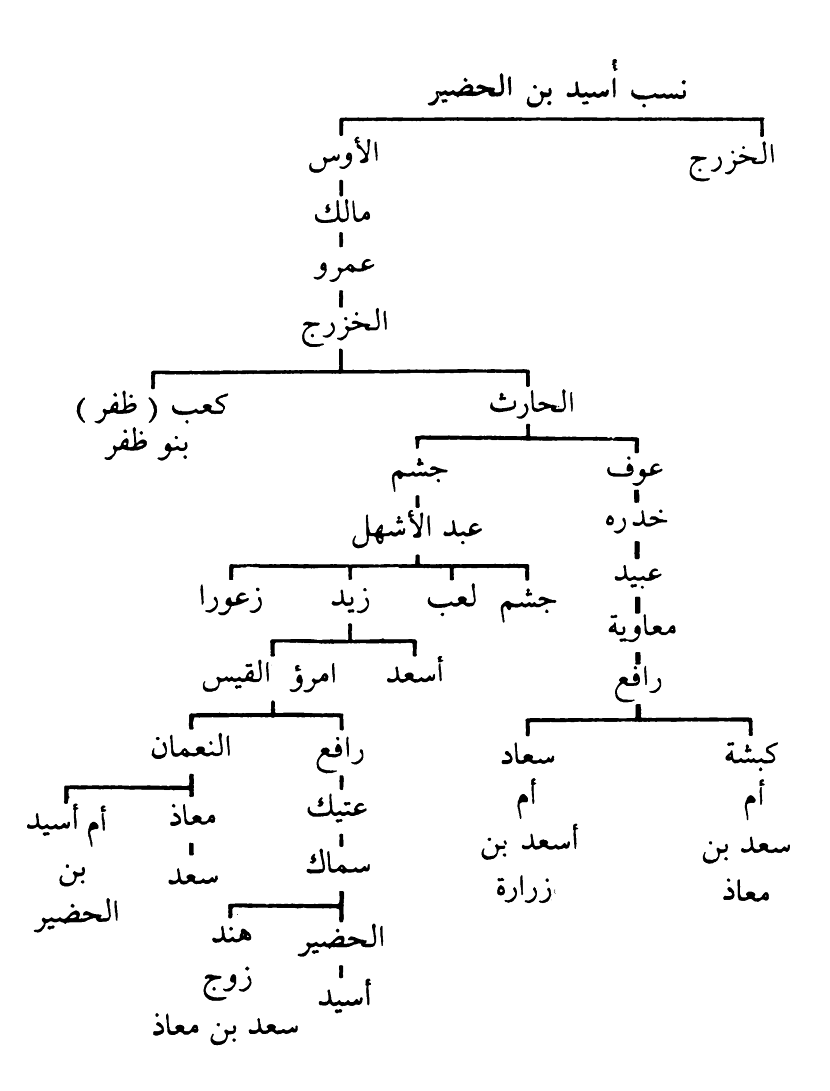
أُسَيد بن الحُضَير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"نعم الرّجل أسيد بن الحضير"

- كَانَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْر وَعَبَّادُ بْنُ بشْرِ عِنْدَرَسُول ٱللهِ، ﷺ، في لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حنْدِسٍ، فَتَحَدَّثَا عِنْدَهُ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجَا، أَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَيَا في ضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَ لَهُمَا ٱلطَّرِيقُ؛ أَضَاءَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَاهُ، فَمَشَىٰ فِي ضَوْئِهَا.

- قَالَتْ عَائِشَةُ أُمُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا: «ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلأَنْصَار، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَسْمُو عَلَيْهِمْ فَضْلاً، سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بشْرٍ».


نسب أسيد بن الحضير
الخزرج
الأوس
مالك
عمرو
الخزرج
الحارث
كعب (ظفر)
بنو ظفر
عوف
جشم
خدره
عبيد
معاوية
رافع
كبشة
أم
سعد بن
معاذ
سعاد
أم
أسعد بن
زرارة
عبد الأشهل
جشم
لعب
زيد
زعورا
أسعد
امرؤ القيس
رافع
عتيك
سماك
الحضير
أسيد
هند
زوج
سعد بن معاذ
النعمان
معاذ
سعد
أم أسيد
بن
الحضير

نَسَبُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ

كَانَتْ قبيلَتَا «ٱلأوْس» وَ«ٱلْخَزْرَج» تَسْكُنَان ٱلْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا إِحَنٌ وعَدَاوَاتٌ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ قَرَابَتِهِمَا، إِذْ هُمَا أُخْتَان، إلاَّ أَنَّ يَهُودَ يُثِيرُونَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ضَغَائِنَ، وَلِكُلٍّ مِنْ هَاتَيْن ٱلْقَبِيلَتَيْن زَعِيمٌ، فَكَانَ سَيِّدَ «ٱلأوْسِ» عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَةِ ٱلإِسْلاَمِ فِي ٱلْمَدِينَةِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، ثُمَّ غَدَا سَيِّدَ ٱلأنْصَار كَافَّةً، وَكَانَ سَيِّدَ «ٱلْخَزْرَجِ» «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَتِ ٱلْخَزْرَجُ أَكْثَرَ عَدَداً وَأَكْبَرَ نَفِيراً.

وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ عِدَّةُ بُطُونٍ، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِ بُطُونِ ٱلْأَوْسِ وَأَكْثَرِهَا تَمَاسُكاً «بَنُو عَبْدِ ٱلأشْهَل»، وَمِنْهُمْ سَيِّدُ ٱلْأَنْصَارِ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، كَمَا كَانَ مِنْهُمْ «أُسَيدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ» رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَحَدُ سَادَةِ ٱلأوْسِ أَيْضاً، وَزَعِيمٌ مِنْ زُعَمَائِهِمُ ٱلْمَعْرُوفِينَ.

وَكَانَ بَيْنَ «سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» وَ«أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ»

سَيِّدَي ٱلأَوْس صِلاَتٌ قَوِيَّةٌ وَعَلاَقَةٌ مَتِينَةٌ إِضَافَةً إِلَىٰ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ قَرَابَةٍ، فَأُمُّ أُسَيْدٍ هِيَ عَمَّةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَهِيَ: (أُمُّ أُسَيْدٍ بِنْتُ ٱلنُّعْمَان بْن ٱمْرِىءِ ٱلْقَيْسِ)، وَزَوْجُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ هِيَ عَمَّةُ أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ، وَهِيَ: (هِنْدُ بِنْتُ سِمَاكٍ)، كَمَا أَنَّهُمَا أَبْنَاءُ عَمٍّ، وَإِلَيْهِمَا تَعُودُ زَعَامَةُ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ بَلْ سِيَادَةُ ٱلأَوْس كُلِّهِمْ.

كَانَتِ ٱلْحُرُوبُ لاَ تَنْفَكُّ بَيْنَ هَاتَيْنِ ٱلْقَبِيلَتَيْنِ، وَكَانَ آخِرَهَا يَوْمُ «بُعَاثٍ» ٱلَّذِي كَانَ قَبْلَ ٱلْهِجْرَةِ بِسِتَّةِ أَعْوَامٍ، وَقَادَ ٱلأَوْسَ فِيهَا (ٱلْحُضَيْرُ بْنُ سِمَاكٍ) وَالِدُ أُسَيْدٍ، وَقُتِلَ يَوْمَهَا، مَعَ أَنَّ ٱلأَوْسَ قَدِ ٱنْتَصَرُوا فِيهَا عَلَىٰ ٱلْخَزْرَجِ حَتَّىٰ كَادُوا يَقْضُونَ عَلَيْهِمْ وَيَهْدِمُونَ دُورَهُمْ لَوْلاَ أَبُو قَيْسِ بْنِ ٱلأَسْلَتِ أَحَدِ قَادَةِ ٱلأَوْسِ إِذْ مَنَعَ قَوْمَهُ مِنْ هٰذَا ٱلْعَمَلِ.

وَرِثَ أُسَيْدٌ عَنْ أَبِيهِ ٱلشَّرَفَ وَٱلسِّيَادَةَ فِي قَوْمِهِ، كَمَا وَرِثَ عَنْهُ مَعْرِفَةَ ٱلْقِرَاءَةِ وَٱلْكِتَابَةِ، وَحُسْنَ ٱلرَّمْيِ وَإِجَادَةَ ٱلْعَوْمِ عَلَىٰ ٱلرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ٱلْمَدِينَةَ مِنْطَقَةٌ دَاخِلِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا مِيَاهٌ جَارِيَةٌ، وَمَنْ كَانَ فِي مِثْلِهَا قَلَّ أَنْ يُحْسِنَ ٱلسِّبَاحَةَ، وَمَنْ كَانَ يُجِيدُ هٰذِهِ ٱلأُمُورَ يُسَمَّىٰ (ٱلْكَامِلَ) لِقِلَّةِ ذٰلِكَ وَنَدْرَتِهِ، لِذَا فَقَدْ كَانَ أُسَيْدٌ يُعْرَفُ بِهٰذِهِ ٱلصِّفَةِ، كَمَا كَانَ أَبُوهُ يُسَمَّىٰ

بذٰلِكَ. وَيُكَنَّىٰ أُسَيْدٌ (أَبَا يَحْيَىٰ)، وَتُوُفِّيَ ٱبْنُهُ (يَحْيَىٰ) وَلَمْ يُنْجبْ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ (كِنْـدَةَ)، كَمَـا يُكَنَّـىٰ أُسَيْـدٌ (أَبَـا ٱلْحُضَيْرِ).

إِسْلَامُ أُسَيْدِ بْنِ الحُضَيْرِ

بُعِثَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ فِي مَكَّةَ، وَكَانَتِ ٱلْوَثَنِيَّةُ تَعُمُّ ٱلْجَزِيرَةَ وَمِنْ ضِمْنِهَا مَكَّةُ وَٱلْمَدِينَةُ، فَدَعَا رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِلْإِسْلَامِ سِرّاً، ثُمَّ جَهَرَ بِٱلدَّعْوَةِ بَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ ٱلْعَمَلِ ٱلسِّرِّيِّ، وَبَدَأَ يَبُثُّ دَعْوَتَهُ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَلْتَقِي بِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ مِنْ دَاخِلَ بَلْدَتِهِ أَمْ مِنْ خَارِجِهَا، وَقَبْلَ هِجْرَتِهِ ﷺ بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ وَفِي ٱلْعَامِ ٱلَّذِي تَلَا يَوْمَ بُعَاثٍ ٱلْتَقَىٰ ﷺ أَثْنَاءَ ٱلْمَوْسِمِ بِجَمَاعَةٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ ٱلْإِسْلَامِ، وَكَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ مِمَّا يَسْمَعُونَهُ، وَهُمْ فِي ٱلْمَدِينَةِ، مِنْ يَهُودِهَا عَنْ بِعْثَةِ نَبِيٍّ قَرُبَ وَقْتُ ظُهُورِهِ، يَسْتَظْهِرُ بِهِ ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ ٱلَّذِي تَوَعَّدَكُمْ بِهِ يَهُودُ، فَلَا يَسْبِقُنَّكُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَىٰ مَا دَعَاهُمْ بِأَنْ صَدَّقُوهُ، وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ . وَقَالُوا لِلرَّسُولِ ﷺ : « إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ، وَعَسَىٰ أَنْ يَجْمَعَنَا ٱللهُ بِكَ، فَسَنَقْدُمُ عَلَيْهِمْ فَنَدْعُوهُمْ لِأَمْرِكَ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَٰذَا ٱلدِّينِ ، فَإِنْ

يَجْمَعْهُمُ ٱللهُ عَلَيْكَ فَلاَ رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ». ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا إِلَىٰ بِلاَدِهِمْ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، وَفِيهِمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ ابْنُ زُرَارَةَ[١] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا قَدِمُوا ٱلْمَدِينَةَ ٱتَّجَهُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ، وَدَعُوهُمْ إِلَىٰ ٱلْإِسْلاَمِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنَ ٱلدُّورِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ.

فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَوْسِمُ ٱلثَّانِي وَافَاهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، وَٱلْتَقَوْا بِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِٱلْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ ٱلْأُولَىٰ، وَعِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ أَرْسَلَ مَعَهُمْ (مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ)[٢] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ.

---

(١) أسعد بن زرارة، أبو أمامة: ابن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وأمه سعاد بنت رافع بن معاوية أخت كبشة أم سعد بن معاذ، ويقال: إنه أول من أسلم من النفر الستة الذين كانوا معه، وشهد بيعة العقبة الأولى، والثانية، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وهو نقيب بني النجار، وهو أول من صلى الجمعة بالناس في المدينة، وتوفي قبل غزوة بدر.

(٢) مصعب بن عمير، أبو عبد الله: ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، ويُعرف باسم مصعب الخير، من جلّة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة، ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة ليعلّم الأنصار الإسلام، وكان يحمل لواء المهاجرين يوم بدر، كما كان معه لواء المسلمين يوم أحد، واستشهد يومذاك، قتله ابن قميئة، تزوج حمنة بنت جحش، ابنة عمة رسول الله ﷺ أميمة، وهي أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش. وكان =

نَزَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِٱلْمَدِينَةِ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَكَانَ يُقْرِىءُ ٱلنَّاسَ ٱلْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي ٱلدِّينِ، وَيُعْرَفُ بِٱسْمِ «ٱلْمُقْرِىء»، وَكَانَ يَزُورُ مَعَ مُضِيفِهِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ بَعْضَ أَحْيَاءِ ٱلْمَدِينَةِ، وَخَرَجَا ذَاتَ يَوْمٍ يُرِيدَانِ دَارَ بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكِلَاهُمَا بَطْنٌ مِنَ ٱلْأَوْسِ، فَدَخَلَا حَائِطاً مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ فَجَلَسَا، وَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَمِعَ بِٱلْخَبَرِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ، وَهُمَا يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا ٱلْأَوْسِ، وَعَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِمَا مِنَ ٱلْوَثَنِيَّةِ.

قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ: لَا أَبَا لَكَ، ٱنْطَلِقْ إِلَىٰ هٰذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا، لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَٱزْجُرْهُمَا وَٱنْهَهُمَا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ عَلِمْتَ، كَفَيْتُكَ ذٰلِكَ، هُوَ ٱبْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا.

أَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ قَالَ لِمُصْعَبٍ: إِنْ جَلَسَ فَكَلِّمْهُ، فَوَقَفَ

= له منها إبنة تدعى (زينب) تزوجها عبد الله بن عبد الله ابن أبي أمية المخزومي.

عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ ٱعْتَزِلاَنَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ.

قَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟، سَمِعَ أُسَيدُ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ فَرَآهُ جَمِيلاً مَقْبُولاً، لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ يُقِرَّهُ ٱلْعَاقِلُ، وَيَرْضَىٰ بِهِ ٱلْحَلِيمُ.

قَالَ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ، وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِٱلْإِسْلاَمِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، فَقَالاَ فِي نَفْسَيْهِمَا: وَٱللهِ لَقَدْ عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ.

قَالَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ كَيْ تَدْخُلُوا فِي هٰذَا ٱلدِّينِ؟

قَالاَ لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ، وَتَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ: إِنَّ وَرَائِي رَجُلاً إِنِ ٱتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا ٱلْآنَ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ.

ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَٱنْصَرَفَ إِلَىٰ سَعْدٍ وَقَوْمِهِ، وَهُمْ جُلُوسٌ

فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدٌ مُقْبلاً قَالَ: أَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَىٰ ٱلنَّادِي.

قَالَ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

قَالَ: كَلَّمْتُ ٱلرَّجُلَيْنِ، فَوَٱللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالاَ: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ٱبْنُ خَالَتِكَ، لِيَخْفِرُوكَ. وَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَباً مُبَادِراً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ ٱلْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَٱللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ عَرَفَ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً، ثُمَّ قَالَ لأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا وَٱللهِ لَوْلاَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ مِنِّي هٰذَا، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ. وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ! جَاءَكَ وَٱللهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، وَإِنْ يَتْبَعْكَ لاَ يَتَخَلَّفْ عَنْكَ مِنْهُمُ ٱثْنَانِ.

قَالَ مُصْعَبٌ: أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْراً وَرَغِبْتَ

فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟

قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ. فَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ، قَالاَ: فَعَرَفْنَا وَٱللهِ فِي وَجْهِهِ ٱلْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ. وَبَعْدَ حَدِيثِ مُصْعَبٍ، قَالَ سَعْدٌ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِنْ أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هٰذَا ٱلدِّيْنِ؟. قَالاَ: تَغْتَسِلُ فَتَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ ٱلْحَقِّ. فَفَعَلَ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِداً إِلَىٰ نَادِي قَوْمِهِ وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ. فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبلاً قَالُوا: نَحْلِفُ بِٱللهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ ٱلْوَجْهِ ٱلَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي مِنْكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا، وَأَوْصَلُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْياً، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ، حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ. فَمَا أَمْسَىٰ فِي دَار بَنِي عَبْدِ ٱلْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلاَ ٱمْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمٌ وَمُسْلِمَةٌ.

ٱنْتَقَلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ إِلَىٰ بَيْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ٱلَّذِي أَصْبَحَ ٱلْمَرْكَزَ ٱلْإِسْلَامِيَّ فِي ٱلْمَدِينَةِ، وَبَدَأَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُمَا سَيِّدَا ٱلْأَوْسِ يَوْمَئِذٍ، يُكَسِّرانِ أَصنَامَ قَبِيلَتِهِمَا.

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَة

دَخَلَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ فِي ٱلْإِسْلَامِ بِكُلِّ جَوَارِحِهِ، وَقَدَّمَ لَهُ كُلَّ إِمْكَانَاتِهِ وَطَاقَاتِهِ، وَبَذَلَ فِي سَبِيلِهِ رُوحَهُ وَمَا يَمْلِكُ، وَهٰذِهِ صِفَةُ ٱلْمُسْلِمِ ٱلْكَامِلِ.

وَجَاءَ ٱلْمَوْسِمُ، وَتَدَاعَىٰ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ لِلْخُرُوجِ إِلَىٰ مَكَّةَ حُجَّاجاً، وَسَارَ ٱلرَّكْبُ، وَفِيهِمْ سَبْعُونَ مُسْلِماً لاَ يَعْلَمُهُمْ قَوْمُهُمْ، كَمَا رَافَقَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هٰذَا ٱلرَّكْبَ مَعَ أَسْعَدَ ٱبْنِ زُرَارَةَ. وَٱلْتَقَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ أَوْسَطَ أَيَّامِ ٱلتَّشْرِيقِ فِي ٱلْعَقَبَةِ حَسْبَ مَوْعِدٍ مَضْرُوبٍ مِنَ ٱلْمَوْسِمِ ٱلْمَاضِي. وَبَعْدَ ٱللِّقَاءِ وَٱلْحَدِيثِ ٱلَّذِي دَارَ بَيْنَ ٱلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ ٱلَّذِي كَانَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وَقَدْ جَاءَ يَسْتَوْثِقُ لِٱبْنِ أَخِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ دِينِ قَوْمِهِ بَعْدُ، و يَحضَرُ ما يَتِمُّ بَيْنَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ وبَيْنَ ٱلأَنْصَارِ ثُمَّ تَكَلَّمَ رَسُولُ ٱللهِ فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ لِلأَنْصَارِ: أَخْرِجُوا لِي مِنْكُمُ ٱثْنَيْ عَشر نَقِيباً لِيَكُونُوا عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بمَا فِيهِمْ. فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً، تِسْعَةً مِنَ ٱلْخَزْرَجِ وَثَلاَثَةً مِنَ ٱلأَوْسِ. وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ

ٱلْحُضَيْر أَحَدَ ٱلثَّلَاثَـةِ مِـنَ ٱلأَوْس مَـعَ أَبـي ٱلْهَيْثَـمِ بْـنِ ٱلتَّيهَان (١) وَسَعْدِ بْن خَيْثَمَةَ(٢) .

وَبَايَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنَ ٱلأَنْصَار رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَيْعَةَ ٱلْعَقَبَةِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بذٰلِكَ رَكْبُ ٱلْمَدِينَةِ مِمَّنْ لَمْ يُسْلِمْ، كَمَا لَمْ تَعْلَمْ بذٰلِكَ قُرَيْشٌ وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا ٱلْخَبَرُ سَأَلَتِ ٱلرَّكْبَ فَنَفَىٰ ذٰلِكَ، وَعَادَ ٱلرَّكْبُ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَتَأَكَّدَتْ قُرَيْشٌ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا فَتَبعَتِ ٱلْقَوْمَ وَأَسَرَتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ(٣) رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

---

(١) أبو الهيثم بن التيهان: واسمه مالك، وهو من قبيلة « بلي » وحليف لبني عبد الأشهل، كان يكره الأصنام في الجاهلية، ويتأفف منها، ويعدّ من أوائل من أسلم من الأنصار، شهد العقبتين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه عام ٢٠ هـ، وأنجب فتاة اسمها أميمة .

(٢) سعد بن خيثمة: ويكنى أبا عبدالله، شهد العقبة، واستشهد يوم بدر رضي الله عنه، وقد رفض يومها أن يؤثر أباه بالخروج عندما طلب منه ذلك، وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهما فخرج سهم سعد فخرج مع رسول الله، وقد قتله عمرو بن عبد ود . وشهد ابنه عبد الله الحديبية مع رسول الله ﷺ .

(١) سعد بن عبادة: سيد الخزرج وأحد الأجواد المشهورين، شهد العقبة الثانية وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ سوى بدر فلم يخرج لها، ورشح لخلافة المسلمين بعد رسول الله ﷺ من قبل الأنصار، ثم بويع أبو بكر رضي الله عنه، وخرج سعد للجهاد، وتوفي في أرض الشام أيام أبي بكر، واشتهر من ولده قيس بن سعد وكان سيداً كريماً كأبيه، فارعاً في الطول، قائداً في الحروب .

يَوْمُ بَدْرٍ

هَاجَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ إِلَىٰ أَنْصَارِهِ، وَهُنَاكَ آخَىٰ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَآخَىٰ بَيْنَ أُسَيْدِ بْنِ ٱلْحُضَيْرِ وَبَيْنَ حِبِّهِ وَمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَعَاشَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً، وَٱسْتَدَارَ ٱلْعَامُ وَمَضَىٰ شَطْرٌ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلثَّانِي، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِعَوْدَةِ عِيرِ أَبِي سُفْيَانَ مِنَ ٱلشَّامِ فَنَدَبَ ٱلْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: هٰذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فِيهَا أَمْوَالُهُمْ، فَٱخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلَّ ٱللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا. فَٱنْتَدَبَ ٱلنَّاسَ، فَخَرَجَ بَعْضُهُمْ وَتَأَخَّرَ بَعْضُهُمُ ٱلْآخَرُ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَلْقَىٰ حَرْباً، وَٱلْعِيرَ لَا تَضُمُّ سِوَىٰ ثَلَاثِينَ رَجُلاً أَوْ أَرْبَعِينَ وَلَا يَحْتَاجُ هٰذَا إِلَىٰ نَفِيرِ ٱلْمَدِينَةِ كُلِّهَا. وَكَانَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ مِمَّنْ تَأَخَّرَ.

وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، وَوَقَفَ قَبْلَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ ٱلْأَوْسِ، وَقَالَ مُخَاطِباً رَسُولَ ٱللهِ ﷺ: «يَا نَبِيَّ ٱللهِ، أَلَا نَبْنِي لَكَ عَرِيشاً تَكُونُ فِيهِ وَتَقْعُدُ عِنْدَكَ رَكَائِبُكَ ثُمَّ نَلْقَىٰ عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا ٱللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا كَانَ ذٰلِكَ مَا

أَحبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ ٱلأُخْرَىٰ، جَلَسْتَ عَلَىٰ رَكَائِبِكَ فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ ٱللهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبّاً لَكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَىٰ حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ ٱللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ». كَانَ سَعْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَعْرِفُ إِيمَانَ أُسَيْدٍ، وَيَعْرِفُ مَحَبَّتَهُ ٱلشَّدِيدَةَ لِرَسُولِ ٱللهِ ﷺ، وَيَعْلَمُ حَقِيقَةَ تَأَخُّرِهِ وَأَنَّهُ مَا كَانَ جُبْناً أَوْ خَوْفاً أَوْ رَغْبَةً فِي حَيَاةٍ وَإِنَّمَا كُلُّ عِلْمِهِ أَنَّ ٱلْهَدَفَ كَانَ ٱلْعِيرَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَرْبٍ أَوْ كَيْدٍ.

وَٱنْتَصَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ ٱنْتِصَاراً عَظِيماً، وَرَجَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَعْدَ ٱلْمَعْرَكَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَكَانَ ٱلْخَبَرُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا قَبْلَهُمْ، وَخَرَجَ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْرِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ لِيَسْتَقْبِلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَلَقِيَهُ فَقَالَ لَهُ: ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي أَظْفَرَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ، وَٱللهِ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا كَانَ تَخَلُّفِي عَنْ بَدْرٍ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّكَ تَلْقَىٰ عَدُوّاً وَلٰكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّهَا ٱلْعِيرُ، وَلَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ عَدُوٌّ مَا تَخَلَّفْتُ. فَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ: صَدَقْتَ. وَلَمْ يَتَخَلَّفْ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَعْدَهَا عَنْ مَعْرَكَةٍ.

يَوْمُ أُحُدٍ

وَمَرَّ عَامٌ عَلَىٰ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ لِتَثْأَرَ، وَخَرَجَ لَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَسَارَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي ٱلطَّلِيعَةِ، وَٱلْتَقَىٰ ٱلطَّرَفَان فِي سَفْحِ أُحُدٍ، وَهُزِمَتْ قُرَيْشٌ، ثُمَّ أَعَادَتِ ٱلْكَرَّةَ بَعْدَ أَنْ هَبَطَ ٱلرُّمَاةُ مِنْ مَوْضِعِهِمْ، وَجَاءَهُمْ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ[1] مِنَ ٱلْخَلْفِ، وَوَقَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بَيْنَ نَارَيْن فَٱنْكَشَفُوا، وَثَبَتَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ مَعَ رَسُول ٱللَّهِ ﷺ، وَجُرِحَ سَبْعَ جِرَاحَاتٍ كُلُّهَا ذَاتُ خَطَرٍ وَعُمْقٍ، فَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: نِعْمَ ٱلرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ ٱلْحُضَيْر.

وَعَادَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنَ ٱلْمَعْرَكَةِ وَقَدْ فَقَدُوا عَلَىٰ أَرْضِهَا سَبْعِينَ شَهِيداً، مِنْهُمْ عَمُّ رَسُول ٱللَّهِ ﷺ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ

---

(١) حضر خالد بن الوليد أحداً مع المشركين، إذ لم يكن قد أسلم بعد، وكان إسلامه في صفر من عام ثمانية للهجرة، وشهد بعدها مؤتة، وكسرت في يده تسعة أسياف. وقاد الفتوح في العراق والشام وتوفي رضي الله عنه عام ٢١هـ.

ٱلْمُطَّلِب[1] رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ . وَمَرَّ رَسُولُ ٱللهُ ﷺ بِدَارٍ مِنْ دُورِ ٱلأَنْصَار مِنْ بَنِي (عَبْدِ ٱلأَشْهَل) وَ(ظَفَـرٍ)، فَسَمِـعَ ٱلْبُكَـاءَ وَٱلنَّوائِحَ عَلَىٰ قَتْلاَهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَا رَسُول ٱللهِ ﷺ، فَبَكَىٰ ثُمَّ قَال: وَلٰكِنَّ حَمْزَةَ لاَ بَوَاكِيَ لَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ إِلَىٰ دَار بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ أَمَرَا نِسَاءَهُمْ أَنْ يَتَحَزَّمْنَ، ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَيَبْكِينَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَمَّ رَسُول ٱللهِ ﷺ . فَفَعَلْنَ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ ٱللهِ بُكَاءَهُنَّ عَلَىٰ حَمْزَةَ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ، وَهُنَّ عَلَىٰ بَاب مَسْجِدِهِ يَبْكِينَ، فَقَالَ: ٱرْجِعْنَ يَرْحَمْكُنَّ ٱللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُـنَّ، وَنَهَـىٰ يَـوْمَئِـذٍ عَـنِ ٱلنَّوْح .

---

(١) حمزة بن عبد المطلب: عمّ رسول الله ﷺ، ويكنى أبا عمارة، أسلم في السنة السادسة من بعثة رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، وعقد له رسول الله أول لواء بعد الهجرة لسرية وصلت إلى سيف البحر، وأبلى بلاء كبيراً يوم بدر، واستشهد يوم أحد، وهو أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة من « ثويبة » .

فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصطَلِقِ

سَارَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ ٱلْجُمُوعَ لِغَزْوِ ٱلْمَدِينَةِ وَذٰلِكَ فِي أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ، وَأَحَاطَ بِهِمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَٱسْتَوْلَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ دِيَارِهِمْ وَمَا فِيهَا، وَٱسْتَاقُوا أَمَامَهُمْ ٱلْخَيْلَ وَٱلشِّيَاهَ والإِبِلَ، وَسَبُوا ٱلنِّسَاءَ وَٱلذَّرَارِيَ، وَأَسَرُوا ٱلرِّجَالَ. وَلٰكِنَّهُمْ أَطْلَقُوا سَرَاحَ ٱلأَسْرَىٰ وَٱلسَّبَايَا بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ ٱلْحَارِثِ سَيِّدِ بَنِي ٱلْمُصْطَلِقِ بَعْدَ أَن ٱفْتَدَاهَا أَبُوهَا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ وَأَبُوهَا.

عَادَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِثْرَ هٰذِهِ ٱلْغَزْوَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ، وَأَثْنَاءَ ٱلطَّرِيقِ تَحَدَّثَ ٱلنَّاسُ فِي قِصَّةِ ٱلإِفْكِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا رَأْسُ ٱلْمُنَافِقِينَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أُبَيِّ بْن سَلُولِ.(١) وَتَأَثَّرَ رَسُولُ ٱللهِ

(١) عبد الله بن أبي بن سلول: أحد زعماء الخزرج، اتفق قومه في المدينة قبل الإسلام أن ينصبوه ملكاً عليهم، فلما جاء الإسلام تركوا هذا، وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأصبح سيدها، عدّ ابن أبي هذا الأمر منازعة له فحقد على الإسلام ورسوله، ورفض الإسلام، فلما انتصر الاسلام في =

ﷺ تأثّراً بليغاً حتّىٰ تكلّمَ في ذٰلكَ علىٰ ٱلْمِنبَر فقالَ: مَنْ يُعْذِرُنِي[1] مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَٱللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إلاَّ خيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلاَّ خَيْراً، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إلاَّ مَعِي. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، أَنَا وَٱللهِ أُعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ ٱلأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَج أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

ووَقَفَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنَ ٱلأَوْسِ نَكْفِكَهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ ٱلْخَزْرَجِ فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَٱللهِ إِنَّهُمْ لأَهْلٌ أَنْ تَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ لاَ نَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَٱللهِ مَا قُلْتَ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ إلاَّ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنَ ٱلْخَزْرَجِ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتَ هٰذَا!

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ ٱللهِ، وَلٰكِنَّكَ مُنَافِقٌ

= بدر، أظهر اعتناقه خوفاً على نفسه وأظهر النفاق وآذى المسلمين بلسانه، ومات بعد غزوة بني المصطلق.

(٢) يُعْذِرُني: يَنصفني، أَعْذَرَ فلاناً: أَنْصَفَهُ.

تُجَادِلُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ. لَمْ يَكُنْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ إلاَّ رَجُلاً صَالِحاً، وَهُوَ سَيِّدُ ٱلْخَزْرَج ، إلاَّ أَنَّ حُبَّ أَسَيْدٍ لِرَسُول ٱللهِ ﷺ ، وَتَأَثُّرَهُ مِمَّا قِيلَ جَعَلَهُ يَتَحَمَّسُ، وَيَطْلُبُ ٱلْقِصَاصَ مِنْ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي حَادِثَةِ ٱلإِفْكِ وخَاصَّةً ذٰلِكَ ٱلْمُنَافِقَ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ أُبَيٍّ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ[1] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاءُوا بِٱلإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ ، وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[2] .

---

(١) تولى كبره: قال معظم ذلك القول .

(٢) سورة النور: ١١ ـ ١٢ .

كَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ يُحَدِّثُ ٱلْقَوْمَ وَيَرْوِي لَهُمْ بَعْضَ ٱلطُّرَفِ فَسَرَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ فَغَمَزَهُ رَسُولُ ٱللَّهِ فِي خَاصِرَتِهِ بِيَدِهِ .

فَقَالَ أُسَيْدٌ : أَوْجَعْتَنِي يَا رَسُولَ ٱللَّهِ .

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : ٱقْتَصَّ مِنِّي يَا أُسَيْدُ .

فَقَالَ أُسَيْدٌ : إِنَّ عَلَيْكَ قَمِيصاً وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ حِينَ غَمَزْتَنِي . فَرَفَعَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ عَنْ جَسَدِهِ ، فَهَجَمَ عَلَيْهِ أُسَيْدٌ وَبَدَأَ يُقَبِّلُ مَا بَيْنَ إِبْطِهِ وَخَاصِرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ٱللَّهِ ، إِنَّهَا لَبُغْيَةٌ كُنْتُ أَتَمَنَّاهَا مُنْذُ عَرَفْتُكَ ، وَقَدْ بَلَغْتُهَا ٱلْآنَ . وَيَقُولُ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : جِئْتُ مَرَّةً إِلَىٰ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْأَنْصَارِ فِيهِمْ مَحَاوِيجُ ، وَجُلُّ أَهْلِ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ نِسْوَةٌ ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : لَقَدْ جِئْتَنَا يَا أُسَيْدُ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْنَا مَا بِأَيْدِينَا ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِشَيْءٍ قَدْ جَاءَنَا فَٱذْكُرْ لَنَا أَهْلَ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ .

فَجَاءَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ بَعْدَ ذٰلكَ مَالٌ مِنْ خَيْبَرَ فَقَسَّمَهُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَأَعْطَى ٱلأَنْصَارَ وَأَجْزَلَ، وَأَعْطَىٰ أَهْلَ ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ وَأَجْزَلَ. فَقُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ ٱللهُ عَنْهُمْ ـ يَا نَبِيَّ ٱللهِ ـ خَيْراً.

فَقَالَ ﷺ: وَأَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ ٱلأَنْصَارِ جَزَاكُمُ ٱللهُ أَطْيَبَ ٱلْجَزَاءِ، فَإِنَّكُمْ ـ مَا عَلِمْتُ ـ أَعِفَّةٌ صُبُرٌ، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةً بَعْدِي، فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ ٱلْحَوْضُ.

فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

وَشَهِدَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٱلْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ ، وَتُوفِّيَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ .

وَٱنْتَقَلَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِلَىٰ ٱلرَّفِيقِ ٱلأَعْلَىٰ، وَجَاءَ ذٰلِكَ صَدْمَةً لِلْمُسْلِمِينَ، وَخَشِيَ ٱلأَنْصَارُ أَنْ يَتَأَلَّبَ ٱلأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ، وَٱلْمَدِينَةُ بِلاَ حَاكِمٍ ، فَٱجْتَمَعُوا لاِخْتِيَارِ خَلِيفَةٍ لِرَسُولِ ٱللَّهِ بِصِفَتِهِمْ أَكْثَرِيَّةَ سُكَّانِ ٱلْمَدِينَةِ وَأَهْلَهَا ، وَنِقْمَةُ ٱلأَعْرَابِ إِنَّمَا تَنْصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَٱلْتَقَوْا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَٱخْتَارُوا سَيِّدَ ٱلْخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَوَصَلَ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ ٱلْمُهَاجِرِينَ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وَحَدَثَ نِقَاشٌ، فَوَقَفَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وَٱلأَمْرُ قَرِيبٌ مِنْهُ لَوْ تَمَّ لِلأَنْصَارِ فَهُوَ سَيِّدُ ٱلأَوْسِ بِلاَ مُنَازِعٍ وَلٰكِنَّ ٱلْمَوْضُوعَ لَيْسَ بِزَعَامَةٍ وَلاَ بِغُنْمٍ ، وَإِنَّمَا مَسْؤُولِيَّةٌ وَعَهْدٌ مَعَ ٱللَّهِ . وَقَفَ فَقَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ كَانَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ، فَخَلِيفَتُهُ إِذَن يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ. وَلَقَدْ كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ وَعَلَيْنَا ٱلْيَوْمَ أَنْ نَكُونَ أَنْصَارَ خَلِيفَتِهِ . وَلَوْ

تَوَلاَّهَا ٱلْخَزْرَجُ لَنَازَعهمُ ٱلأَوْسُ، وَلَوْ أَخَذَهَا ٱلأَوْسُ لَنَافَسَهُمُ ٱلْخَزْرَجُ، وَلٰكِنَّهَا لِلْمُهَاجرينَ وَلَنْ يُنَافِسَهُمْ أَحَدٌ. فَسَكَتَ ٱلأنْصَارُ، وَبَايَعَ ٱلنَّاسُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَكَانَ سَيدُنَا أَسَيْدٌ مِنْ أَوَّل ٱلْمُبَايعِينَ.

وَلَقَدْ كَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِعْلاً نَصِيراً لِخَلِيفَةِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ، يَنْصَحُهُ وَيُسَاعِدُهُ وَعَوْناً لَهُ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ مِنْ قَضِيَّةِ ٱلْمُرْتَدِّينَ حَتَّىٰ قَضِيَّةِ ٱلْبَيْعَةِ لِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ، وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي كُبْرَيَاتِ ٱلأُمُور، وَيُقَدِّمُهُ فَقَدْ كَانَ مِنْ عِلْيَةِ ٱلصَّحَابَةِ.

مَعَ بَيعَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنه

بَدَأَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ يَسْتَشِيرُ ٱلصَّحَابَةَ فِيمَنْ يَلِي أَمْرَ ٱلْخِلاَفَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ، وَكَانَ مِمَّنْ ٱسْتَشَارَهُمْ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، فَقَالَ أُسَيْدٌ: «ٱللَّهُمَّ أَعْلَمُهُ ٱلْخِيَرَةَ بَعْدَكَ، يَرْضَ لِلّرِضَا، وَيَسْخَطْ لِلسُّخْطِ، والذي يُسِرُّ خَيْرٌ مِنَ ٱلَّذِي يُعْلِنُ، وَلَنْ يَلِيَ هٰذَا ٱلأَمْرَ أَحَدٌ أَقْوَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ». مَا أَجْمَلَ هٰذَا ٱلْكَلاَمَ! وَحَبَّذَا لَوْ نَظَرْنَا إِلَيْهِ وَإِلَىٰ مَقَالَةِ زَعِيمِ ٱلْيَوْمَ يُسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ لِمِثْلِ هٰذَا ٱلْمَنْصِبِ، وَهُوَ يَصْلُحُ لَهُ أَيْضاً.

يَقُولُ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: لَمَّا آلَتِ ٱلْخِلاَفَةُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّاب رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَسَمَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ مَالاً وَمَتَاعاً، فَبَعَثَ إِلَيَّ بِحُلَّةٍ فَٱسْتَصْغَرْتُهَا. فَبَيْنَا أَنَا فِي ٱلْمَسْجِدِ إِذْ مَرَّ بِي شَابٌّ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ حُلَّةٌ سَابِغَةٌ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُلَلِ ٱلَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَيَّ عُمَرُ، وَهُوَ يَجُرُّهَا عَلَىٰ ٱلأَرْضِ جَرّاً؛ فَذَكَرْتُ لِمَنْ مَعِي حَدِيثاً قَالَهُ لِي رَسُولُ ٱللهِ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ أَثَرَةً بَعْدِي» وَقُلْتُ: صَدَقَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ.

فَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ مَا قُلْتُ، فَجَاءَنِي مُسْرِعاً وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَيْتُ صَلاَتِي أَقْبَلَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَاذَا قُلْتَ؟

فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ وَبِمَا قُلْتُ.

فَقَالَ عُمَرُ: عَفَا ٱللهُ عَنْكَ، تِلْكَ حُلَّةٌ بَعَثْتُ بِهَا إِلَىٰ فُلاَنٍ، وَهُوَ أَنْصَارِيٌّ عَقَبِيٌّ بَدْرِيٌّ أُحُدِيٌّ، فَٱشْتَرَاهَا مِنْهُ هٰذَا ٱلْفَتَىٰ ٱلْقُرَشِيُّ وَلَبِسَهَا. أَفَتَظُنُّ أَنَّ هٰذَا ٱلَّذِي أَخْبَرَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ يَكُونُ فِي زَمَانِي؟

فَقُلْتُ: وَٱللهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ ذٰلِكَ لاَ يَكُونُ فِي زَمَانِكَ.

وَفَـاتُـهُ

تُوُفِّيَ سَيِّدُنَا أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ عِشْرِينَ أَيَّامَ خِلاَفَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، وَحَمَلَهُ ٱلْخَلِيفَةُ بَيْنَ ٱلْعَمُودَيْنِ مِنْ بَنِي عَبْدِ ٱلأَشْهَلِ حَتَّىٰ وَضَعَهُ بِٱلْبَقِيعِ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ بِٱلْبَقِيعِ.

تُوُفِّيَ أُسَيْدٌ وَعَلَيْهِ أَرْبَعَةُ آلاَفِ دِرْهَمٍ دَيْناً، وَكَانَ مَالُهُ يُغِلُّ كُلَّ عَامٍ أَلْفاً فَأَرَادُوا بَيْعَهُ فَبَلَغَ ذٰلِكَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ فَبَعَثَ إِلَىٰ غُرَمَائِهِ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تَقْبِضُوا كُلَّ عَامٍ أَلْفاً فَتَسْتَوْفُوهُ فِي أَرْبَعِ سِنِينَ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. فَأَخَّرُوا ذٰلِكَ فَكَانُوا يَقْبِضُونَ كُلَّ عَامٍ أَلْفاً.

عِبَادَتُهُ

كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ كَثِيرَ ٱلْعِبَادَةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي ٱللَّيْلِ ، وَتَطِيبُ لَهُ قِرَاءَةُ ٱلْقُرْآنِ آنذَاكَ، وَكَانَ عَذْبَ ٱلصَّوْتِ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] .

وَكَانَ مَرَّةً يَقْرَأُ سُورَةَ ٱلْكَهْفِ فِي جَوْفِ ٱللَّيْلِ وَبِجَانِبِهِ فَرَسُهُ، فَبَدَأَتْ تَجُولُ تَكَادُ تَقْطَعُ رِبَاطَهَا، فَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلْقِرَاءَةِ فَسَكَنَتْ، وَلَمَّا عَادَ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِ عَادَتْ فِي نُفُورِهَا، وَتَكَرَّرَ ذٰلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ ٱبْنُهُ يَحْيَىٰ بِجَانِبِهِ نَائِماً فَخَشِيَ عَلَيْهِ، وَحَانَتْ مِنْهُ ٱلْتِفَاتَةٌ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ فَرَأَىٰ غَمَامَةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ:

« تِلْكَ ٱلسَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ وَلَوْ أَنَّكَ مَضَيْتَ فِي قِرَاءَتِكَ لَرَآهَا ٱلنَّاسُ وَلَمْ تَسْتَتِرْ مِنْهُمْ » .

---

(١) السجدة: ١٦ ـ ١٧ .

عَن ٱلْبَرَاءِ بْن عَازبِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ ٱلْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بشَطَنَيْنِ ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَىٰ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ فَقَالَ: « تِلْكَ ٱلسَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ »[1] .

وَكَانَ أُسَيْدٌ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَؤُمُّ قَوْمَهُ فَٱشْتَكَىٰ فَصَلَّىٰ بِهِمْ قَاعِداً ، فَصَلَّوا وَرَاءَهُ قُعُوداً[2]

---

(١) متفق عليه .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد .

الفَهْـرِسُ

الموضوع | **صفحة**

الفهرس العام

الموضوع | صفحة